وهم كوتار

سامر وهنادي

وهم كوتار

سامر عبّادي و هنادي الخطيب

الطبعة الأولى: 2017

دار الرصيف للنشر والاعلام

رام الله - فلسطين | ت: 0595 682669

تصميم الغلاف والمونتاج والاخراج الفني: دار البيرق العربي

لوحة الغلاف:

جميع حقوق محفوظة

سامر وهنادي

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مُسبق من الناشر.

سامر وهنادي

سامر وهنادي

وهم كوتار

سامر وهنادي

سامر وهنادي

سامر وهنادي

سامر عبّادي و هنادي الخطيب

سامر وهنادي

الإهداء

لـبكارى الحب، لـ العذارى، ولمن (يحلمن أن يكنَّ كذلك)، لـمن تتجاوز طموحاتهم الجزء السفلي المتصل بأقدامهن، لـكل الذين علقت رائحتنا بأثوابهم، ولـمن أكلوا لحمنا ميتاً فكرهوه، لـمن غفلنا أن نفحص جنسهم فظننّا أنهم رجـالاً، ولـمن أثبتوا عكس ذلك. لـلضفائر الطويلة، والألسن الأطول، ولمن لا يُجِدن إلا الصمت وترتيب أغطية الأسرة بعد عراكٍ دامٍ، لكل أولئك الذين سلكوا رحلة الشك إلى اليقين، للشخصيات العشوائية التي تلتصق بنا فتصبح جزءًا منا - بمحض مصادفة، لـمرتادي أرصفة الشوارع التي تحمل قصص الفقراء وكتب العظماء، لـأصدقاء الله، لـلبسطاء الذين يصبغ جلودهم تعب الأيام وفشل المحاولة، لـمن يعاملون الكتب على أنها كائنات حية تتغذى على دموعنا و ابتساماتنا، لـلذين نمت على وجوههم ملامح الإيمان بالسعادة ولو بعد حين، لـأولئك الذين لا يستسيغون مرارة الحب، لـأصحاب الأمنيات الحبيسة، والرغبات المؤجلة، و لـمن لا يمتلكون إلا الرضا، لـشهود العيان على جرائم الحياة، لـمن يطيب لهم العيش على هوامش المعاني وبين حواشي النصوص، لـمن يبحثون عن مثالٍ حي لزمن المعجزات!

... لـلعيون التي سيحتكُّ غشاء مُقلها بصفحات كتـابنا

سامر عبّادي و هنادي الخطيب

سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي

الملخص

سامر وهنادي

يتحدث هذا الكتاب عن الله أولًا، ولا أحد أحقّ منه بأن يتصدر المرتبة الأولى.

عن الحياة ثانيًا، الحياة التي تتمركز حول شخصيّتَين...

تدور أحداث الكتاب في ثلاثة محاور: بداية الخلق، الحب، اللقاء. بوضوح أكثر... البداية التي نشأت بفعل تصادف مرَّتبٍ له بعناية إلاهية. ثم ننتقل للمرحلة الثانية (القضمة الثانية من التفاحة) لا نعرف تمامًا ما المهمة التي تسعى كل هذه الرسائل لإنجازها؛ لكن ما نعرفه أن عددها عشرون رسالة، عشرون عاما، عشرون موقفا، وعشرون كلمة حب وفراق وغضب.

للتنويه: (الرقم هنا فقط لغاية الترتيب والتنفيذ لا بقصد الحصر والتعداد).

أما النهاية... فهي أخت البداية، نهايتنا على وجه الخصوص ونهاية كل حدث على وجه العموم، نهاية الفكرة التي جمعتنا معا تحت أكثر من سقف واحد

ملاحظة عابرة: لا يعنينا أن يتبع القارئ خطوطا إرشادية للوصول للكنز؛ ما يهمنا بالدرجة الأولى أن يؤمن أنه من المحتمل أن تكون كل خطوة بحد ذاتها كنزًا جديدًا، موضعه تحت قدمه، وهو يسير متغافلا بقصد أو دون.

منذ فتره طويلة ونحن نَلد الكلمات كلمة كلمة، بِشُح شديد وبخوف صغير نوعًا ما، الآن تماما حان الوقت كي نكتب كل شيء يقفز من عقولنا و قلوبنا، كي نمنح أنفسنا التوازن ونمنح الآخرين إمكانية البوح...

بالنسبه للبعض قد لا يكون هذا الكتاب عند حسن ظنّهم بنا؛ لكن حتمًا سيكون عند حسن ظنّهم بأنفسهم

ربما نقصد أن نوقظهم من غيبوبة الوهم، والوهن.

سامر وهنادي

***

كُتبت هذه الكلمات بتعبٍ وسهر وانتظار وعدد لا متناهٍ من أقلام الحبر و النقرات فوق (الكيبورد) لتلبيه نداء التكنولوجيا.

ما تبقى لنا من هذه الحياة مساوٍ تمامًا لقدرتنا على أن نحقق أنفسنا، أن نختلس النظر لقدراتنا المخفية المبطنة، وأن نثقب بأصابعنا تلك العيون التي مهمتها الأولى أن ترمقنا بنظرات الإحباط واليأس.

***

حين تنتهي من قراءة هذا الكتاب، من الضروري جدًا أن تفعل أي شيءٍ جديد في هذه الحياة.

هنالك أشياء أصعب من لفظ الحياة بحد ذاتها، مثلًا عندما تفقد كل شيء، تشعر أن لفظ الحياة تركيب لغوي مستعار لا معنى له.

قبل أن نلتقي؛ كانت الحياة بالنسبه لنا أشبه بغيبوبةٍ الإستفاقة منها شبه مستحيلة، وإن كانت ممكنة ستكون بخسائر فادحة ومناظر مشوهة ومؤذية، نصف جسد، نصف عقل، جزء من قلب، وعبادات خاطئة...!

كل شيء تغير في يوم واحد! يوم واحد فقط كان كفيلًا بأن يجعلنا نبكي لله من شده الفرح - للتنويه مرة أخرى لفظ يوم أو ساعة أو أي عدد لا يعني المعنى الفعلي والاصطلاحي للكلمة، نحن من نمنح الكلمات قيمتها ومدتها، ما نقصد أن نقوله أننا نتمنى من الجميع أن يصل للمكان الذي وصلنا إليه.

أيها القارئ العزيز، ابتسم... كما لو أنك تلمس السماء بطرف إصبعك!

نحن في المنزل الآن ومنهمكان في الكتابة والدعاء، لنجدكم ونجد أنفسنا وسط هذه الدوامة السريعة، وبفضل الله دائما تبدو الأشياء أسهل وأجمل! كل ما يهم أن تقرأونا بحب، وأن تمنحو أنفسكم فرصة الصعود للأعلى،

والقدرة على الركض لمسافات بعيدة جدًا، ومصافحة أعدائكم بحرارة!

تقبلونا بفائق الحب

سامر وهنادي

سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي

سنوات لاتسمن ولاتغني من جوع

سامر وهنادي

كانت الطريق إليكِ صعبةً جداً...!

مسافة عشر سنوات وربما أكثر، لم يعد التعداد قضيتي منذ اليوم الذي قررت فيه أن أحبكِ.

كان ذلك منذ زمن بعيد، من قبل حتى أن ألتقي بك أو ألمح بوادر غيومك الممطرة، ولا خيوط فجرك القادم، لم يكن هناك شيءٌ يوحي بقدومك، ولكنّي كنت على يقينٍ أنك لن تأتِ لو لم أسعَ أنا لقدومك وأمهد لكِ الطريق.

ولأني كنت أطمح بحياة مستقبليةٍ مختلفة، و بأنثى لا تنتمي لعالمكم، بل ربما سماوية... كان لا بد لي أن أبدأ برسمها منذ اليوم، أرسمها كلوحة، هي والحياة المحيطة بها، وكان لا بد قبل كل ذلك أن أتعلم الرسم!

كنت أعلم أن الطريق إليك وعرٌ مُوحل، شديدُ الحرارة أيام الصيف، شديد البرودة أيام الشتاء، أرضه صحراويةٌ قاحلة، وهواؤه جاف!

ربما لأنني ما آمنتُ يوماً بالسعادة المصطنعة التي تأتي كسحابة صيف لا تحمل خيراً، كان لا بد من حزم حقائبي والمسير...!

المسير! دعيني أخبرك شيئاً عن المسير؛ ربما ستفهمين جيداً بعض صفاتك، وألوانك، وكيف تشكلتِ بصورتك الحالية قلباً وقالباً...

الطريقُ كانت مليئة بالحفر والأشواك وقطّاع الطرق، فأدركت منذ البداية أنك ستكونين جميلةً بحجم صعوبتها وخطورتها...

كانت البداية طريق الله أولاً، حب الله! كيف لي أن أحبك إن لم أحب الله، كيف لي أن أفيض عليكِ حباً لو لم يغمرني حب الله...! كنت اقرأ كثيراً بين

عطاء أناملك (حبيبي الله) و أتنفس الصعداء!

أعلم جيداً أن الطريق إليكِ كما الطريق إلى الجنة صعبةٌ جداًا!!

كنت قد حزمت أمتعتي وانطلقت، لن أحدثك شيئاً عن تفاصيلها، سأحدثكِ عن الله فقط! البداية والنهاية لكل الأشياء، أما باقي قصتي ستقرئينها جيداً وأنتِ تتأملين ملامحي

عدد التشققات في قدميَّ ستخبرك عن طولِ المسافة ووعورتها، والندوبات في غابات جسدي تحكي عدد الأشواك، وعدد الجروح، وعدد الأشخاص الذين اخترقوني وعبروني...!

بشرتي الداكنةُ تعكس ضوء الشمس الحارقة، وعدد قطراتِ العرق بحجم بحورنا المسلوبة، والبقعة السوداء في جبيني، تخبرك عن عدد الصلوات التي دعوت فيها الله أن ألتقي بك،

وعدد «الشيبات» في ذقني تخبرك عن عدد الخيبات، التوقعات، الخيانات...!

كلما مضت الأيام، الأشهر والسنين ولم تأتِ؛ أدركت جيداً أنك ستقبلين بحجم معاناتي وأوجاعي...

كلما واجهتُ الكثير منها زاد أملي بديمومة حبك!

أدركتُ أنك ستأتين يوماً، تخترقين جسدي وتمكثين فيه.

لا تنصتي لمن يخبروكِ أن السعادة تأتي بغتةً كما الموت على غير موعد. كل الذين ماتوا كانوا مدركين أن الموت قادم إليهم.

ربما تتسائلين ما الذي يدفع شخصاً مثلي لكل هذه المعاناة، وربما على حسن نية منكِ، ستخبريني يومًاً أنك لا تستحقين كل ما فعلته وأفعله...!

سأخبرك دائماً أني من اختار تموج شعرك، لون عينيكِ، طلاء أظافرك، صفاتك السيئة قبل الحسنة... أنا من رسمت خارطتك مع كل خطوة مشيتها، هكذا أكون مسؤولاً أمام الله وأمامك عن كل شيء يحدث لي ولك. هل أدركتِ

كمية الحب التي أحملها؟

علاوةً على ذلك، طوال سنين غيابي كنت أتخلص من آثامي، لا أريد لكِ ولا لأولادي منكِ أن يدفعوا ثمن أخطاء أبيهم، مخطئون جداً من يعتقدون أن أفعالنا لن تعود علينا في حياتنا أو حياة من ترتبط حياتهم بحياتنا...

إن نسيتُ يوماً على غير قصد مني لما أنتِ هكذا ف ذكريني رجاءً!

عند أول مرةٍ افترقنا بها عن سوء تصرف مني، حدثتني يومها بعد أن عادت سماؤنا واحدة، حدثتني بشيءٍ من العتب اللطيف، لماذا تعلقت بي بيديك وقدميك ورموشك كطفلٍ صغير؟

لماذا لم تدعني أذهب!؟

اليوم حملت قلماً واسترقت بعضاً من وقت استراحتي وكتبت لكِ إجابتي (كل ما ذكر سابقاً).

***

ليس غريباً أن أول موعدٍ جمعنا كان على أعتاب أبواب السماء، وأول كلمةٍ تبادلناها كانت «الله» وأول عملٍ مشتركٍ كان صلاة ودعاء!

سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي

يقين حتمي

سامر وهنادي

مُنذ أن بَلغت سن الرُشد وأنا أعرف في قرارة نفسي أن غَسان لم يقُلها عَبثاً (لك شيء في هذا العالم فقم) وأظنّ أنك هذا الشيء! الشيء الذي نَفضتُ عن ثيابي غُبار سنين العمر الوسخ كي ألاقيه في المطارات شِبه المَوجوده! فأنا فلسطينية، وُلدت على هذه الأرض تَحديداً في سرير تبيت أسفله قِطة في بدايات التسعينيات، ومُنذ ولادتي وأشباه الأشياء تلتصق بي. كانت الأمور على ما لا يُرام، ربما كان ينقصني كَف خَشنة تمسد على شَعري بين الوجع و الآخر، أو مَثلاً عَقل دَسم يهضم أفكاري الغبية والمجنونة! أو شخص ما يهديني للطريق المستقيم... بوضوح أكثر كان ينقصني أن أؤمن أنك ستأتي يوماً ما بِشكل أو بآخر، والمُهم أنك جِئت...!

يُخيَّل لي أحياناً أنكَ خلقتَ من خيوط سجادة صلاتي الحمراء، ربما بين السجود والركوع، في تمام الساعة الثانية والنِصف ليلاً، جِئت ممتلىء بدموعي ورائحة فهمي وإبتهالاتي، قبل أن نحب أحدهم يجب أن نُخضعة لاختبار حب إلاهي، إن نجح بذلك فـهو يصلح لباقي العمر، يصلح لأن يكون قلبه دون تاريخ انتهاء، القلوب المعلقة بالله هي حتمًا الجديرة بأن نعلِّق مصائرنا بها.

أعظم ما في الله أنه إذا أعطى أدهش!

بالتحديد، كان هناك رجل أتقاسم و إياه خوالج نفسي، أطلعهُ على أسراري الصغيرة، ونتحدث بالساعات، رَجل يصلح لأن يُشارِك أي نوع من النساء أي شيء، أخبرهُ عن حُلم غير قابل للتحقيق، و أبوح له عن أخطائي القديمة. كان أشبه بتجربة تستحق أن أخلع قناعاتي وأوجاعي لأقحم نفسي فيه ولو للمرة الأخيرة - بالمناسبة ليس هناك مرة أخيرة لأي شيء - دومًا باب التوبة مفتوح، وبوابة السماء على استعداد لأن تستقبل دعواتنا بحفاوة.

الرجل الأخير، رجل البدايات والنهايات، أكتب حبّاً وعرفانًا كما لا تكتب معظم النساء، أكتب بغية أن أتحيز لهذا النوع النادر للحفاظ عليه من الإنقراض، عَكس ما قالته عنهم كتب النساء، عن نوع من سلالة مغايرة، تلتقيه فقط الإناث المحظوظات مرة واحدة في العمر، بعد أن يكون جسدها قد أُثخن بطعناتٍ من التعب والظلم - من باب الجزاء ربما - هو قطرة المطر الأولى التي تسقط فجأة بعد أن جفّ سقف الحلق من كثرة التأفُّفِ والبُكاء...

عوامل كثيرة دعتنا لأن نكتب وننشر هذا الكتاب، إبتداءً بأنه عمل أدبي مشترك يضم نصوص و جسدي كِلَينا، وإنتهاءً بأننا نؤمن أن الله جمعنا معاً لنفعل لذلك...

العزيز على قلبي، أعلم أن هذا العمل الأدبي أشبه بجنين وضعته أنت برحمي، يحمل ملامحنا مجتمعة، وولادته جهدٌ مشترك. العزيز على قلبي مرة آخرى، ما حصل وما سيحصل يستحق أن يدوّن كي يكون (دستور علاقتنا) نرجع إليه بين الفينة والأخرى نتحسسه، نقرأه، ونبتسم لأنه كَتِب قبل عقدٍ أو أكثر من الآن، دون أن يخضع لـلتحريف الدنيويّ ولـلمشكلات العشوائية...

أعتقد أنه بوسعنا أن نحتفظ بدهشة المشاعر ذاتها مهما تعاقبت الأيام، هذا لا يعني أن رومنسيتنا ولهفتنا هي الطاغية، إنما لأن الله يرافقنا في كل حين، وحب الله هو الدستور الوحيد القائم القادر على إشغال وهج الود والرحمة في صدرينا، ربما لأن الحديث بصمت وتمتمة مع إله قادر على أن يشعل فتيل النور في صدرك... هو أمر من شأنه أن يضيء لك ظلمة حياتك بأكملها.

«ما دمنا نحب الله فنحن بخير»

هو صاحب الدستور القائم الكامل يرسل لنا إشارات قدرية بغية أن نعدّ العدة للقادم، وكذلك الأمر قبل أن نتبادل الحديث لأول مرة، لا أعرف ما

الذي حصل فعلاً لكن الله وحده يعرف، أنك المخلوق الوحيد الذي يصلح لأن يحتضن رأسي ويلقنني الشهادتَين في يومٍ لا نعلم ميعاده، الشخص الذي بإمكانه أن يأخذني على محمل الجد والمزح حسبما يلائم مزاجيّتي لا كما ينبغي أن يكون.

منذ عرفتك وأنا أفضل أن تكون الأب المثاليّ الذي يُعجب أبنائي بعقله وشكله وعمله، طالما أرهقتني فكره البحث عن رجل يصلح لأن يكون زوجًا و أبًا في آن واحد، كلا الوظيفتين منفصلتين عن بعضهما وقلة من يتقنون الازدواجية في الحياة.

الرجال أمثالك يصبرون ويحتسبون سنوات عمرهم الماضية كلها، في سبيل أن يحصلوا نهاية المطاف على حصة الأسد، الرجال الأذكياء يظفرون بمبتغاهم... ثلاثون عامًا من عمرك زرعت سبعة عشر شيبه في ذقنك وأنا في قلبك...!

من المحزن أن لا تجد من يهتم بتفاصيل حياتك، ومن المحزن أكثر أن تشعر بذلك وأنت في أوج حاجتك لهذا الشخص، هو يأتي تماماً بالوقت الذي تطلبه بإلحاح ويقين، يأتي ويجلب معه الخير بقدرٍ مساوٍ للذي في قلبك اتجاه الآخرين...!

الجيد أنني اعتبرتك لبرهة من الزمن الصديق الوحيد الذي بإمكاني أن أبكي بحضرته ألماً وحزناً دون داعٍ لاختلاق مبررات تُسكت غيرة الرجال، ولا زلتَ كما عهدتك، تُسند ظهرك على الكرسي، وتشعل سيجارة معللا ذلك بضرورة الموقف، تضع كوع يديك بشكلٍ موازٍ لصدري، وتضاعف حجم أذنيك مرةً ونصف، ثم تومىء برأسك مرتين بشكل متتالٍ آذنًاً لي بالحديث؛ أشرب كوبي ماء وأبكي على دُفعات، أنهي الحديث وأفرغ حشوة قلبي أمام ملامح وجهك المتعاطفة، تدفنني أسفل عنقك، وتبتاع لي الحلوى،

فيصغر عمري مرتين وتمتلىء عروقي بالسعادة، أنا الطفلة الضالة التي تحتاج لـك!

نحن فعليًا نحتاج لـشريك، لـشخص بمقدوره أن يشاركنا كل شيء... كلّ شيء!

سامر وهنادي

سيخطر في بال الجميع ربما ما الذي يدفعنا لأن نكتب عن بعضنا ولـبعض بهذه الشراهة، حسناً يبدو أن السبب الوحيد هو حاجتنا للديمومة وسط هذا الوهم والزوال!

نعم أنت الرجل الذي كتب لي، وبالنسبة لفتاة مثلي تعتبر الكتابة بحد ذاتها (جرم كبير) كنت ولا زلت ذاك الرجل الذي يجيد صياغة الأحداث والألفاظ، لذلك أفخر بك، وأقرأ مايحتويه صندوق رسائلي أسبوعيًا!

الأشخاص الذين يحاولون امتهان الكتابة أمثالنا يجيدون صياغة أي نص لدواعٍ مختلفة، ويفشلون حتمًاً في التعبير عن ما يجول بخاطرهم بثلاث جملٍ مرتبة!

نحن ننسى جميع الأشخاص الذين أساءوا لنا واقتحموا شيئاً فينا، حين نشم رائحة الوردة الأولى التي تحملها تلكَ الأصابع الطويلة، لأن العالم لا يتوقف أبداً، الشمس تشرق يومياً وبطون النساء تنتفخ بالأطفال ونحن نمنح خفقات قلوبنا لأحدهم من جديد...

أنا لا أريد مِنكَ شيئاً إلا أن تكتب لي يومياً كما تفعل!

أحب أن المح شيئاً يخصني بين نصوصك، كأن تقصدني بجملةٍ مبطنة مبتغاها أن تخبرني أنني أختلف عن الآخريات، وهذا شعورٌ طبيعي تستشعر به أو تحاول أن تستشعر به جميع نساء الأرض في حضرة من يحببن! المهم أن تكتب لي أيها الغالي، عن الموت الذي يحوم فوق رؤوسنا على شكل حلقات، يَطمئنُّ علينا ويغادر متوعداً بيومٍ قريب، أن تكتب عن بلاد الغربة أوطاني، عن شوارعها وطعامها وملامح وجوه ساكنيها، أن تخبرني أنك تحمل بين كفيك الكتاب الذي بعثته لك مع صديقة غيورة، عن قهوة تحاول جاهدة أن تشبه قهوتنا العربية وتؤول جميع محاولاتها بالفشل، عن عاداتٍ تفعلها بالسر كالتحديق بوجوه زوار الحدائق العامة، أن تكتب لي بسرعةٍ

وعشوائية عن الأحداث التي تقتحم حياتك، ولاضير ايضا لو أفصحت لي عن الموظفات اللواتي من باب الخبث والتقدير يفضلن أن تشاركهن الفطور في استراحة الغداء وسط زخم العمل والمصالح، اكتب لي عن المسجد الذي تصلي به، وعن آخر وجبة طعام تمنيت لو أننا تناولناها سوياً، عن أشياء تحتفظ بها أسفل فرشة السرير تذكرك أن فلسطين هي أحق مكان بك.

سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي

سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي
سامر وهنادي

وهـم كـوتار

سامر وهنادي

هو الحقيقة التي نحاول أن نواري أعيننا كي لا نبصرها، هو اعتقادنا بأننا على قيد الحياة، هو الأجل الذي يقترب منا، هو نحن جميعًا دون أيّ استثناء.

لأجل الذين دخلوا وخرجوا أمواتًا من الدنيا دون أن يخاطبوا الله، دون أن يجدوا أو يجيدوا لغة الحوار أصلا، كل ما في هذه الصفحات هو محاولات صغيرة تشكل أعشارَ أعشارٍ بالمئة من ماهية الحياة، ابتداء من الله وانتهاء به، إنها شرارة لإشعال فتيل الحب، لقطع الشك باليقين.

أسند ظهري على كرسي الحافلة، يحيط بي تسع وخمسون وجهًا ستِّينهم أنا، لا أحد منا يشبه الآخر، في الرائحة في الملامح في الإيمان في الإلحاد في كل شيء تقريبًا، المثير للحزن أن أغلبنا يؤمن بعكس ذلك، وإيمانه هذا يجرُّه لأن يكونَ نُسخةً عن أحدِهم!

كتبت هذه الكلمات، لمن يُقَبلون أنفسهم في المرايا، لمن لايعانون من سوء فهم ذاتي، لمن يمارسون الإزدواجية في جل حالات التوحد، أولئك الذين يرتكبون الحب لدواع جسدية، بل لأجل الذين أسرفوا أعمارهم يجرون أثوابهم خلف أمة من الناس لا تبصر ولا تسمع، لمرتادي المقاهي الرخيصه لمن يبتاعون من بسطات الشوارع، للفئة التي لا يخجلها أن تبوح بإن مرتبها الشهري لايكفي لمنتصف الشهر

***

هو ليس تصريح واضح يؤيد القلب، ولا دعوة لعكس ذلك، هو لمن يجيدون استخدام الجزء العلويّ من أجسادهم بتناغم مع أسفله، ولا يعلم عددهم سوى الله.

نكتب ونحن ندرك أن عهد الرسائل اندثر، بلغ ذروته وتجلّى حين أحب

غسان غادة، وجبران مي زيادة، اليوم نحن معلقون بالهواء، ولا شيء سوى الهواء، بعض أسلاك وموجات (كهرومغناطيسية) تتكفل بالأمر كله...

***

وهم كوتار لكل البشر الذين تعنيهم السعادة المرتبطة والمنبثقة والممتدة من الرب قبل الحب...

***

لا زال هناك لحظة رائعة لم تأتِ بعد، لا زالت هناك قمة شاهقة لم تطأها قدمك.

هذا الكتاب خلاصة الخلاصة لقلبي وعقله، ذاك الرجل الثلاثينيّ الذي كلما كتبت عنه سطرًا أحببته أكثر، يمكن لأننا دائما بحاجة لبوح صريح، لمحاولة إسقاط ذاتنا ودواخلنا على ورقة، الرجل الذي احتلَّ ظروف عمري ومواقيته، هو نفسه الذي تدفقت رسائله إلى جسدي فصُبغ باللون الأزرق، سقط في عالمي كنقطه حبر في كوب ماء.

بمقدورنا أن نحب أحدهم مئة سنة دون أن نهديه وردة، يكفي أن نزرع الورد لأجله، الحب هو ما يضاف لنا، لا ما يُنتقص منا، بل هو إرادة الله التي يكللها دعاؤنا.

هو الشخص الذي أسعى للحياة من خلاله حين ينعقد لساني وينطفئ وهجي، إن أجمل ما قد يحصل لامرأة في هذا الواقع السيء أن يحبها رجل ما، يبكيه وجعها ويجَبره ضحكها، هذا الرجل بالذات لن تنسى شكل عينيه حتى وإن فقدت البصر والبصيرة...

وما أن تسير شوطًا طويلًا في الدنيا حتى تدرك أن أغلب ما يحصل لا يتوافق مع رغباتك، أفكارك، معتقداتك، وأحلامك المستقبلية، في هذه الحالة تعامل مع نفسك على أنها حديثة النشوء، درّبها و روّضها و علّمها، دون أن تهدِّدَها بالموت.

سامر وهنادي

معظم الذين ماتوا لا زالوا على قيد الحب والحياة، بدليل أن محمد - صلى الله عليه وسلم- توفي في الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، ولا زال حيًا في صدورنا... إذن العمر الرقمي مجرد افتراض يقتصر معناه على حياة الجسد لا الروح والعمل والعقل والقلب...

سامر وهنادي

سامر وهنادي

سامر وهنادي

الإيمان: هو اعتقاد القلب

أنني أعيش هُنا على هذه الأرض كما يفعل بقية سكان العالم، و أحتسي قهوتي و أسكبها أحيانًا على قصاصات ورق أكتب عليها بعد عبء يوم عملٍ ثقيل، يحني ظهري ويجهد نظري، مرة أخرى أصحح اعوجاج فقراتي وألتقط القلم بين إصبعي؛ أدلِّـلُه، أقبله وننغمس معًا في ورقة...

***

إنكِ تعنين لي أكثر مِن تلك الأوراق التي تحمل بداخلها الكثير من الفشل والحب والتعب والمحاولات النصف ناجحة...

***

أعرف أن الكثيرين يحاولون بطريقة أو بأخرى أن يمتهنوا الكتابة، وفي أوج محاولتي لفعل ذلك التقيت بِك صدفة، كتبتكِ بخمس ورقات وسكبت القهوة كما أفعل دائماً ونسيت الغسيل في الغسالة يومين إضافيين، حورت شكل ذقني من الدائري للمربع، واعددت القهوة بالملح للمرة الثانية.

سأكره نفسي لو حاولت يومًا أن أنكر أن هذه السعادة المنتشرة في أنحاء جسدي لا يعود فضلها إلا لله ولكِ.

مضت أيام سيئة جيداً لا زال بمقدوري أن أتذوق مرارتها، أظن أن كل الأشياء كانت تحدث كي ترمي بي هنا بهذا المكان وهذه الظروف، فيظهر ظلُّ طولك في حياتي...

كنت ولا زلت أعاني من إرهاقٍ فكري وجسدي أحياناً، بالرغم من أنني محبوب ولديَّ الكثير من الأصدقاء لكن هناك ثقبٌ كوني بداخل صدري، ناتج عن تعاقب الأحداث المؤسفة والجيدة معاً

نعم، الأحداث الجيدة تترك أثرًا سيئًا في دواخلنا حين نستذكرها ونشتهي

سامر وهنادي

 سامر وهنادي

حدوثها مرة ثانية، لنقل أنني أمضيت الجزئية الأخيرة من عمري وأنا أحاول أن أصنع من نفسي شيئاً، شيئاً بإمكانه أن يشعر بفرادته بطريقة أو بأخرى، تسنَّت لي الفرصة حين قرأت أول نصوصك وبالتحديد في السطر الثالث «الله يجمع الأنصاف المتشابهة ويوحّدها» وجدت ما أبحث عنه طيلة حياتي.

كنت ولا زالت أحياناً أشعر بالأسف على كم السنوات التي توالت وأنا منغرس بكرسيّ المكتب كـنبتة وفيّة تدق جذورها بالأرض، دون أدنى محاولة للتغيير، وحين خطر ببالي ذلك وحزمت أمتعني نية أن أخرج من طَوري الحالي لمرحلة ربما أفضل، شَعرت أن هذا المكان ضيق بعض الشيء ويتسبب بتورّمات فكرية وحنين لخبز الطابون!

إنني أريد أن أتحدث عن كل الأشياء التي تقلق مخي ولكن دومًاً هناك حرف ناقص يتلف معنى الجملة، لا أدري على أي أسس تقيَّم النصوص الأدبية، لكن من منظور شخصي، لا يحق لأحد أن يمنح أي نص بالعالم درجة النجاح أو الفشل، هذا لأن الكتابة هي نسخه معدلة عن خيال وشخصية الكاتب ولكل شخص في هذا العالم قالب خلق به يختلف عن البقية، إذاً الحل أن يتم تقسيم العالم إلى كتّاب و بشر باعتبار أن الكُتاب كائنات مغايرة تماماً لها عوالم وطعام ومعتقدات تتسم بالفرادة والغرابة غالبًا.

هناك إزدحام لا مثيل له في غرفتي الصغيرة يبدأ بكِ وينتهي بكِ ومن خلالك تعبر كل الأشياء...لقد كان قدومكِ مثالي ومُرتب، إلى حدٍ زلزلني، جئتِ ومعكِ كل الأشياء التي تتعلق بأسباب الوجود! تبدو الجملة معقدة وغريبة بعض الشىء، لكن فعلياً هذا ما يحصل، نحن لا نقع في حب أحد! نحن نحيا بحبهم. ولو ردّدتم كلمة حياة ثلاث مرات بنوايا طاهرة لأدركتم أننا ننطقها بذقنٍ ترتفع تدريجيًّا مع كل حرف، هذا يعني ضمنيًّا أن الحب حياة والحياة كما الحب ارتقاء. إن لم ترتقوا بحبكم فأنتم تهوون إلى القاع والقاع مزدحم بالأموات.

سامر وهنادي

سامر وهنادي

***

إنني بعيد عنكِ بقدرٍ لا تطيقينه، لكن في حال استدعى الأمر سأستقل أول طائرة الى فلسطين، وأدرك أن الأمر بدأ يستدعي ذلك منذ الوقت الذي تحججت به أنه من اللطيف أن تقرأي نصوصي الأدبية، وكان ردُّك ومن الألطف لو فعلت معي الشيء ذاته، المعنى الحقيقي للجملة كان (من الحب أن يكتب كلانا للآخر!)

***

أقف الان على أحدِّ حافّة في حياتي، تاركاً خلفي أشياء غالباً توجد في حياة الجميع، ومتطلعًا لأشياء يبحث عنها الجميع!

إنني أثق بِك أكثر من اللازم، وأطلعكِ على نصوصٍ تلتقي مع نقاط التماس في قلبي.

إن الشيء الوحيد الذي يرغب الجميع أن يحصل عليه هو «حياة أبديّة» وهذا السبيل الوحيد لأن نحظى بذلك، عُمر الكُتب يفوق عُمر أصحابها مئة مرة. لذلك من الضروري أن نكتب!

وأعتبر أن هذه محاولتنا الأولى كي نكون شخصين صالحين وسعيدين في آن واحد.

في القلب خلوة لا يملؤها إلا حُب الله وحُب مَن أحب الله، وكانت بدايتي مَعك ركعتي قيام ليل، فتيقّنت أنَّ الله يمنع عنّا أسوأ الأقدار ليسخّر لنا أفضلها.

كما يجلس الرجل الرزين أجلس الآن وأفكر بهدوء بسلسلة المشاهد الماضية، تلمع الأحداث في مخيلتي وأزداد يقيناً أن السنين الماضية كانت تمهد لَكِ الطريق.

***

أستطيع أن الغي فارق التوقيت بيننا وأحدّثك ما يحصل معي يوميًا، استقبلي رسائلي برحابة صدر...

سامر وهنادي

سامر وهنادي

من زاوية اخرى

جئتَ كفرج الله بشكل مفاجىء وغريب ويقين بأنك آتٍ لا محالة، لأنني أعرف أن اليقين هو الطريقة الوحيدة كي نتحمل عِبء هذه الحياة، كُنت في أمسِّ الحاجة لتعويض دُنيوي، يخفف بعض الشيء من وطأة معاناتي ووحدتي، الوحدة بحد ذاتها تجعل الأشياء، أغلب الأشياء، لا قيمة لها.

لكن من الممكن أن يقتحم أحدهم حياتك بحركة بسيطة، فتريده بمقدار ما تحب الله.

أنا لم أفقد ثقتي بأن هذه الدُنيا مِعطاءه، وأننا نخرج جميعنا بِحصصٍ متساوية، مع اختلاف الظروف والأشخاص لكن أحياناً يُصيبنا المَلل، فتخور قوانا وتتلاشى، جميعنا نخاف أن نكون في اختصام مع أنفسنا والآخرين، والخوف الأكبر أن لا نجد من يؤازرنا، الحبيب هو الطرف الوحيد الذي ينصرك ويهدئ من روعك ويقنعك أن تعيش ضمن قوانين العدالة السماوية.

مُنذ تحدثنا وإلى الآن، لَم أرج مِن الدُنيا سِواك، أنت الشيء الذي يَضم تحت اسمه كُل مصطلحات الحياة، يشجعني على كل الأفعال ويدرّبني على ممارستها، ابتداءً بالكتابة وانتهاءً بالحديث مع الله.

***

جميع الصعوبات التي مَررت بها، ولا زالت في أعماقي، تغيب عن الذاكرة حِينًا وتعود حيناً أُخَر، لكن مُنذ اللحظة التي اتفقت مع ربي أن نعلن البداية الجديدة؛ وأنا أعتبر التفكير بالماضي شِرك أكبر، إننا نتعذَّب مرَّتَين، مرّة حين نعيش الحَدث ومرَّة حين نغرسه في ذاكرتنا.

جَميع نصوصك الأدبية ورسائلك تشعرني أنني أراكَ أمامي، وهذا شيء جيد ويدل أن ذاكرتي لها القدرة على الاستحضار، أن يكتب لنا أحدهم هذا يعني

سامر وهنادي

أننا نولد كل يوم من جديد.

أنت بالمكان الذي حَلمت أن أزوره طيلة حياتي، وبالشكل الذي يعجبني، وبالتفاصيل التي كررتها على مسامع العائلة مُنذ زمن، نحن حين نريد شيئًا ما بإلحاحٍ يجيء إلينا من قعر الدنيا، كنت أريدك كما أنت قبل أن نتعثر بقلوب بعضنا حتى!

حِين نلتقي بِشخص له القدرة على أن يستوعب مدركاتنا العقلية وتقصيرنا الدنيوي، حينها نكون أكثر الأشخاص حَظًّا، كل العمر الذي مضى قبلك كان عبارة عن رُزم أوراق مُرقمة تتساقط واحدة تلو الأخرى حاملةً معها في كل عام شيء... شيء يختلف شكله واسمه ووجعه من قلب لآخر، المهم أن هَولاً من التساؤولات كان يعشش في رأسي: هل عدم رضى الله عنا ما يدفع كل هذه المصائب إلى طريقنا فتُنتزع السعاده منا حتى أننا نبدو عُرآة لا نمتلك ما نستر به أجسادنا ودموعنا؟ أم أن جهلنا بطريقة حب الله لنا هو السبب؟!

لحظة: (إذا أحب الله عبدًاً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه، وإن سخط نفاه وأقصاه) اللهم حُباً اللهم صبراُ اللهم رضى!

***

هذه السنين لا تهدينا إلا الوجع الملتهب فنعاني من أعراضه الجانبية سنينا آخرى، لكن على ما يبدو «نحن مصابون بداء لا شفاء منه وهو الأمل» درويش. الأمل في أن نستيقظ بنصف عمرنا (لو يختفي عمر الوجع الذي مضى والذي ينوي أن يأتي فنبدو أصغر و أجمل وأشهى)! اعتدت أن أرتقُ جروحي بخيط رفيع يشبه تعلقي بالحياة! الحياة التي ترميني أحيانًا في وسط اللون الورديّ وأحيانًا آخرى أعلق ببقعه من السواد، لو أنكَ جئت قبل الآن... لما حدث هذا كله!

بسيطة... المهم أنك جئت، وأنا في العادة لا أسامح الذين يتأخرون عن مواعيد قدومهم.

سامر وهنادي

سامر وهنادي

«أغلفة رسائلك البنية القديمة تشبه لون جسدي»

إنني أجرؤ أن أقول أننا حين نكتب نشتهي بعضنا أكثر، ونعيش الحياة ما أستطعنا إليها سبيلا، ما دمنا نكتب فكلانا قادر على الإستمرار، يبدو أن كل شيء في هذه الحياه قابل للمشاركة، وآخر ما خطر في بالي أن أتشارك صفحات كتاب مع أحدهم! القصد أنني لم أتوقع ما يحدث، لكن بكل الأحوال كان يجب أن يحدث، وبإلحاح منّا على الله أن يحدث، أمس تمنيت أن يكون طارق الباب أنت، ربما كي تخبرني شفهيًا أن هذا النص جميل ويحتوي بعض الأخطاء اللغوية! لكن لم يحصل وأتمنى أن يحصل يومًا ما، هذه الأمنيه أخذها الله على محمل التحقيق، إنني لا أعرف كم تحب المكان الذي تقيم فيه، وما مدى تمسكك به، هذا التمسك بالدرجة الأولى سيصنف ماديًّا، لأن لاشيء على وجه الأرض يجبرنا أن نغادر الوطن سوى المال، مرة أخرى أقول لك إنّ الحياة خدعة كبيرة، وأقل ما يمكننا فعله أن نموت بين الأشخاص الذين نحبهم، إنك تغيب أيامًا كثيرة وينبع بقلبي الحنين فجأة، لكن بالرغم من كل شيء أشعر أن هذا كله مؤقت والحدث الأكبر الذي سيحرم عيني النوم على وشك أن يحصل، أشعر دائما في الرغبة بأن أقول لك أترك كل شيء وتعال، لكن امرأة مثلي تخشى أن تكون صاحبة أي قرار، هذا لأني لا أطيق احتمال النتائج.

***

ربما يسألني العالم كله عن طبيعة المشاعر التي تجمعني بك حسناً تبدو الإجابة صعبةً بعض الشيء لكن سأقول:

قد عنيتَ لي الكثير، ربما لأنك شخص مثقف قادر على النقاش لآخر نفس، فـأشعر بارتياحي حين أحدثك، إن أهم ما يمكن أن نشعر به هو الراحة، ربما لأنها الشعور المسيطر على باقي الأشياء.

***

عزيزي، أعتقد أنه بإمكانك أن تكتب لي أكثر من صفحة لو أمكن، الأشخاص

سامر وهنادي

الذين يوثقون لنا أحداث حياتهم بصور ونصوص، هم وحدهم القادرون على البقاء في داخلنا مهما حاولت المستجدات والظروف أن تقتلعهم، أود بهذه الفترة أن أشعر بوجودك معي قدر الإمكان، لا أعرف السبب، يمكن لأن غالبية الأشخاص المحيطين بي يتحولون لـكتل تشاؤم وإحباط.

***

ستبقى الرجل الوحيد الذي بإمكاني أن أرسم له صورة مُستعجلة كاملة، بعيونه البنية وذقنه الأسود وأصابعه الطويلة، الرجل الذي يعنيه أن تكون ياقة قميصه مكوية ومرتبة دون أن يكلّف نفسه بفعل ذلك.

في حضرة الذات

إحكيلي إحكيلي عن بلدي إحكيلي
يا نسيم اللي مارق عالشجر مقابيلي
عن أهلي حكايي عن بيتي حكايي
و عن جار الطفولي حكايي طويلي
يا نسيم اللي مارق عا أرض الغار
حلفتك تجي تلعب عندي بهالدار
خبرني انكان بعدو بيذكرني
ببلدي و عالسهرة ناطرني

وبِتُ الآن أؤمن أنني أكثرهم حَظًّاَ! أنا الذي اقتات عليّ الزمن بشراهة وأريحية، حتى كدت أن أتعرّى وأستسلم، وكان العُمر ثقيل يا رفاق، ثقيلٌ على الرجال الذين يفكّرون أكثر من اللازم مثلي، ثَقيل كـمرساة سفينة، ثقيل على مَن لايسمحون للأحداث والألفاظ أن تمر من أمامهم مرور الكرام، على مَن لا يأكلون بغية الشبع، على من لا يعجبهم إلا عُشب الضِفة المُقابلة، على مَن يجلسون بجانب الشُباك مُترقبين أن تُشرق الشمس من مغربها - بدافع الفضول مَثلاً - ثَقيل هذا العمر على قُلوبٍ لا تستهويها القامات الممشوقة والشفاه المتورمة بالدرجة الأولى. العُمر الذي يفتح بوجهنا باب الحظ مَرة واحدة، ثم يركلنا في مؤخرة قلوبنا، و الحمدلله أنكِ كُنتِ هُناك، في اللحظة المناسبة!

رأيتكِ، خَلف الباب! أي باب بالتحديد؟ لا يَهم، المهم أنك أنتِ التي سيعجبها طعم عُشب الضفة المقابلة...

أنا أظهر دائما للعالم بوجهٍ بارد وملامح ساكنة، لكن أنتِ الوحيدة التي يقع

سامر وهنادي

سامر وهنادي

على عاتقها أن تترجم هذه الملامح وتفهم فحواها، أنا على يقين أنَّ كل امرأة في هذه الدنيا قادرة على فَهم وحفظِ رجل ما، وإعداد فنجان قهوته دون أن يطلب ذلك.

كنت أجلس أغلب وقتي وحيداً، أكسر وحشة وحدتي بكتابٍ فلسفيٍّ دينيّ، ويبدو أنك تفهمينني جَيداً.. شكرَاً على هدية عيد ميلادي الثلاثين «كتاب استرداد عمر»

أريد أن تصبح جميع الأمور في حياتي على ما يرام، لذلك لا أدري إن كان من المنطق أن أدرجكِ ضمن أول أولوياتي، لا أعني التقليل من شأن العاطفة إنما ما أعنيه أنني لا أريد لهذا الأمر أن يكلّفني أي حزن، وكما أشعر لن يحصل ذلك!

نحن يهمنا أن نحب الأشخاص الذين لايشبهوننا بالحب، كيف ذلك! مَثلاً: أن تستيقظي يومياً وبأيام عُطلكِ لتوقظينني على عملي هذا يعد بذاته اختلاف.

رُبما عاطفتنا الكبيرة هي التي توزع الحُب على جزئيات حياتنا، مُبتدئين بالعبادة «حب الله». إذا كانت لديك مشاعر قوية ومختلفة هذا يعني أنك عبد صالح، قادر أن تحب.

حين تُكتب هنا كلمة الحب، يُقصد بها كل المسميات التي علمها الله للملائكة، لأننا نحب كل شيء بطريقة أو بأخرى، و بوعيٍ ودون وعي!

***

بالنسبة لي أيضاً أحب أن اكون مَعكِ، أو لنقل أحب أن تأتي هنا.

هل من الحِكمة أن نكون أكثر المخلوقاتِ تأنٍ وحذر إلا في أهم قرارات حياتنا؟ هذا فِعلاً ما حصل! صَدقيني لم يحتمل الأمر معي أكثر من صلاتين ودعوة، تحدثت مع الله كثيراً بحكم أن لا أنيس يشاركني هذه البلاد ولا صديق يؤتمن على سر. خلاصة القول أن شعور القلق الذي بداخلي تحول

سامر وهنادي

سامر وهنادي

لِـسَكينة!

مُنذ سنوات وأنا أفكر بملامح المرأة التي سأفتح عَيني على وجهها صباحاً، ربما لو عرفت ذلك قبل الآن لضحكت كثيراً! من أنتِ؟ بالله عِليكِ كيف جِئتِ؟ وهل الكرم الجَغرافي هُو مَن جمعنا! أم أن مغتربًا مثلي خُيل إليه أنك زيتونة أو نجمة أو حبتي رُمان أو شيء من هذا القبيل، يلعقُ من ملامحها رائحة وطنه؟ ما أذكره جيدًا أنني قصدت بيت الله في وقت لا يرتاده المصلّون عادة، وطلبت من الله أن يرزقني، يسعدني، يلهمني، يرحمني، ويطوي مسافات الأرض فـنلتقي دون قصد أو ميعاد، رتبت طلباتي وعلقتها في سقف المسجد (وكان اسمكِ الذي لا فكرة لدي عن عدد حروفه ومعانيه يحتل الصدارة) طلبتكِ بصيغة المجهول، وكلّي أمل أن تجيئي بأسرع وقت ممكن، أقصد بأسرع حب وشفاء ممكن!

«ربما ما حصل أنني أخرجت الدنيا من قلبي بغية أن يضعها الله بين يدي«

***

كنت أنتظر أن تأتي، فتملئين الثقب الموجود في عنقي، هناك حيث أتنفس الصعداء بصعوبة، كنت أرتجي أن تكوني الجزاء الطيب، الذي قرأت عنه مرارًا، قد لا تدركين معنى أن يجاري الرجل صبره، وأن ينتظر ثلث عمره على أمل أن يسعده ما تبقّى، إنّ أسوأ ما قد يحدث أن ينظر المرء لنفسه بعين اليأس! وطالما يذكره شخص أو كتاب أو برنامج تلفزيوني «أن لا يأس مع الحياة ولاحياة مع اليأس «. لكن يبقى تذكير الله هو الأعظم والأقدر على حل كل عقدنا النفسية «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله «

***

أدرك أنه نادرًا ما يعترف الرجال أنهم عاشوا أيامًا فقدوا فيها نصف قوتهم، يمكن لأن عمر الرجل مرتبط بمدى تحمله، من جهة أخرى يعنيني أن أحصي تلك الأيام مرقّمةً ومؤرخةً كي أرتجي الله أن يستبدل ضعفها بعكسه...

سامر وهنادي

عندما يجيء الفرح بعد عدة نكسات يُحتَفل به كأنه عيد سنوي. أظن بأن هذا ما يجعلنا متعلقين أكثر بالأشياء والأشخاص الذين يجيئون بعد حالة فقد وفجع مروّع، هم أشبه بأقل نسبة مئوية لاحتمالية الشفاء، ومع ذلك يحصدون نتائج مبهرة!

***

تزامن قدومك مع الوقت الذي أستودعت الله فيه قلبي، وحاشا لأقدار واختيارات الله أن توجعنا! لنقل أنه من المهم أن لا يشكل اعتبار أحدهم جزءًا من حياتنا أي عائق أو تغيير على الوضع الراهن، ونحن كبشر نرفض أي محاولة تغيير ولو من باب الإصلاح، نحب أن نعتاد على ما لا يجوز أن نعتاد عليه، قضية الالتزام تشكل منعطفًا خطيرًا في حياة أي رجل على وجه الأرض بدا الأمر يعني لي أشياء غير ذلك، ربما لأنك لست أكثر أو أقل مما أطلبه.

***

لنا القدرة على إبتلاع كل الذي مضى، في حال أن دهشة الحاضر أنستنا طعمه، أنت تعرفين جيدًا أن ما يعتصرنا ألمًا يرحل ويأخذ معه وجع تلك اللحظة تاركًا الأثر، وأقصد تماما أن لا أحد منا مغلف ببلاستيك ولم يسبق له أن خدش أو وقع قلبه؛ سواءً جراء موقف بقصد أو دون قصد، لكن بإمكاننا أن نصبح أبناء ساعة معينة، ونؤرِّخ ذلك اليوم بيوم ميلادنا، في حال أحبنا أحدهم رأفةً ومودةً ورحمةً.

أرسل إليك بعض الصور وجمل مختصرة، تلغي من فارق التوقيت بيننا نصف ساعة و بضع كيلو مترات على الأقل، كي تشعرين أنكِ هنا، الفنجان الذي في يسار الصورة لك.

حدثت أشياء كثيرة، يمكن عد بعضها جيدٍ والآخر سيء، لكن حتما أنت من أفضل الأشياء التي تركل بكعب حذائها الأسود حصى وكدر الماضي، معلنة عن بداية مشرقة...

سامر وهنادي

ربما أنا الشخص الوحيد المحتاج لك في هذا العالم، والله وحده يلتمس حاجتي، أنا أحتاج لامرأة تدخل أعمق صدري، وتفهم أنه ليس بمقدوري أن أنظر للورد دون أن أقطفه! أحب أن تكون كل الأشياء ملكي، أنا في الحياة خصم قوي يقاتل للرمق الأخير!

الوساوس تأكل دماغي، هذا لأننا «عندما نخاف أن نحب أحدهم... نكون قد بدأنا بالفعل فى حبهم» احلام مستغانمي

نحب أحدهم لأننا بحاجة ونيس، و آخر لأننا بحاجة مال، وآخر لأننا عاطفيين جدًا، و آخر كي نعبر معه إلى شط الأمان. الأمان الذي يترأس قائمة المشاعر ويتفرع لحب و احترام وسعادة.

لن ينتبه أحد لوجعنا ولن ننجح حتى نحن بتقدير درجة الإيذاء التي لحقت بنا، إلا حين نعيش موقفًا مغايرًا بظروف معاكسة...

الطرق التي سلكتها كانت متعرجة وتسببت لي بتورم أقدام و دوار، الأشخاص الذين لمحتهم أثناء المسير كانوا كاذبين و استغلاليين بالدرجة الاولى، لا يستحقون أن أذكرهم أو أكتب عنهم حتى لأنهم أقل من أن يوجّه لهم نص أدبي، لا تعنيني أخبارهم ولا أسفارهم، ما يهمني أن أقول أنك جئت طيبةً وبيضاء بقدر خبثهم وسوادهم!

حين أبدأ الكتابه أقرر أن أسمح لقلبي أن يخفق بحرية، هذا لأن كتاباتي تشبه رجلًا آسويًا بشعر أجعد وشارب طويل، يعقد حاجبيه، كتاباتك إوزة بيضاء.

***

في كل مرة كنت أحاول فيها أن أبتدئ من جديد، أتعرقل وأهوي أرضًا، بعد أن تورم جسدي وقلبي، اكتشفت أن ما مضى كان تمهيدًا للحدث الأكبر والأفضل! قدومك أنت كانت دهشة وجودك في حياتي مساوية لخذلاني وقلة إيماني بالجزاء الدنوي، لذلك أحببتك ضعفين، عن ما مضى، وعن الآتي...

سامر وهنادي

الإسلام يجب ما قبله

تقول لي دومًا (أن كل شيء يحدث بسبب... ولسبب) السنعوسي

ستسألني ربما كيف لامرأة أن تشرك رجلًا في تفاصيل حياتها دون أن تطلب منه ضمانًا اجتماعيًا أو وعدًا! أقول لك أن النساء الذكيات يمكنهن انتقاء الأبطال ببساطة.

قد أنبأتني هذه الدنيا بأشياء عديدة من ضمنها أنّ هذا العمر سيأتي عليَّ وحيدة، لأن لا أحد على قدر من الحب والمسؤولية، لكنك من الناس الذين يعيدون نبض اليقين إلى صدري تدريجيًا.

أصلّي كي يبارك الله هذا الحب ويكتب له العمر المديد!

يُخيّل إليّ أحيانًا أنه لابد أن نتذوق جميعنا الطعم المر بطريقة أو بأخرى، منطقيًا لو لم نشعر بمرارته لما أدركنا أن هناك شيء يطلق عليه الطعم الحلو، هذا يشبه أن تتعامل مع جميع الطبقات المجتمعية ابتداء بالأسوء وانتهاء بالأفضل، هذا يضمن لك رضى ناجم عن تجربة شخصية، إذن توقع أن تلتقي ألف شخص معتم قبل أن تبصر بصيص نور أحدهم، الطريقة المثلى لفهم الأشياء هي التعرف على أضدادها.

يوم قرأت نصك الذي يحمل عنوان (أنثى من عالم خرافي) لم يستهويني التركيب اللغوي والجمالي للعنوان بقدر ما يحويه أسفله، منهجيّتك في التعامل مع الإناث، كفيلة بأن تجعل أي فتاه تدخل مضمار حياتك سعيدة، لكن الأهم أن سعادتك أنت ترتبط بعوامل وأسباب معنوية لا تجيد صاحبات القامات الطويلة والألسن الأطول ممارستها!

نعم أنت الشخص الذي لم أرغب أن أقرأ كتابات شخص كما رغبت بذلك معه، السبب يعزى إلى أن منطقيتك هي الحلقة التي أفتقدها أنا «وفاقد

الشيء يعطيه»

أظن أننا في كل مرة قادرون أن نحب من جديد كما لم نحب أبدًا، وهذا يعتمد على صدق و إيمان طرفي العلاقة أن ما حصل و ما يحصل تعاليم سماوية...

ما الحب الا للحبيب الآخرِ...

سامر وهنادي

الرسالة الأولى
أوصيكم بها خيراً...

إلى كل من عرفَتهُم، إلى كل من لم تعرفُهم، إلى كل من ستعرفهم، إليها هي، إليّ أنا، أوصيكم بها خيراً...

ستصاب بصداعٍ وزكامٍ وهزلْ، ستمرُّ عليها حالات ضعف... وجعٍ و انكسار، اتركوها تهذي ولا تقاطعوها، فقط استمعوا لها و ربّتوا على كتفيها الهزيلتين...

إياكم أن تبحثوا لها عن حلول، لقد استنزفت حلولها وحلولكم فقعدت سريرها.

أوصيكم بها خيراً...

دعوها تحتسي قهوتها مساءً، مزاجيةٌ هيَ ولطالما أحبّت النوم في صباحاتها البائسة، و ربما ستنهض ذات يوم قبلكم جميعًا، تشتم نسائم الصباح، وتترنم على ألحان طيورها.

أوصيكم بها خيراً...

اهدوها في عيد ميلادها حبراً على ورق؛ ولا تنسوا وردها الأبيض في يومها.

اتركوها تنظر إلى السماء ليلاً، فلطالما أحبت أن ترى نصفها الآخر يحتل مكانًا في سمائها.

اجمعوا شظايا المرايا من قلبها و انثروها مجمّعةً في غرفتها، كي لا تنسى ملامحها وسحر عينيها في خلوتها كما اعتادت أن تفعل...

وإن عزمتم أن تهدوها لحنًاً، فاهدوها لحنًاً على وترٍ من شعرِ ذيل خيلٍ عربي، لحناً بملامحَ شرقيةٍ على آلة عود مقدسية.

امنحوها فسحةً من الوقت لتختلي بنفسها، ولكن لا تتركوها وحيدة، الفراغ يقتلها ويقتلني معها.

لا تحدثوها عن الوطن، الوطن يوجعها ويوجعني، حدثوها عن الحرية، عن غدٍ أجمل، حدثوها عني!

وإن أمطرت الدنيا، دعوها تمشي تحت قطرات المطر وتهذي، دعوها تبكي مع السماء، امرأةٌ مثلها تحتاج لموعد مع البكاء، جففوا مدامعها، واعطوها قليلاً من الحنان، ودعوها تخلد لفراشها دافئة.

ستنهض صباحاً لتسرح شعرها الأسود الطويل، وترتدي ألوانها السماوية، وتضع رشاتٍ من عطرها المفضل، وتمضي... في جولةٍ صباحية.

الصمت لغةٌ تجيدها بحِرَفِيَّة، فالتزموا الصمت في حضورها، وإن خانتكم ألسنتكم فخير الكلام ما قل و دلّ...

أوصيكم بها خيراً...

وإن سألتكم عني فإني بعيد قريب، أقرب من رمشها لعينها وأبعد من أرضها لسمائها.

إن سألتكم عني أخبروها أني صليت لربي ركعتين... لها، وسألته من فضله العظيم لها، ولملمت ما تبقى لي من كرامتي ووطني ومضيت في طريقي.

أخبروها أني تزوجت غيرها، وكتبت شعراً لغيرها، وتغزلت بغيرها؛ أخبروها أني نسيتُها وما عادت هناك ذكرى تجمعني بها...

سترتسم بسمةُ سخريةٍ على شفتيها، وتغفر لكم سذاجتكم، ثم تمضي متمتمة "يا لجهلهم! ألم يعلموا أنه لو فقد عقله سيحدث المجانين عني...!"

...

أوصيكم خيراً بها، و أرجوكم... لا تنقلوا عني كلامًا، فحقوق الحب والنشر لها وحدها!

التاسعة مساءً بتوقيت فلسطين

قررت أن تحزم قلبك وأمتعتك وتغادر لوجهة أخرى، يهيء لنا جميعًا أنها مكان مناسب لصناعة الأحلام والطموحات، أنت كنبتة تعيش على طرف الطريق، تعتاش على مياه المطر، تلائمك جميع الظروف الجوية والإجتماعية، لكنك ترغب من باب الفضول أن تقتلع نفسك و تشبع غريزة التجربة، كنت أعرف أن هذا الطريق صعب، وممل، ومزدحم بالوحدة و القهوة والوجبات السريعة. يومها قلت لك أن معدتك أضعف من تحتمل، و قلبك أصغر من يغترب!

***

ربما ضعفًا مني ورغبةً سأزعجك هذه الفترة بأسئلتي المتكررة و اتصالاتي المتتالية، فأنا لا أمتلك زمام نفسي، هل تعتقد أننا نخطئ حين نحب أحدهم أكثر من اللازم؟ ما الخطأ الذي نقترفه؟!

هل رأيت شكل فمي كيف تغير حين غادرت؟ هل أصبحت أكثر بشاعة؟ أم أن عيوني الكبيرة لا زالت تروقك، صحيح أنها تشبه عيون الباندا حين أبكي إلا أنها بنية وبعيدة قليلًا عن الشكل الدائري، والأهم أنها تؤدي وظيفتها في الحياة، تراك يوميًا، او كانت تراك يوميًا، أما الآن تغير الوضع، لن أكون في أشد ساعات سعادتي للأسف...

أتظن أنني سأجيد التواصل مع الله، لابد أن أفعل ذلك وبأسرع وقت ممكن، سوف أخرج رأسي من النافذة وأرفع نظري للأعلى قبل أن يهبط بي يأسي للأسفل! وأنت توقف عن التجهم و بصق بقايا السجائر بشكل عشوائي، بالله عليك قل لي ما يقلق بالك، أليس العمر بيد الله والرزق بيد الله والحب بيد الله وأنا وأنت بيد الله؟!

وددت لو أرتب أعضائي بزاوية حقيبتك، على جهة اليمين ملائم جدًا بين

القميص الأخضر والأبيض، أو على زاوية الحقيبه اليسار محاذاة لجاكيت بدلتك الرسمية، لكن لسوء الحظ هذا لا يمكن، في عالم موازٍ قد تحملني أنا في يدك وتترك حقيبتك على السرير تبكي! من يدري؟

البارحة بدأت أحصي قائمة المفقودات، انتهت القائمة دون أن تتخلل اسمك أو اسم أحد من عائلتي، حينها أدركت فعلًا أنني لم أفقد شيئًا هذه السنة، هذا رأيي الشخصي...

***

يجب أن تحترم كل ما يبذله الله لأجلك، إخجل من نفسك، وانهِ يومك بابتسامة!

حسناً، بالرغم من أنني أجلس وحدي وأغلق فمي بيدي كي لا يزعج أحدهم بكائي إلا أنني أمتلك القدرة على أن أجعلك أفضل حين أدس كلمة أو إثنتين ملونات بالأبيض وسط هذا الكم من السواد.

لن نصح من خيالاتنا وأحلامنا هذه إلى حين تتدحرج فوق رؤوسنا صخرة التجربة، التجربة هي مصطلح كفيل بأن يضاعف عدد سنوات عمرك دفعة واحدة، أهذا ما دفعك للسفر؟!

يمكنني القول أنني أفتقد الشخص الذي كان لاحاجة لرسائل كي أتبادل إياه الحديث، الشخص الذي سيقلقني غيابه، يوجعني إمتداد غربته عني، سأضاعف دعواتي و ابتهالاتي كي يمضي هذا الوقت.

وكما يتعلق الغريق بقشة، أنتظر أولى رسائلك لعلي أنجو من وحدتي هذه، غالبا وحين يقرر طرفان تبادل الرسائل المكتوبة يلجئون إلى الشكل المعهود للرسالة... يفتتحونها بالتحية ويفرغون محتوى قلوبهم في منتصف الوقت ودائما النهاية تمنيات بالخير والصحه والسلام.

أما أنت هل ستشبه البقية؟ وما القيمة لرسائل كتبت نفسها ألف مرة بألف طريقة!

سامر وهنادي

سأخبىء رسائلك في يمين صدري كي تنمو وتزهر لأن الجهة المقابلة مزدحمة بك.

يمكنني أن أقول أنني أنتظر أن تبعث لي بأقرب وقت ممكن، هذه الجملة تشبه الستينيات والسبعينيات حين كانت الرسائل الطريقة الوحيدة كي نخبر الآخرين أننا مرضنا، تعبنا، تزوجنا، نجحنا، وشعرنا بحاجة لقص.

أنا أؤمن أننا سنمارس الحب الحقيقي حين نعود للزمن الجميل، زمن «كاسيتات» عبد الحليم وأم كلثوم

الأوراق هي الإثبات الوحيد الذي يضمن للعالم أننا أحياء

الزواج يحتاج لعَقد على ورقة، والموت يوثق على ورقة، والولادة على ورقة، والحب على ورقة...

***

ترافقنا القلوب حتى وإن فصلت مسافات بيننا وبين أصحابها، تنحاز لنا وتتزحزح باتجاهنا، و تتخلى عن صدور أصاحبها أحيانًا، تخيل فيما لو أراد أحدنا الرحيل وأخذ قلبه معه أينما ذهب! كم سيبدو الأمر أنانيًا وقاسيًا، ماذا يمكن أن تفعل كي تطوي المسافات وتحافظ على دهشة وبهجة المشاعر التي ترتبطك بالطرف الآخر؟ والمؤذي أيضا أن دواخلنا تخضع للتغيرات بشكل أكبر وأعمق منا، ابتداء بأن رئتيك يلزمها أن تعتاد أكسجينًا جديدًا، ومرورًا بأن عيناك ستلمح تقاسيم وجوه لم يسبق لقزحيتك أن ترجمت تكويناها، في مكان آخر من هذا العالم ستتفوق على الزمن بمراحل وتثقل حمل كاهلك بفكرة الموت التي ترتبط بمفهوم الغربة بمعنى أو بآخر، خوفك الأكبر أن تموت وحيدًا، وخوفي الأعظم أن تموت...

***

اكتب لي كي يبدو الأمر أقل شراهة وغرابة، وكي تساعدني على هضم المعطيات والتجارب، اكتب لي كي أزج نفسي في غرفتك الصغيرة وأتعلق فوق ضوء

مصباح أوروبي الصنع، اكتب لي كي يكون بمقدوري أن أرسم لملامح حياتك الجديدة صورًا أخرى، و كي أبكي بحرقة أقل، أخبرني لو أردت أن معدتك تعاني من تشجنات بسبب طبق طعام دخيل، اقتحم أحشاءك للمرة الأولى، وبالوقت ذاته يبدو الجو مؤهلًا ولطيفًا لكل الممارسات الحياتية التي تحتاج لإذن قانوني كي يسمح لنا بممارستها كفلسطينين.

لو كنت أملك قلبًا مستقرًا لا يرحل تباعًا خلف خطى أحبابه لكان الأمر أهون، في الجزء الأخير اكتب لي أنك تحب الله كثيرًا ولن تسمح لنفسك أن تنسى هذا الحب العظيم.

***

أنا أصغر من أن أستوعب وأفهم الأمور بشكل منطقي، أصغر من أن أقدرها كما يجب، لذلك غالبًا ما يعتريني سوء فهم وتحليل لبعض الأشياء، وهذا الشعور سيء جدًا، لأنه يفرض على صاحبه أن يشعر بالعجز، مخي الصغير يعاني من سوء هضم! على أي حال يمكن أن تباغتنا السعادة دفعة واحدة فنعود بشهيتنا للحياة.

***

يجدر بنا أن نعلم أنفسنا على حب القليل، كي تبقى على قيد الأمل حين ينضب الكثير الذي اعتادت عليه!

لا تخف إني معك حتى وإن لم أكن معك لفظيًا وفكريًا، إلا أنني اؤمن بك وأرتجي من الله أن يكون معنا، فنحن في أشد حاجتنا إليه، في كل ظرف نظن أننا في أشد حاجتنا لله، في كل مرة نعتقد أن هذا هو الوقت الأسوء الذي لاحل ولا حيلة لنا فيه إلا رحمة الله، ونتدارك الموقف كسابقه ونمضي، ليفجعنا شيء أكبر وأعمق فنرتجيه مرة أخرى خوفًا وحبًا وطمعًا، هذه الحياة تتعامل معنا بالتدريج، تعلمنا أن نحبو ثم نمشي وبعد ذلك نهرول كي لا تدوسنا أقدام الكبار، و كثيرًا ما نعود لحجر أمهاتنا فاقدين كل شيء، حفاة عراة لا نفقه من اللغة سوى التمتمة!

سامر وهنادي

سامر وهنادي

كيف يموت الأشخاص؟ لا أحد يموت فجأة، الجميع يموت كما خلق، بالتدريج، يموت حين يغيب وحين يمرض وحين يفقد وحين يسافر وحين يجوع وحين يطلب الله من الملك أن يقبض روحه!

سأبقى أكتب إليك على أي حال، وأحدثك يوميًا عن تفاصيل التفاصيل، عن طول شعري وعمري وأطباق طعامي وأوجاعي و تململي و تأففي وقلة صبري وسوء غضبي، وعن تعبي الإضافي في التفكير بك والدعاء لك...

***

العزيز الذي تفوق ثقتي به هذا العالم، أنا لا أتذمر، أنا بخير، أنا بصحة جيدة لكن البدايات مرهقة وتكلفنا الكثير، الكثير من التأقلم والتعود والصبر والعبادة، لكن أود بهذه الفترة أن أشعر أن ما حصل مؤقت، مسألة سفرك مؤقتة... أجل مؤقتة، سأكرر هذه الجملة يوميًا! وبصوت منخفض، لأن الأمنيات والدعوات تختفي وتتغير وتتحول لأضدادها حين تقال بصوت جهور، هذا لأن آذان الناس كبيرة وألسنتهم خميلة وسوداء!

***

ستستمر جميع أحداث الحياة رغمًا عنا، وعن البقية، هذا لأن اختيارات الله وقراراته ستبقى الأفضل مهما اعتقدنا عكس ذلك... ستظل الأنسب وتشعرنا بالسعادة، هذا لأنها فقط من عند الله الذي خلقنا وأودع في قلوبنا أشياء كثيرة.

ابتسم كما أنني أمامك أعد لك فنجان قهوة...

يبدو ياعزيزي أن هذه الحياة تعاقبنا بأحب الأشخاص على قلوبنا، لذلك يتطلب منا أن نكرر أسماءهم في كل صلاة، كي يبقوا بخير وعلى قيد الحب والحياة!

سامر وهنادي

الرسالة الثانية
"طريق النمل"

ابتدأت الحكاية في الغربة - غربة المكان طبعًا - لأكتشف لاحقاً أني كنت غريباً عن نفسي وأنا أعيش في الوطن، وأني حقيقةً عرفت نفسي حين ابتعدت بعيداً عن وطني... وكم منا يعيش بوطنه غريباً، قد لا يدرك ذلك حالياً لكنه في لحظةٍ ما من عمره سيدرك كل شيءٍ ويفهمه... في أيام الغربة الأولى ستبقين أسيرةُ الحنين والشوق لوطنك، أهلك، أصدقائك، ذكرياتك، لوجه يعني لكِ الدنيا ومن فيها، مدركةٌ أنتِ أن الأيام ستطول، وربما تعودين وقد تغير كل شيء. ستذرفين الدموع، ستندمين على كل شيء، سيأكل الحنين قلبكِ، فوجدانك وأحشاءك؛ سيتركك فارغةً، سيفسدُ هذا الشعور، أي محاولات لكِ للاندماج في المجتمع الجديد. ستمسين وحيدة وأغلب الأوقات شاردةَ الذِهن، عقلك وجوارحك في مكان آخر. ستتواصلين مع أشخاص لم تُعيريهم أي اهتمامٍ منذ زمنٍ بعيد. ستقولين كلاماً كنتِ قد كتمت نفسك عن البوح به منذ زمن... هو يشبه الإحساس بالموت فعلاً... أنتِ مقبلةٌ على الموت، لذلك لن تضيِّعي أي فرصة للاعتذار، للبوح، لإبداء أي مشاعرٍ أخفاها الكبرياء... انتهى الجزء الدرامي من الحكاية... ستستيقظين ذات صباحٍ وجروحك قد التَأَمَتْ، حنينك تبخر منه الكثير، شوقك بدأ يتلاشى رويداً رويداً. ستفتحين عينيك على عالمك الجديد... الناس سعداء، نظام، حرية، انبهار...! ستروق لكِ فكرة المجتمع الجديد، وستبدأين بالاندماج والاستمتاع... «أنا أملك كل شيء يفتقد إليه وطني، لماذا لا أكون سعيداً؟!» تسألين نفسك ربما الجزء المعقد والذي يكلفكِ الكثير من التفكير أن أحدهم يثير فيك رغبة الحنين والعودة بعد كل حديث... هناك حيث كل شيء مفرود على الطاولة... حرية، رغبات، شهوات، أشخاص، كله بالمجان، بلا حدود، وبلا ضوابط. أنت من تقررين متى وكيف وأين... لن يراك أحد، ولن ينتقدك

سامر وهنادي

أحد. الأمور سهلةٌ إذاً...

يبدأ الامتحان الأصعب... تجدُ إيمانك قد ضعف، هو لم يضعف حقيقةً غير أنه لم يعد كافياً ليقف في مواجهةٍ مع كل مظاهر الانحلال هذه. باختصار، تجد خللاً بتوازن القوى. تسألين نفسك؟ «لكن لماذا كان هذا الإيمان يكفيني في وطني!؟ لم أتصادم مع نفسي بهذا الشكل هناك!» أنتِ لم توضَعي موضع اختبارٍ مع نفسك في وطنك، كنتِ تعيشين في وطن ينتقد هذه التصرفات، ربما ستفكرين بكلام الناس، وربما الظروف لم تكن مهيئةً لتختلين مع نفسك وتكشف لك عن خباياها.

بمعنى آخر، في وطنك ستفكرين بالظروف الخارجية المحيطة بالمعصية، وبالنتائج المترتبة عليها، لذلك سترفضينها رغم أن نفسك لا تزال تشتهيها! في الغربة، الموضوع عكسي تماما، آخر شيءٍ ستفكرين فيه هو الظروف، ستفاجئك نفسك... ولأول مرةٍ ستصطدمين بها. ستزين لك المعصية، وشعور داخليّ سيقنعك أن ما ستفعلُينه ينتمي للمجتمع الجديد الذي تعيشين فيه. قد تكون هذه معاصٍ في بلدك لكنها بمفهوم المجتمع الجديد حق... وبها أنت لم تخرجي عن المجموع. الشيطان سيعرف طريقه إليك. سيزين لك بعض الآثام الصغيرة ويستدرجك لأخرى أكبر وأكبر. هذا هو السيناريو الذي يحدث مع الكثير. الطريق الذي لا نعود منه. كان لا بد أن أصمد وألعب دور البطولة ثم أعودُ لوطني، وربما أُألف رواية عن رجل ضحى بحياته ومستقبله وعاد لوطنه ودينه. ستبدو روايةً تشد القلوبَ وتكسب المتعاطفين... «يا له من شجاع!!» سيقولون؛ «لكن من يضحي لأجل دينه هذه الايام!؟» وهذا هو المدخل الذي اتبعه الشيطان معي، وإذا كان لا بد له من الخسارة سيجمل لك أقل خسائرهِ لترينه بلا خسائر...

اخترتُ الصمود.... لقد اتكأت في استراتيجية الصمود خاصتي على ركيزتين. لأني كنتُ مقطوع القدمين كان لا بد من ركيزتين، ركيزةٌ للشوق وركيزةٌ لإغراءات المجتمع الجديد؛ الأولى كانت تقويةُ الإيمان، ميزان القوى، التقرب إلى الله وسؤاله العون، بغير عون الله ومشيئته لن تصمدي أمام أي شيءٍ في

سامر وهنادي

هذه الحياة؛ مهما أوتيتِ من قوة.

وكان لا بد من الزيادة، لأن إيماني السابق لم يعد كفيلاً بالمواجهة، كان لا بد من الزيادة والأخذُ بالأسباب. الثانية كانت تغيير الطريق. تغيير الطريقِ وليس الهدف. كانت الطريق مليئةً بالشُبهات والمغريات، فكان لا بد من تغييرها. الكثير منّا ينسى الهدف وعلى غفلةٍ يتوه في الطريق وتنسيه الطريق بمكائدها وقطاعها والتواءاتها الوجهةُ فيتوه مع التائهين. الهدف إذاً هو ما يجب الاحتفاظ به، أما الطريق فيمكن تغييرها.

اتخذت من الأرضِ مجالاً لبصري. كانت الطريقُ نظيفةً وضيقةٌ، لا تتسع إلا لشخصين، ممراتٌ ضيقةٌ بين الأشجار... الأرض التي لطالما نسينا النظر إليها وهي أقرب إلينا من حبل الوريد، التي جُبِلَتْ منها قلوبُنا... الأرضُ التي جئنا منها وستكون مأوانا الأخير... أمعنت النظر بالطريق... إنه النمل، يمشي هنا وهناك، النمل في بداية يوم عمل جديد، كيف أمكنني رؤيةُ النمل خاصةً أنهُ صغير الحجم ومدى الرؤية بعيد؟! ربما لأن الشوارع كانت نظيفة.

يذكرني هذا بكثيرٍ من الأشياء الجميلة التي لم نعد نراها بسبب الأوساخ المتراكمة على طرقاتنا وأدمغتنا ربما، قد يتطلب منا أن ننظف الطريق لنرى بوضوح... سأتفادى بخطواتي أن أدوسَ أي نملة، بطبعي ومنذُ صغري لم أعتد أن أقتل مخلوقاً يسبِّح لله مهما كان صغيراً... ألا يذكرنا هذا بذنوبٍ ظنناها صغيرة وهي عند الله كبيرة؟!... العيب بالمكيال الذي نكيل به الأمور. أكتب لك هذا الكلام وقد كادت أن تفوتني صلاة المغرب... لا أدري، تتدفق علي الأفكار واحدة تلو الاخرى دون انقطاع، وأطمع بكتابة المزيد خشية أن أنسى ما أريد ان أخبرك به... ألم أقل أنه الشيطان... «سيختار أقل خسائره!»... وكأنه يحدث نفسه: «وبعزتك سأرسل عليه الأفكار حتى تفوته صلاته» كم هو ماكر... حتى بقسمه يعرف أي اسم من أسماء الله ينتقي!! كي لا أحقق للشيطان مبتغاه سأتركك... لقد عدت، وكم منا يذهب بلا عودة... لا يزال الشيطان يضخ علي أفكاراً حتى وأنا في صلاتي، هذا

الكائن لن يستسلم أبداً حتى يفسد صلاتي فحياتي، هذا التحدي الأزلي بيني وبينه. لقد قررت أن أبقى في المسجد، ربما يمكنني أن أنهي ما بدأته دون تشويش. سأختار موضع الضعف لديه، وأتسلل من هذا الباب على الاقل، حتى أنتهي من الكتابة، وسأخرج للمواجهة من جديد. لن أطيل عليك... لقد وصلت عملي من دون أن أنتبه لأي شيءٍ عابرٍ في الطريق، ربما أشخاص مرّوا من جانبي، ربما سيارات، ربما... ولكن أنا لم ألاحظ شيئًا، كنت أركّز فقط على الوصول إلى عملي وعلى أن لا أدوس نملة. قد أضطر أحيانا لأُحيد قليلا عن الطريق، أو آخذ المزيد من الوقت لأختار خطواتي. قد أصل عملي متأخراً، ولكن سأصل. أحيانا يكون مجال الاختبار في الطريق لا في الهدف، الطريق هي الامتحان. وفعلاً وصلت! وهكذا أصبحت أيامي وطرقاتي. ألا يذكرك هذا المشهد بكثيرٍ من الأشخاص، رفعنا القبعات احتراماً لنجاحهم وتميزهم رغم أنهم قد داسوا على النمل، وهتكوا المحرمات، وسلكوا طريق الشيطان؟؟! ونحن نصفق ونهتف لهم! أصبح المهم لدينا أن نحقق أهدافنا، بغض النظر عن الطريق، وما فعلناه في الطريق!

«أما أنا فاخترت طريق النمل، قد لا أصل لهدفي يوماً، لكني لن أدوس النمل في طريقي، ولن أختار طريق الشيطان» لا أحكي لك هذا الكلام تفاخراً... قد آتي الله بأضعاف سيئاتك، وقد أطلب منك أن تعيريني بعضاً من حسناتك يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون. لكنّي أكتب هذا الكلام لك ليكون حجة علي. سيكون شعور الكذب عليك رادعًا لي أمام كل معصية. لقد استخدمتك لمصلحة شخصية، أعتذر لكِ.

سامر وهنادي

محطة الباص المعطلة...
أحتاج لقلم حبر سائل

الناس مخلوقات لا يمكنها كبت ما يدور داخل أدمغتها وأفواهها، كل من يمنحهم السعادة والحب يرعبهم ويشكل نقطه تماس خطرة في حياتهم، أما أنا فـمتصالحة جداً مع ذاتي، وأحب أن أحبك على الملأ، ليس لأني مبتذلة جداً، إن لاحظ الجميع فأنا أحبك بمنهجٍ نبوي، كما يحب الرسول زوجاته «ولهُ المثل الأعلى في كل شيء» وأنت تبادلني الود ذآته، وأتمنى من الجميع أن يلحظ ذلك...

إلى عزيزي، مازلت أعيد قراءة الرسالة الأولى، أقرأها وأغمض عيني بعد كل سطر أو جملة تامة، أتخيل الموقف وأتعايش مع أجزائه بالتفصيل، ثم أبتسم، كل الكلام الذي ذكر كان كفيلًا بأن يرفع قدماي عن الأرض بمسافة تسمح لي أن أحلق لـبلادك البعيدة.

الحب أن يُشركنا أحدهم تفاصيل حياته للحد الذي يشعرنا أننا نجلس معه على غطاء السرير الملون ونحتسي كوب قهوة منصتين لبرنامج تلفزيوني يتحدث عن أخطر مخلوقات العالم، متجاهلاً البدء بالإنسان، مرة أخرى الحب أن يتعدى مرحلة المصطلحات المنمقة...

لو وددتم أن تفعلو مثلي أعيدوا قراءة الرسالة الأولى

***

إنني أحترمك، والاحترام ليس أقل أو أكثر من الحب، إنما هو الحب ذاته. الآن بعد أن بدأ الحنين لمنحنيات وتقاسيم وجهك ينخر عظامي، بدأت أحقن نفسي برسائلك المرتبة والمكتوبة بخط يدك اليُسرى، في هذا الزمن الإلكتروني، يشعرني بالطمأنينة أن تكتب لي بيدك. أبكي بحرقة وبغربة وكما

سامر وهنادي

لو أنني أنا التي تركت ديارها لـبلاد أخرى، لقد كان شهراً طويل أكثر من اللازم، دونت فيه أولى انتصاراتي، إنني تلك المرأة التي تنتظر أيامًا لتقرأ رسالة وصلت جوًا بدلًا من أن تنقر نقرتين على شاشة الحاسب فيختصر الوقت نفسه، ويتقلص لثوانٍ كفيلة بأن تلغي الغياب لفظيًا لا معنويًا.

تراجُع عدد الرسائل المكتوبة بخط اليد - وهذا مؤشر على مايبدو - لأن شكل الحب تغير، لايعنيني إن كان للأفضل أم الأسوء المهم أنه تغير، وأنا أحب أن تبقى الأشياء على سجيتها...

***

أخاف أن يرخي أحدنا يده وهي مشبوكة بكف الآخر، أخاف أن يمر علينا وقت نجلس في المقاهي والصالونات نروي قصتنا هذه كما يفعل بقية العشاق ونحملُ النصيب كامل المسؤولية، أخاف أن لا يتركنا هذا العالم وشأننا، أحتاج أن نشهق معاً نفساً طويلاً لنشعر الجميع بمدى تحملنا وقوة صبرنا على هذا الحُب.

أنا أبكي حين أعجز عن إخبارك ما يدور بقلبي، وحين يحصل ذلك اطلب مني أن أصلي، كي تخرج وساوس الناس والشيطان من جسدي، أنا أدرك أن هناك هالة كبيرة من القلق والخوف تحيط بنا، منبعثة من كل أولئك الذين خرجوا من الحُب بأكبر خسائر ممكنة!

***

أنت يدي الباردة التي تتجمد شرايينها حين أبدأ بالكتابة، عكس يدك التي يتدفق إليها الدم حين تهم أن تقحم نفسك في عالم الحرف، إنني أحمل بصدري من الإيمان ما يسمح لي أن أستيقظ كل يوم وأنا أحبك أكثر، الحُب تخاطر روحي، يحتاج لأن يتبادله كلا الطرفين، أنا أغرس رأسي في الأرض لأخبر الله عن ما يجول في قلبي، وهو يطمئن هذه الروح وينزل عليها السكينة، المسألة طردية، وبحاجة لإخلاص ونية!

سامر وهنادي

عزيزي، ما يسعدني في هذا العالم، أنك رجل أكثر من اللازم، وما يقبض قلبي ويضاعف ضرباته أن عرقك عربي، منذ القدم عبر العرب عن قيمهم الروحية والعملية، وبرعوا في الطب والصيدلة والهندسة والفلك وغيرها من العلوم، وقالوا أروع ما يمكن أن يقال في الحب والغزل، لكن أشعر أن عقدتهم في الحياة هي المزاوجة بين القلب والعقل، في حين أن الإنسان تاه تيهاً لا مثيل له حين كتب جلال الدين الرومي ديوانه (المثنوي) الذي صاحبه اعتراض عن الروحيات لحساب العقليات، في الحين الذي كان به المجتمع عقلاني بحت وبحاجة لمن ينفخ الروح في عاطفته الراكدة، لكن في وجهك قبس من نور يقول أن الكتاب لايشبهون غيرهم من الناس، لذلك لن تَهم بإيذاء قلبي...

من قُراء غسان كنفاني، ودان براون، ورضوى عاشور، وأحمد خير العمري، ومحمود درويش، وأيمن العتوم... لذلك من المُخيب أن أظن أنه كأي رجل آخر.

وعدتك أن أعد لك القهوه كل صباح، أن أهز الشجره كي أوقظ العصافير، أن أبتاع لك في كل مناسبة كتابين أو أكثر، أن أحسن إليك، أن أخيط أزرار قمصانك وأرتب ياقاتها، أن أطهو لك، وأن أتعلم رقص التانجو، وأن أزرعك في قلبي ألف سنة...

أتعود في أول طائرة؟؟

سيعبر أسبوع آخر، ولازال الله أنيسي الوحيد، في الغياب يقع على عاقتنا أن نضاعف جهدنا في الحب والعبادة، كي نضمن البقاء على بر الأمان.

الآن أشعر بالخوف قليلاً، وبأن دمي أصبح باردًا بعض الشيء، مهما بلغنا من اليقين يبقى في قلوبنا ذرة خوف، لا ندري أين منبعها. أخبرني أنك تحبني كل يوم أكثر...

«وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي»

سامر وهنادي

كنتُ صغيرة جدًا، أقف على رؤوس أصابعي كي أنظر من الشباك، ترفعني أمي بحضنها كي ألمح وجه العروس. بوضوح أكثر، حين كنت صغيرة، كان يخيل إلي أن لون الله أزرق، وأن قبلة واحد كافية كي يخلق طفلًا جديدًا على هذا الكوكب، وأن الموت يختبئ خلف باب الدار. كنت أظن أننا لسنا بحاجة للحب كي نحصل على السعادة، التي يكتب عنها مئات الأشخاص أنها شعور داخلي نابع من ذات الإنسان، كل أولئك الذين يظنون أن السعادة مجهود شخصي لم يسبق لهم أن تقاسموها مع أحدهم، و إن حصل وتقاسموها لم يحالفهم الحظ بالشريك الأمثل، كبرت وأدركت أن قلوبنا لن تقفز من جيوب ملابسنا إلا حين نلتقي بذاك الشخص الذي يمسك بيدنا حين نعبر المنعطفات الخطرة، يشجعنا!

كنت أعتقد أنه من المستحيل أن يفهمني أحد لهذه الدرجة، أنا أستصعب الحديث مع ذاتي، أنت الشخص الوحيد الذي يمكنني أن أتحدث معه عن أشياء غبية وباهتة ولا قيمة لها، كيف بإمكاني أن أقول لك أنني أحب الرجل الروائي الذي فيك... صاحب اللحية السوداء ذو الفكر المنفتح والذاكرة الدسمة، أحبك بطريقة مختلفة تماماً عن الدببة الحمراء وبطاقات المعايدة، واتصالات ما بعد الثانية عشر، أحاول أن أقترب منك بقدر يضمن لي تحقيق أمنياتي - أقصد أحب أصابعك وفرشاة أسنانك، وطريقة مضغك للطعام وآخر نص كتبته، ورسائلك الورقية...

الآن أحتاج أبًا بفكر منفتح مترعرع وسط حي فقير متربٍّ على الفضيلة، ينظر للنصف الممتلىء من الكأس، لم يسبق له أن سمع قصصًا من الجيران أو الأخبار. أبًا طموحًا وديمقراطيًّا كي يسمح لي أن أحمل حقيبتي وأتجه لـدبي بحجة مشروع بحث علمي - باطنه رؤيتك!-

والدي عكس ما ذكر في الأعلى بمئة مرة...

سامر وهنادي

الرسالة الثالثة
"حب في الجاردنز"

اليوم، كانت الحدائق مكتظة، أطفالٌ بعُمر الزهور يلعبون هنا وهناك، كُهولٌ يجلسون على بعض المقاعد الخشبية، لعلهم يستحضرون أيام شبابهم ويعيدون شريط حياتهم، ربما!

أمهات يلاعِبْن أطفالَهنَّ الرُضَّع. وآباءٌ يمارسون بعض الرياضة، وبعض العمال ينظفون الحدائق ويسقون الورود. الكثير من الحياة حولي... وكعادتي؛ سأتخذ من شجرةٍ ما مكاناً لأجلس، لا بد أن أختار مكاناً استراتيجياً، يتيح لي مشاهدة أكبر قدر ممكن من القصص حولي.

جلست أنسج بفكري بعض القصص لهم، أساير حركاتهم، ملامحهم، أفعالهم... أتخيل الكلمات التي تقبع خلف هذه الوجوه. وأبدأ بكتابة قصصي... قد أصيب ببعض الأماكن، وقد تخطئ عيناي بقراءة شفاههم في صفحاتٍ أخرى... ولكن تبقى الحقيقة مبهمة! وقد هممتُ مراراً أن أشاركهم بعض ما كتبت عنهم، لأعلم مدى صحة ما أكتب... كان المشهد يتكرر يومياً، وأغلب الأوقات كنت أمارسه وحيداً. ما زلت أؤمن أن التأملات تمارَسُ بشكلٍ فردي، لا أعلم متى تشكلت لديّ هذه القناعة، ربما حملتها معي من وطني...!!

اليوم سيكون مختلفاً. دعيني أخبركِ أن الأيام لا تتشابه بالنسبة لي رغم ممارسة نفس الطقوس اليومية ذاتها!! الكثير من القصص حولي. سأختار لكِ أجملها. هناك على مقربة مني شاب وفتاة في مقتبل العمر (العشرينيات حسب تقديري) قد اتخذا من العشب فراشاً لهم. كانت زاويةُ الرؤيةِ مثالية بالنسبةِ لي وأنا أستند على جذع الشجرة، ساعدتني وضعية الجلوس تلك على ملاحظة أدق تفاصيل حركاتهم... قد بدا لي أن شيئاً سيحدث!! أخرجت

سامر وهنادي

قلمي ودفتري لاهفاً وبدأت أكتب... كانا على أعلى درجةٍ من الانسجام، سواءً بالشكل أو الحركات أو المضمون... تارةً يستلقيان على الأرض وربما يخوضان في نوم هستيري، وتارةً أخرى يمارسان بعض اليوجا، وتارة يقرآن. يتخذان من جسديهما متّكأً لتسهل عملية القراءة. وأحيانا، يمضيان ساعات من الصمت!!

قد أتخيل أن يحدث كل هذا، ولكن لم أتخيل يوماً أن القراءة يمكن أن تكون مشتركة!! أغلب الأوقات كانا يتخذان وضعاً عكسياً بالجلوس، بحيث يلتقي رأساهما. وساقاهما يبتعدان كل البعد... بطريقةٍ تجعلكِ لا تستطيعين أن تتخيلي صورة إحداهما من دون الطرف الآخر... كانا منسجمين ومتكاملين بطريقةٍ سحرية!! لو حذفتِ أحدهما، ستترك فراغاً واسعاً في الصورة، وستقتلين كل عناصر الجمال. لـكَم أدهشني هذا الانسجام!! لهذا أكتب... وأنا في قمة انسجامي يفاجئني هذا الغراب بصوته الخشن! يقف على الشجرة المقابلة لي وينعق؛ «افقف، ليس وقتك الآن!! اغرب عن وجهي» ولكن لا سبيل... يستمر بالنعاق! اختار النعاق، لا أن يصمت ويستمتع بالمشهد معي! بعد أن طردت فكرة الغراب من ذهني، كما طردت أشخاصاً كثيرين ينعقون من أفكاري. ما زالا يبهران كل حواسي بهذا الانسجام والحب...!! تقترب الشمس من الغروب، الأضواء تخفت رويداً رويداً، لقد أدركا أن عيونهما لم تعد تساعدهما على القراءة، توقفا عن القراءة معاً. قد بدت لي نفس الثانية. ربما كان يود أحد منهما أن يكمل بعض الجمل، أو نهاية فقرة ما قبل أن يتوقف، ولكن لأن شخصاً آخر يشاركه هذه اللحظات، سيتوقف حتى لو بقي له كلمة واحدة!! الجو بدأ يبرد؛ ومع أفول الشمس ازداد الجو برودةً. أعانا جسديهما على البرد بارتداء بعض الملابس الخفيفة. شعرا بالدفء وشعرت بالدفء أنا أيضاً. عادا الى نفس الوضعية بالجلوس، الوضعية العكسية. ورغم أنهما كانا متعاكسين، و ربما مختلفين بكثير من الأفكار التي تبدو من طريقة جلوسهما ونومهما، غير أنهما كانا على درجةٍ من الانسجام. يحملان مشقة هذا الجلوس... كانا لرأسيهما أقرب...

سامر وهنادي

تحملا مشقة الأجساد في سبيل تلاقي الرؤوس. في وضعيه الجلوس تلك، عادا للحديث ولعلّ الحديث هذه المرة كان مختلفاً بعض الشيء، الشمس قد زالت وقد بدا الليل بأبهى حلته، قد يكون الجو ملائماً أكثر للبوح، ولإفشاء بعض الأسرار الخفية... بدا ذلك من خلال سلسلةٍ من الابتسامات والضحكات التي اعتلت شفتيهما... ربما ستخبره عن أول قصة حب لها، وكيف تركها عند أول منعطف، ستخبره عن سذاجتها وجهلها، وستضحك لأن شيئا بينهم لم يحدث، وسيضحك هو ويؤكد لها صحة اختيارها له... سيحدثها هو عن صديقاته، وبعض مغامراته ونزواته، وسيتذكر المواقف المضحكة. وسيعبر لها عن جهله. ستضربه ضربة فيها من الحب أكثر من العقاب. يضحكان بأصواتٍ عاليةٍ وتتعالى الضحكات... ثم يهدآن فجأة!! لأن كل من حولهم بدأ يلاحظ ضحكاتهما. سيكتمان ضحكاتهما، ثم يعود ليذكر لها كلمة تفجّرها ضحكًا... ستضربه مجدداً، ولأن المشهد والإيقاع أصبح خارج حدود الذوق العام. قرّرا المغادرة!! كل ذلك وأنا أرقبُ من بعيد... ماذا بعد!؟ أتوق للنهاية، تشدني النهاية مثل ما تشدكِ. كنت أرقب حدوث خلل ما؛ سيحدث شيء يقلب الموازين، ربما كلمة، ربما نظرة، ربما تدخل خارجي يفسد المشهد... طبيعتي الشرقية تشدني لمثل هذه النهايات، ربما لأني لم أعهد مشهداً مكتملاً خلال حياتي، وربما لأن مفهوم الكمال بحق رجل شرقي هو أبعد البعد عن الواقع...!!

انتظرت كثيراً حدوث هذا الخلل الطارئ، ربما الآن، ربما ستكون في مشهد النهاية... مشهد النهاية بدأ يتوارى أمام ناظري... سأسرع من إيقاع كتابتي كي لا أفقد بعضاً من المشاهد، المشهد يحدث أمامي، يبث مباشرة على الهواء على أعلى الترددات... سيغادران!!! كلٌّ أعان الآخر على حمل حاجياته وهمّا بالمغادرة.

اتسعت حدقتا عيني وأنا أرقب النهاية، سيختلفان من يحمل الكتب، وربما سيختلفان إذا غادر أحد قبل الآخر!! أمسك يدها وكلٌّ منهما حمل كتابًا باليد الأخرى وانطلقا بالمسير... في مشهد المغادرة، اقتربا مني باتجاه

طريق العودة وقد اقترب جسديهما من بعضهما أكثر فأكثر، أكاد أرى جسدًا واحداً!! لم أستطع أن أرمش!! كل المشاهد من حولي تجمّدت، لم أر سوى مشهد الاقتراب!! اقتربا أكثر فأكثر حتى تصادمت عيني بعينيهما، عمرٌ من الحوار حدث في لحظة، وأنا ما زلت لم أرمش بعد، بدت ابتسامة على شفتيهما... «لن نحقق لك النهاية التي تريد!!»

ابتعدا شيئاً فشيئاً، ضمّها إليه أكثر، وربما رسم بعضًا من القبلات على جبينها وتواريا خلف الأشجار، حتى اختفيا كلياً.

كل ذلك وأنا أشاهد مندهشاً!! لم تتحقق النهاية التي أتوقعها!! النهاية كانت سعيدة!! ربما سيشاهدان بعض الأفلام السينمائية ويغطان في نومٍ ملائكي... أما عقلي الشرقي سيستمر بالتخيل، سيختلفان من يشاهد برنامجه المفضل على التلفاز، أو ربما سيتخاصمان لأن أحدهما لم يقفل باب الثلاجة!!!

سامر وهنادي

سامر وهنادي

مخاض طويل

عن شعور النقص الذي يلفك من أخمص قدمك ل حآفة جبينك، عن الإيذاء الذي يتسبب به الآخرون لنا دون أن يدركوا ذلك، عن أرواحنا حين تتقبل كل هذا برحابة وصبر، عن عدد الأيام التي تكاثرت وتضاعفت دون أن المحك ولو من نافذة سيارة، عنكَ أنت، الشخص الذي حاولت جاهدة حتى استنفذت كل الطرق كي أحافظ عليه ضمن حدود الوطن.

***

كان بداية للقائي بالله مرة جديدة، تعلقت به كما لم أفعل من قبل، نحن نصحو فجأة، ونتذكر فجأة، ونحب فجأة، يوبّخنا الله على تقصرينا بطريقة لائقة، يُخجلنا بسخائه وكرمه، كي نشعر بمدى تقصرينا، كل يوم يمضي يتقلص حجمي أمام الله، لأنه رزقني أضعاف ما تمنيت، دوماً هناك يوم اسمه البداية حتى و إن كانت هذه البداية متأخرة، المهم أن نبدأ قبل أن نموت!

***

أخاف خسارة أشيائي فـ أحيطها بالاستغفار دائمًا، وأولها أنت، أستغفر بالنيابة عنك ولك، ولأنني أكره الأحاديث الإلكترونية المختصرة، رفعتني رسالتك عن الأرض بمقدار ثلاث سنتيمترات أقرأها ببحة صوتك، بلكنتك، وبإيماءات رأسك وحركات يدك حين تتكلم، آخذ كل الأشياء التي تكتبها وتتفوه بها على أنها قواعد وأسس وإشارات، أقرأها، أهضمها، وأعمل بها... أحاول أن أعبئها بذاكرتي!

رسمت جاهدة صورة لي وأنا أجلس بجانبك تحت الشجرة، نراقب العاشقين اللذين أمتعاك بكيفية تناغم أجسادهما معاً، صرت أتعايش مع هذه الأحداث وأضمها لقائمة الأيام الجميلة في حياتي، على نية أن نعيشها معاً يوماً ما.

سامر وهنادي

لم يكن يفترض بي أن أقف صامتة، أشاهدك تلملم أشلاءك من هنا وهناك، ولا أفعل شيئًا سوى تجميل صورة هذه البلاد بنظرك على أمل أن تتراجع!

لم أستسلم، قاومت حتى النفس الأخير، تحدثنا قبل أن تدخل الطائرة، ثم تعطلت شبكة الاتصال والرؤيا.

الله الذي نعرفه، يستحيل أن يوقعنا بضرر، ويستحيل أن يسرق سعاداتنا، لذلك عزائي الوحيد أن كل ما يحصل يحصل كي نكون أسعد وأفضل، بطريقة أو بأخرى، لايعلمها إلا سبحانه.

هل تدرك الشعور الذي ينتابك حين يرميك اليأس في السرير يومين متتالين؟ السرير هو أكثر مكان تحملني في هذه الدنيا بعد قلبك، كل ما في الأمر أنني لا أريد أن أكون بعيدة أكثر، أخبرت الله بذلك ليلة أمس، أخبرته، وشعرت أن دائمًا هناك لحظة تتغير بها موازين الحزن والسعادة فتقلب حياتنا رأساً على عقب، دائماً هناك فرصة يعوضنا الله بها من باب العدل الدنيوي (وأغلب الناس لايعلمون)!

بِتُ أكره مواسم السفر، والأعياد، والمناسبات الاجتماعية، وكل الأحداث التي تعزز من وجع غيابك، أنا وأنت محورنا الله، نحتاج له بصورة عملاقة، كي لا تهزمنا الدنيا، وأهلها.

منذ عدت إلى هناك وأنا أقف على نهايات الأحداث التي عشناها معاً، أستذكرها أوقات الأكل والدراسة والنوم...

***

إن الرسائل هي لغة التواصل التي تعيش في أدراج خزائننا عمرًا، تحتفظ بفحواها وجماليتها، وتذكرنا حين نعاود قراءتها كم مر من الوقت وكم تغيرنا! لماذا جئت تشبهني لهذا الحد، هل فعل الله ذلك رداً على دعواتي؟ اووه كم كان قريبًا... حبيبي الله، شكرًا.

***

سامر وهنادي

مُنذ سافرت، وأنا وحدي، أكتب أحياناً وأبكي أحيانًا أخرى، توجعني رسائلك لأنها تشعرني بمدى بُعدي عنك، كنت أعتقد أن الحب أكبر من أي شيء، ومن كل شيء. كنت أظنه القوقعة الكبيرة التي بمقدورها أن تحتوينا؛ لكن ليس بمقدور الحب أن يأخذ مكان أشياء أخرى، عند القرارات المصيرية يتنحى الحُب والقلب جانبًا، سامحًا للعقل أن يتولّى القيادة.

أن تكون إنساناً ذلك يعني أنك رهن للظروف والمستجدات، أن تكون إنسانًا ذلك يعني أن تتشكل حسب القالب الذي يقتضيه الموقف، أن تتعايش، أن تحتمل، أن تفهم جيداً (الأَمْرُ كُلَّهُ لِلَّه)!

لم يدرك أنه هو الآخر سيشعر بالشيء ذاته، أقصد الضياع بين ما حصل وما سيحصل وما كان يجب أن يحصل. هذه التركيبة الثلاثية تتسبب لنا بالدوار والعجز، في الحقيقة لا أحد يدرك السبب وراء كل هذا، لا أحد بإمكانه أن يتكهن باطن الأمر، المهم أنني لا زلت أمتلك القدرة على العبادة و القراءة والحب؛ وباقي الأشياء ثانويات.

إن كل الأشياء تتلخص أصلاً في الكلمات الثلاث السابقة

لكنّ (أكثر الناس لا يعلمون)...

علينا أن نتوقف عن إخبار الآخرين أننا بحاجة لوجودهم معنا، الأجدر بنا أن نفعل كل ما بوسعنا كي نكون نحن معهم.

الطيب للغاية اكتب لك كي أشعر أنني معك «للمرة الألف أقولها»

الحب الذي لا يعرفه الآخرون هو أن نمارس السعادة أينما حللنا في أي مكان و في أي ظرف...

أفعالنا الصغيرة تدور محيط الدائرة وتعود إلينا، إلى المركز، تعود بمقدار ما ابتعدت، هذا يعني أن لا نسرف في الفرح، الحزن، الحب، الكره، الفراق؛ أن نمارس كل المصطلحات بالقدرة الذي يمكننا تحملها...

سامر وهنادي

الرسالة الرابعة

١٠ دولار

حدثني صديقي صلاح عن بداية تجربته في هذه المدينة سأشاركك قصته بلسانه ولكن سأكتبها لك بحبر قلمي لأضيف عليها بعض الخصوصية...

الساعة تشير إلى الثامنة إلّا ربع مساءً بتوقيت دبي...

وقد بدأت ألملم أشيائي للمغادرة إلى البيت، بعد يوم حافل في العمل...

يتقدم باتجاهي أحد الزبائن في الوقت بدل الضائع؛ انتابني الاستياء، غالبًا الأحداث السيئةُ تأتيك في أول نهارك أو آخره! ولكن لأن بشرته داكنة سوداء، شعرت بشيءٍ من الأمان... أحنّ لأبناء جلدي!

Him: Hi bro...

Me: Yes boss, how may I help you?

- I wanna mobile line, I just arrived and I need to call my family overseas.

- Alright boss.

بعد أن أنهيت كافة المعاملات...

حان وقتُ الدفع...

Me: 30 dhrs please.

Him: I don›t have drhs, only $!

- Sorry bro, we only accept dhrs.

- !you don›t have exchange, please bro? I need your help

- .No sir, I don›t

- ?At what time you close

- PM 8

- .shit!! I can›t go and come back

لا أخفيكم أني تعاطفت معه مجدداً، العائلة! تضعفني هذه الكلمة!!

- ?$ How much you have, I mean

- $ I have 10$, 50$, 100

- give me 10$

القوانينُ صارمةٌ هنا، عدم قبول أي عملة أخرى!! ما زلت لا أفهم هذا الانتماء إلى العملة!! سأتمرد على بعض القوانين!!

ألقيت نظرةً إلى محفظتي، كنت قد استلمت راتبي حديثاً، وأحمله كاملاً في جيبي، لأني لا أملك مكاناً آمناً في البيت، ولأني كنت حديث الإقامة في دبي، لم أملك حساباً في البنك بعد...

أحمل في جيبي ٣٠ و ٤٠ درهماً وما تبقى فئه الـ٥٠٠. لم يكن في جيبي فئه الـ ٥ دراهم.

الـ ١٠ دولار تساوي ٣٥ درهماً؛ يلزمني ٥ دراهم في كل الأحوال.

- !It’s okay bro, give me 30, that’s fine! I am satisfied

- .No bro, you still need another 5 dhrs

- .It’s okay, you are doing favour to me

- No bro, I’ll give you 40 and with the remaining 5 dhrs buy a

سامر وهنادي

car for your girlfriend.

- LOL! Thanks bro, I do really appreciate it. You made my day.

وضعت الـ ١٠ دولار في جيبي، ولأنها كانت أكبر حجماً من كل النقود، غلفت كل نقودي بها

وأعدتها الى جيبي...

...

تأتي نهاية الأسبوع، سأذهب لتناول الغداء بعد صلاة الجمعة في مكان قريب من البيت... ولكن، لأكسب بعض الوقت وضعت ملابسي في الغسالة...

عدت إلى البيت لأجهز نفسي للخروج... تفقدت أشيائي ومحفظة نقودي... لم أجد نقودي!! بحثت هنا وهناك... ولم أجد شيئاً! انتابني شعور بالغضب، وبدأت أتخيل ماذا يمكنني أن أفعل لو لم أجد النقود؟؟! وكيف أضعتهم وأين!؟

جلست على حافةِ السرير أندب حظي، وفجأةً تذكرت ملابس الغسالة... ازداد شعوري باليأس عندما أدركت أنني فعلاً قد غسلت النقود...!!

تقدمت بخطوات متثاقلةٍ نحو الغسالة، بوجهٍ محبط... وقفت أمام باب الغسالة... ستكون الصدمةُ كبيرةٌ عندما أرى النقود قد تمزقت، واختفت معالمها، ولم تعد صالحةً للاستعمال...!

سأمضي الشهر متسولاً...!

حان موعد المواجهة!! فتحت باب الغسالة وأخرجت بنطالي... وفي جيب البنطال مددت يدي...

ألمس النقود... أكاد أحس بذلك! أتحسسها وأنا مغمض العينين... ازددت أملاً، واكتسبت بعض الشجاعة لأفتح عيني...

النقود كما هي!! الـ١٠ دولار تحيط بها وتحنو عليها كما تحنو الأم على

أطفالها!!!... تحمّلت أكثر من ٣ ساعاتٍ في معركةٍ داميةٍ مع مساحيق الغسيل وغزواتٍ من المياه والمواد الكيميائية!!

ما ساعد على الصمود، أن الـ ١٠ دولار أكبر حجماً، وأكثر صلابةً وتحملاً للتغيرات من العملة الإماراتية، وقد تشكلت مع الوقت مثل صندوق يحمي ما به من نقود، ولا يسمح لأي عدو خارجي أن يقتحمه...

اعتلت بعض الضحكات على وجهي وتذكرت قصه الـ ١٠ دولار!!

لم أتوقع أن فعلاً صغيراً سوف يعود علي بأضعاف مضاعفةٍ في فترةٍ زمنيةٍ قصيرة!!

He said that I made his day! But, definitely, he made my month...!!

سامر وهنادي

هل نستطيع أن نودع هذه البلاد بصمت؟

إن مرحلة الانتقال من دولة لأخرى تجبرك أن تقع في المواجهة والمفاضلة والمقارنة، والمشكلة أنك تنتهي بنتائج عادلة، أخشى عليك أن تصاب باستهتار الزوار، فتعود بحقيبة فيها بعض الحاجيات تاركًا قلبك معلقًا في أعمدة وعمارات بعيدة.

الغربة تدب في الجسد كما النار في الهشيم، لاتخمد إلا بعد أن تضرم بك كلّك، مقابل هذا، أجدك من الأقلية التي يعني لهم الوطن أشياء مغايرة، ربما فارق المسافة ومشاعر الحنين والفقد هي من تجعل منا وطنيين أكثر!

***

إني أقطن في مدارات حياتك البعيدة، ولم يعد صعبًا عليَّ أن أعتاد على ذلك، لكن يبقى وقع كلمة (مغترب) الأصعب والأعقد...

***

هل ينسى أولئك الذين غادروا من المطارات الرخامية رائحة تراب الأرض؟ أخشى أن تستيقظ رويدًا رويدًا، فتقضم أطراف أصابعك من نشرة أخبار يتحدث مذيعها عن فواجع، تأثيرها النفسي عليك يفوق أي مشاهد.

أسوء ما في الأشياء أن بدائلها تقمعها وتمسحها من الوجود، فنصبح سادة الحاضر، دون أدنى محاولة للخوض في الماضي! ربما هذا ما يجعلنا بشر، هو أننا نمتلك القدرة على التعايش والتأقلم واستقبال الوضع الراهن.

***

يا إله السعادة، لو كانت النهاية أن ننتهي بعيدًا عن أولئك الذين نحبهم فل

سامر وهنادي

ترفق بنا! لا شيء أقبح من أن تزرع عظامك في التراب الذي لم تخلق منه، ستشعر أن الأرض تلفظك يوميًا ألف مرة، بينما سيكون أصعب أن يلفظك ذاك التراب الذي تزرع أملك وحبك ومستقبلك عليه...

***

أكتب لك وأنا أعلم أن أغلب المشاهد لن تستطيع كلماتي استحضارها في مخيلتك، فحين أقول قريتك، أو حديقة منزلك، أو حارتنا، سيبدو المصطلح بالنسبة لك مفهوم لكنه أشبه بتصور من كوكب آخر، أو آخر صورة التقطت للمشهد قبل تقنيات التحديث، أو تغلق عينيك كي ترهق ذاكرتك أكثر أملًا بنتيجة ما... لكن هنا إن لم تقحم نفسك في الأشياء هي تأتي إليك بقدميها!

***

أدرك في خوالج نفسي أن في الحقائب المحلقة زوايا وجيوب فارغة لاتملؤها إلا تفاصيل أصلية مصنّعة محليا

***

المشكلة الأعمق أنني أخشى عليك أن تعود بقدر ما أتمنى عودتك، أخشى أن ترعبك عيوب الوطن، بالرغم من أن عيوب الوطن لايكشف عنها الغطاء؛ إلا حين تبتعد بقدر كافٍ يسمح لك الرؤيا بوضوح.

قد تشغل نفسك في محاولات تجاهل كثيرة، ربما يزعجك برد هذه البلاد وملامح وجوه سكانها، وقائمة كبيرة من المسميات لم تدركها إلا حين تعلل في أعماقك عكسها!

في هذه البلاد صعب على الناس الخوض في أحاديث كثيرة، أغلب المواضيع التي يتطرقون لها تم تلقينهم إياها بقصد أو دون قصد، هذا ما سيشكل العقبة الأكبر في حين أنك من مؤيدي حرية التعبير!

***

سامر وهنادي

جميعنا نتغير حين نندمج في واقع جديد، كنت أدرك بيني وبين قلبي أن لبعدك عني توابع لا يحمد عقباها، هذا ما دفعني لأن أتمسك به لآخر لحظة، لآخر نفس، لآخر طائرة، بقيت صامدة وأستحضر مشاهد واقعية مستمدة من آلاف العلاقات المحيطة بي، يبدو الأمر طبيعيًّا بالنسبة للغالبية، حين أنصت للقصص التي يرويها الناس، أحمل نفسي اللوم، والذنب، ربما أنا صاحبة القلب الهش الذي يفتته الغياب، ربما الخلل في نَفسي القصير الذي يلهث في بداية المسافات، لكن يبقى جهاد النفس الأصعب والأعقد...

متى يأتي اليوم الذي سأستلم فيه رسالتك؟

***

الحب هو الإستعداد لفعل كل شيء وأي شيء دون شرط أو برهان.

(فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

الحب لله قبل عباد الله، الحُب مخزوننا الدنيوي من التعب والشوق والألم والأمل، هو الشيء القابل للبوح في لحظة واحدة، هو كل الدول التي نطمح أن نطأ أرضها لأن أحدهم هناك، هو أن لا ندري ما الذي حدث، و كيف حدث، هو أول شخص الذي علمنا كيف نبتلع اللقمة حين تعلق في حلوقنا، هو المحاولات المستمرة لترميم ما أفسده الزمن ولم يصلحه العطار، الحب هو الطريقة الأفضل لنتفادى الموت، هو غريزتنا السليمة، هو لغة تواصل من الأرض إلى السماء. إذن مرة آخرى هو الفطرة!

لكل إنسان حقيقة عميقة مستمدة من واقع قائم، حين تنسلخ عن واقعك، ستبحث عن أعضائك بكثب!

سامر وهنادي

سامر وهنادي

الرسالة الخامسة
"فِلسطينُ القديمة"

مديري: ابن بلدك... شوف إيش بدّو؟

أنا: ابن بلدي! فلسطين!؟

«في الغربة سيكون وقع هذا الاسم على أذنيك أضعافاً مضاعفة... وسيستقطبُ كل مواضع الحسِّ في جَسدك وروحك، قوتها قد توقظك من غيبوبة عُمْر وتعجنك بالشوق».

تقدم نحوي شابٌ يحمل من الوسامة ما لا يحمِلها غيره...

أنا: تفضل بالجلوس.

أحمد: شكراً.

أنا: بطاقتك لو سمحت...

أُمعِنُ ببطاقته؛ فعلاً هي فلسطين... «الجنسية: فلسطين»

اشتقت كثيراً أن أرى هذا الاسم بين مئات البطاقات التي تمر علي...

أدركت أنه لم يعش في فلسطين -على أرض فلسطين- ربما كان مغترباً في لبنان أو سوريا، أو الأردن...

أحمل نفس البطاقة، ورغم أني عشت في فلسطين على أرضها وترابها لكن بطاقتي تحمل جنسية اخرى

أي ظلم هذا أن تحرم من الاحتفاظ بـاسم بلدك حتى في هويتك الشخصية؟!

وهل كان عليَّ أن أهجر بلدي منذ عشرات السنين لـيُمَنَّ عليّ بكتابة اسمها على بطاقتي الشخصية... أَألومُ جدي لتمسُّكه بها؟

لن أدعه يلحظ تساؤلاتي وخيباتي...

أبادره الحديث: من وين من فلسطين أحمد؟

أحمد: أنا من عكا، أسوار عكا... بس أنا ما عشت بفلسطين... جدي عاش هناك.

يرد عليّ بالسؤال: و أنت؟

أنا: من (نفسْ فلسطين).

«ارتسمت على وجهه ملامح استغرابٍ معجونةٌ بالقليل من الغبطة»

أحمد: كُنت عايش هناك!!؟

أنا: آه، ليش مستغرب!؟؛ نعم كنت عايش هناك... فلسطين لسّا صالحة للحياة!

«بدأت بإجراء المعاملات اللّازمة. أخذت بعض الصور للوثائق التي يحملها وانشأت ملفاً على سطح المكتب، ومن شدّه لهفتي أسميته فلسطين!! وأخيراً... (فلسطين) تزين سطح المكتب على جهازي!

لن أحذف الملف مثلما اعتدت أن أفعل نهاية كل يوم عمل، اسم فلسطين لم يكتب ليحذف، سأحتفظ به، كي لا أنسى.»

أحمد: كيف فلسطين؟

أنا: مليحة ومش مليحة بنفس الوقت!!

أنا: وين بتشتغل؟

أحمد: بشركة سامسونج قريب منك، البرج اللي قبالك.

أنا: حلو!

أحمد: إحنا عنا فرع للشركة اللي بشتغل فيها بفلسطين.

سامر وهنادي

أنا: جد!؟

أحمد: آه جد!

أنا: وين بفلسطين؟

أحمد: مش عارف أي مدينة بس بفلسطين.

«بدأتُ أعدد بعض الشركات في مدينه رام الله.»

أحمد: لا مش بـ رام الله... بفلسطيييين!

أنا: بالقدس؟

أحمد: لا يا زلمة؛ بفلسطين

أنا: مش فاهم عليك، أي فلسطين اللي بتحكي عنها!؟

أحمد: يا زلمة فلسطين، إنتو إيش بتحكولها؟!

«أدركت أنه يتكلم عن الجانب المحتل، لا يريد أن يذكر كلمة (......) كما لم أرغب أن أذكرها أنا أيضاً.

ربما هو لم يعتد هذه المصطلحات: «الضفة، غزة، القدس، ٤٨، ٦٧، الأراضي المحتلة» هُجِّر منها جدّهُ يوم كانت فلسطين، وما زال يحمل هذه الكلمة، فلسطين، لا تقبل التجزئة... «

أعدت عليه السؤال، ولكن هذه المرّة لأتأكد من عدم استسلامه.

أنا: برضو مش فاهم! مين فلسطين؟!

هو: يا زلمه فلسطين، فلسطين القديمة.

أنا مستغرباً: فلسطين القديمة!!

لحظات من الصمت سادت ملامحنا. تختصران عمراً من الخيبات...

ضحكنا سوياً، وتعالت ضحكاتنا، ومن كثرة الضحك بكينا؛

على الأرجح أن كلانا أراد أن يبكي منذ البداية، لكننا لم نجد مبرراً لدموعنا غير الضحك....

تبادلنا أرقام الهواتف... ولكي لا ننسى؛ هو سجلني: «فلسطين لسّا صالحة للحياة» وأنا سجلته: «فلسطين القديمة»!

سامر وهنادي

سامر وهنادي

أيها العابر إلى عمري

رسالتك السابقة كانت دعوة لإكتمال مشاهد مخيلتي، كلماتك تشبه الأجنحة، تحملني من شطر لآخر في هذا العالم، تقحمني في الموقف، وتسرب لي بضع أحاسيس منك. الحب هو أن نتخلل الطرف الآخر، نتعايش معه، أن نتمكن من الولوج في مدركاته العقلية، نحن نكتب كي نلغي كل الفوارق بيننا. نحن نبحث عن أنفسنا في هذا العالم، وعلى من يقنعوننا أن نحب أنفسنا أكثر، على من هم أهل لنهديهم معاطفنا في يوم شتاء ماطر...

لا زال الطريق بعيدًا، والمسافات ضخمة، ولازلت عاجزة عن محاولة التفكير في الوصول إليك، من المعيب أن لا نحصل هنا على جواز سفر يخولنا لزيارة العالم!

قبل أن يبزغ وجهك من السماء البعيدة كنت قد استنفذت كل محاولات البحث، هذه المحاولات تختلف جذريًا من شخص لآخر... هناك ألف طريق لبلوغ الهدف نفسه! لم يهدِني الله للطريق، إلا بعد أن تشوه باطن قدمي من سوء تعبيد الطرق، المهم الآن أننا نسلك الطريق الصحيح...

يالله ما أكرمك حين تشعر بنا أكثر من اللازم!

الوجع أن تجلس وحيدًا، ترتب مشاعرك بما يتناسب مع الظروف الراهنة، محاولًا بذل أكبر جهدٍ ممكن كي تنخرط في الوضع الحالي، راكنًا كل مخاوفك في الزاوية، عن الغد، بعد غد، من عمر لا يعد!

قلة هم من يجيدون سلخ مخاوفهم عن أرواحهم، قلة من يستمتعون باللحظة دون محاولة استحضار المستقبل، يضيع نصف عمرنا ونحن نحتسب العمر القادم، لا أرغب أن أستنزف طاقتي في عمليات حسابية مؤجلة، حبذا لو عشنا اللحظة كأنها الأخيرة! لكن جميع المحاولات ستبوء بالفشل، قد يكون الخوف هو السبب! الخوف من أن لانكون على أتم

الاستعداد... لذلك نمضي العمر ونحن نعد العدة وعند المواجهة نفر هاربين نختبىء في جحر أرنب!!

الإنسان السوي يجيد تقدير الأمور، إن أحب أخلص، وإن تحدث صدق، وإن وعد أوفى، وإن ضعف انسحب تاركًا الفراغ لغيره!

***

إنني أتساءل أحيانًا لماذا كلنا نسعى لنصل للكمال؟ تصوري المحدود يقول: الحياة تمنحنا فرصة واحدة لنكون كذلك، وما عدا هذا محاولات شبه بائسة، إذن الحل أن نتصالح مع نواقصنا ونعلمها أي طريق تسلك لتكون شبه كاملة دون أن نفني عمرًا باحثين عن الكمال! وأنا أبحث عن أفضل طريقة ممكنه كي يمضي من هذا العمر قدر المستطاع وأنت حبيبي الأبدي...

(رحم الله امرئ عرف قدر نفسه) إن لم تشعروا أنكم على قدر هذا الحب لملموا كلماتكم وارحلوا، أفسحوا المجال لمن هم أفضل...

***

لايوجد كائن على وجه الأرض يشاركني دواخلي وانتماءاتي وهواياتي كما تفعل أنت، إذن هذا الحب كبير بما يكفي ليعيش عمراً فوق عمرنا، وهذا ما يُلح علي أن أكتب الآن، سأقولها بكل بساطة، يعنينا بالدرجة الأولى أن يكون هذا الكتاب مرجعًا متوارثًا ولو اقتصر على أولادنا وأولاد أولادنا. أريد أن أخبرهم أن والدهم أو جدهم كُفئًا بما يكفي ليفوز بقلب أي امرأة، وأنه يصلح لأن يترأس قافلة غزو أو صفوف جيش، أو أي حشد بشري يحتاج لقيادة. أريدهم أن يعرفوا أنهم ينحدرون من صلب رجل مختلف، يقدس الكُتب ويعتاش على رائحة أوراقها، وأنه رجل بمنتهى الشجاعة... يكتب لي دائمًا رسائل لا تشبه أي رسائل، يحبني بطريقة مغايرة عن الدبنة الحمراء والكلمات المعسولة، يحبني بطريقة مجهولة مبتغاها أن يشعرني أنني أحيط به دائما مهما تضاعفت المسافة. قد يستغرب البعض كل ما يجري هنا، وعلى سبيل التوضيح كِلانا يحاول أن ينهج الحياة بمنهجيته...

أن يحب الآخر بطريقته وأن يكون هذا الحب متسع بما يكفي لأحلام كل واحد منا منفردة و منفصلة....

عندما أحببتك منذ سنوات كنت خائفة، خائفة عليك لا منك، أن يخذلك الحظ والحب فتتعب، أن تتعثر و تستسلم، واليوم أدركت أنك صلب كصخرة رابضة على قمة جبل، تزيدها الصعاب متانة...

أحب جبروت الرجال، وأحترم تلك العينين التي تبقى شاخصة شامخة للأعلى متجاهلة كل الظروف والمقومات.

سامر وهنادي

سامر وهنادي

الرسالة السادسة

"صلاةٌ أجنبية"

أتقدم للصلاة بخطواتٍ متثاقلة، لا بد أنك قد مررت بهذه اللحظات في بعض صلواتك؛ أقدامك تتقدمك بكسل، وأحياناً كثيرةً تحتاج كثيرًا من (الدفشِ) لـ تؤدي صلاتك، كأن الصلاة مشقةٌ، وعملٌ إضافيٌ يضاف إلى أعمالك وواجباتك اليومية. أحيانٌ كثيرةٌ تؤديها لترتاحي منها فقط... لا لترتاحي فيها.

«لا بأس» قلتُ لنفسي، مزيدٌ من الوقت، لا بد من أحدهم قادم، والصلاةُ جماعة أفضل بلا شك، سأحتاج مزيداً من الحسنات في يوم مليءٍ بالشُبُهات... «

يتقدم رجلان يرتديان الكندورة (الزيُّ الرسميُّ الإماراتي).

تقدما واصطفا بجانبي، ليفسحا المجالَ لـرجلٍ أن يتقدم من بينهما لـيؤُم بالصلاةِ بعدما أبديت موافقتي. يعلنان تنصيب الشخص القادم من الخلف ليقود الحشد. عندما تكون على قدرٍ من المسؤولية تتنحى لـتُخليَ الطريق لِمن هم أكفأ منك بالقيادة... القادم من الخلف!!

يبدأ أحدهما بإقامة الصلاة، تقدم رجل أبيض البشرة، لا يحمل أي ملامح عربيةٍ سوى ذقنه الخفيفة؛ ورغم تَمَنُّعِه عن تولي القيادة معلّلاً «أنا أجنبي لا يصح، أنتم أهل البيت.»

ولكن أوان التنحي قد فاته، كل الظروف كانت تنصبه قائداً.

عندما تؤمن أن أحداً يؤدي عملاً أفضل منك لا بد أن تتنحى جانباً، وتلغي فكرة أهل البيت من رأسك.

بخطواتٍ واثقةٍ وعازمةٍ على المسير، كقائدٍ تقبّل منصبَه، وقد عزم أن يكون

سامر وهنادي

على قدر هذه الثقة والأمانة، يتقدم ويقف ليعلن الصلاة. ينظر إلى الخلف، النظرة النهائية ليتأكد من صحة الصفوف، يرمقني بنظرة «أنت، ساوِ الصفوف... لن تأتي الهزيمة إلا من جهتك، اعتدل واستعد...!»

ينظر نظرة القائد إلى صفوفه قبل المعركة، يتأكد من استعداد وتنظيم كل صفوفه... جندي واحدٌ بإمكانه أن يهزم جيشاً كاملاً...

«أنت، يمكن أن تهدم أجيالاً كاملةً بوقفتك المهزوزةِ للصلاة...»

يتأكد من التزامي بالصف ويبدأ؛

«الله أكبر «

تبدو بصوته مختلفةً جداً!

تبدأ المعركة، صوته عالٍ بعض الشيء، يُشعرك بالثقة، وبـهَوْلِ ما نحن مقدمون عليه لتبقى مستعداً متيقظاً. يتعالى صوته ويتباطأ، وفقاً للأحداثِ ومجريات المعركة. تُدهشك شجاعةُ القائد وحكمته!

حركات الوقوفِ والركوعِ والسجود؛ حتى الجلوس... يُتِمُّها على أكمل صورة... ونحن نتبعه واثقين من القيادة...!

تنتهي المعركة... ما زال يجلس في الأمام، لن يتخلى عن جيشه بمجرد انتهاء المعركة، سيبقى ليقيم، ليثني، ليحصي النتائج... يترك لنا فسحةً من الوقت لـنُلملم غنائمنا من الصلاة. ثم يقف ويساعدنا على الوقوف ويتقدمنا؛ «هيا... لنذهب إلى معركة الحياة، الآن يمكننا أن نواجه معركة الحياة «

بغير هذا التدريب الذي يتمثل بالصلاةِ لن نستطيع أن نواجه معارك الحياة... نحتاج إلى الطاقة، نحتاج إلى شحنات، نحتاج إلى أن نتخلص من كل أشكال الكسل والخمول...

...

كيف لشخص لا ينتمي إلى العربية بأي شكل من الأشكال أن يتقن الصلاة

هكذا؟!! لا يتقنها حركات فقط، بل الصلاة بالنسبة له شيء مختلف عن فهمنا لها... الصلاةُ، بالنسبةِ له، كانت حياة. هذا الرجل يملك جرأةً لم أعهدها على الحياة...!!

لا بد أنه سهر الليالي ليتعلم الصلاة، ليتعلم لغة القرآن... لا بد أنه قد بذل أضعافاً مضاعفة من الجهد في سبيل الوصول إلى الصلاة...

لا بد أن الصلاة كانت تستحق كل هذه الجهود... فعلاً، تفاعَلَت معه وتفاعل معها بطريقة كأنها كانت دافعاً له للحياة، قبل أن يتّخذها ثواباً مؤجلاً حتى حياة أخرى.

الصلاة دعوةٌ للحياة قبل أن تكون دعوةٌ للموت.

ونحن ماذا فعلنا بصلاتنا!؟... لماذا نؤديها بطقوسٍ وثنية!؟!

أين نحن من كل هذا الفهم والتطبيق!! ألا نملك غيرةً على صلاتنا!؟ و ما زلنا نسيءُ الفهم حتى يأخذوا منا صلاتنا!

سامر وهنادي

شيدت لي وطنًا وسافرت!

لن يكون بمقدوري أن أحبك أقل، لم يسبق أن تعرضت لمثل هذا الإتيان، جئت تعبر الطرق بهدوء، وكأنك اجتزت كل مسافات الأرض كي تصلني، وأن التعب أنهكك في المرحلة الأخيرة، فلم يتسنى لك الركض نحوي، يا دقيق المواعيد، في أوج حاجتي ودعائي، كنت متأكدة أن هناك رجلًا يحمل من الصفات مافيك، لن يضل الطريق أبدًا، وسيأتي، ماذا لو أنك لم تأتِ؟

والآن لا يمكن لي أن أراك أو أحبك إلا حين أكتب لك وعنك، ومن محاسن الكتابة أنها تحملنا من مكان لآخر، وتلقي بنا في حضرة من نحب...

***

لم تخبرني كم من الحدود اجتزت، كم وشي بك، وكم وقعت، كم تعبت ومت، وكم استقلت، وكم شَد على كفك وعُلِّمت أن تنفض ثيابك وتنهض من جديد، ثم وقعت، وأي طريق سلكت!

أتدري؟ لا يهمني أن أعرف حقًا، ما يعنيني أنك جئت، جئت بحب كامل، وقلب كامل، وعقل كامل، جئت بخلاصة ما مضى و بعبرة ما كان، جئت على أتم الحب والاستعداد، مهيئًا كل الظروف لقدومي، جئت و أنت تمتهن الكتابة، وصناعة السعادة! لذلك لم يسبق أن تعرضت لمثل هذا الإتيان.

ليس ثمة حياة سيئة، لكن ثمة أشخاص لايجيدون العيش!

نحن دومًا قادرون أن على ننهج نهجنا الخاص في هذه الحياة، أن نتمدد خارج إطار الدائرة وأن نحب بطريقتنا، أن ننتمي لأشياء لا تعني لأحد في الدنيا سوانا، أن نلون صفحتنا بالبياض ونبتدئ متى شئنا.

كان حبك التطبيق العملي لمعتقداتي، كنت بحاجة لرجل أظهر من خلاله دواخلي و قناعاتي، كنت بحاجة لرجل كي يظلني طوله من الشمس والحقد

والانتقاد والكره، رجل يساعدني على شق رحم المألوف على نية ولادة جديدة! رجل أحبه بطريقتي ونكتب سطور حياتنا معا، دون الممارسات الحمقاء والمفاهيم السائدة، أتقاسم إياه طبق طعام وبعض أوراق نقدية، ننام على سرير خشبي قديم برؤوس فارغة دون أن تكون الحياة أكبر همومنا...

إن إيماني بك متجدد ومتواصل

اليوم رسمت الصورة العشرين لمنزل أحلامنا، بأثاثه الخشبي القديم ومقتنياته الغريبة، ببساطته وعفويته بعيدًا عن الأشياء المبتذلة والثمينة، هذا لأن فطرة كلانا ضد أن تطغى الماديات على الروحيات، معك عرفت أن أصدق حب، هو ذاك الذي يربطنا بالشخص ذاته دون أن نقحم أنفسنا بالتفاصيل والكماليات. ربما هذا مايجرف معظم العلاقات مع سيل الظروف والتغيرات!

الآن أحتاج أن ترجع، متجاهلًا كل الأوراق الرسمية التي تجبرك على المكوث هناك.

ستفقد الكثير في هذا العالم، في كل محطة سيسقط منك شخص أو شيء، في كل استراحة سيتخلى عنك جزء، عند كل بداية سيسقط منك عضو، سوف تصل، لكنك ستصل وحيدًا، مجردًا، كما خلقك الله.

ضريبة الوصول هي التخلي!

نحن بحاجة لمن يحبنا بتأنٍ، لمن ينبت في قلوبنا رويدًا رويدًا... لمن يخطو بمقدار خطوتنا، لشخص يدرك أن الأشياء الجميلة تأتي على مهل، والمشاهد الرائعة تحتاج لزمن، والأقدار السعيدة تأتي بعد عمر، نحن أحوج لأن نؤمن أن إمعان النظر في الأشياء يطيل عمرها في نظرنا و يكشف بصيرتنا على أشياء أخرى...

الرسالة السابعة

باص رقم "٤٤"

لقد أخبرتك مسبقاً أن الأيام لا تتشابه بالنسبة لي رغم أني أمارس نفس الطقوس اليومية... يملك صباحي رائحة القهوة ذاتها، ويختم يومي بها مجدداً...

طريقي إلى العمل يمر بمرحلتين، الباص والمترو...

أسرع طريق للوصول إلى موقع العمل هي باص رقم ٤٣ ومن ثم محطة المترو...

اليوم قررت التغيير؛ سأركب باص رقم ٤٤ يوصلني إلى نفس المكان دون الحاجه إلى المترو، ولكنه سيأخذ وقتاً أطول. «لا بأس» قلتُ لنفسي، سأصحو أبكر... السعي نحو التغيير يتطلب أن تصحو باكراً دائماً...

ولأن التغير يحتاج لتوفيق من الله... لا بد أن أُكلّم أمي، لن أجد أحداً يصحو باكراً غيرها، ولن أجد أحداً يدعو لي بصدق مثلها... أحتاج لدعمها، دعواتها، لحنانها حتى لو كان التغيير مجرد باص!

في محطة الباصات يتدافع الناس إلى باص رقم ٤٣ الكل يريد الوصول إلى وجهته سريعًا. أما أنا فقد عزمت أن لا أركب إلا باص رقم ٤٤ لن تغريني المسافات. ولن أمشي مع الأغلبية...

لحظاتٌ قصيرةٌ وهدأ الجو من حولي، معظم الناس المنتظرين في محطة الباصات غادروا، الهدوء يخيم على الموقف. بدأت أشعر بالارتياح لـقراري هذا. ما هي إلا دقائق معدودة ثم يأتي الباص المنتظر...

أصعد الى الباص بهدوء؛ لا ازدحام ولا تدافع، الباص كان شبه خالٍ! أستطيع

سامر وهنادي

أن أختار بين المقاعد... لست مضطراً للوقوف طوال الطريق كما اعتدت أن أفعل يومياً في باص ٤٣!!

ارتحت أكثر، اخترت أن أجلس بمحاذاة الشباك في مقعدٍ واسع... أستطيع أن أقرأ، أكتب، استمع لبعض الموسيقى، اتأمل المناظر من حولي...

بدأت الرحلة، الباص اختار طريقًا آخر، كان الطريق ملتوياً بين البنايات والأحياء، و لأن سرعة الباص بالتأكيد أبطأ من سرعة المترو، أُتِيحَ لي أن أشاهد مناظر أكثر، وجوهاً أكثر، ومعالمَ أكثر.

في بداية الطريق مررنا بمدينه دبي للإعلام(CNN, MBC, SPACETOON) وغيرها... ومن ثم مررنا بقرية دبي للمعرفة، الجامعات، معاهد التدريب، طلابٌ هنا وهناك من كافة دول العالم. لتنتهي رحلتنا بمدينة دبي للإنترنت (ORACLE , IBM) حيث موقع عملي.

الباص يتوقف، نظرت من حولي، لم يكن أحد هناك!! لا يوجد أحد في الباص، وكيف ذلك؟ اسأل نفسي حائرًا!!

كان الناس يتساقطون في كل محطة و محطة، رغم عددهم القليل ورغم أننا اعتلينا نفس الباص، ولكن محطاتنا ووجهاتنا اختلفت... ومن شده اندماجي في الطريق لم ألحظ نزولهم حتى!

المحطة النهائية؛ إذاً بعد رحلةٍ صباحيةٍ ممتعةٍ مشوقة، تجعلك تنهل من كل البحور، بحور العلم والمعرفةٍ والتأمل، لـتصل إلى عملك بكامل نشاطك وحماسك... لا بد أن يكون يومك مختلفاً...!

كانت المحطة تبعد بعض الأمتار عن مكان عملي، ترجلتُ من الباص، في بضع خطوات، تذكرت في هذه الخطواتِ كل شيءٍ حدث معي اليوم...

"نحن في طريقنا لتحقيق أحلامنا، نختار الطرق الأسرع، نريد أن نحقق أحلامنا بأسرع وقت ممكن. ولأن الكثير يريد ذلك أيضاً، ستكون الطريق مكتظة، وسريعة. ستحجب عنا متعة الهدوء والمشاهدة، والاستمتاع.

ربما سنصل أسرع لكن سنحرم من لذةِ الطريق، والسعادةِ التي تحملها المسافة... ستكون خبراتنا محدودة ومعارفنا مهزوزة... لن نستمر بالنجاح لفترةٍ طويلة سرعان ما سنهوي على رؤوسنا مجدداً... وقد تكون نجاحاتنا سبب فشلنا في حياتنا".

في طريقك لتحقيق أحلامك، وحياتك، ستبدأين وحيدة وستصلين وحيدة، ربما سيصاحبك بعض الأشخاص ليمشـوا معك بعض المحطات في حياتك، لكن سرعان ما سيتساقطون، واحداً تلو الآخر، ستكون وجهتهم النهائية مختلفة بالتأكيد... وفي النهايةِ ستصلين وحيدة!

وصلت إلى عملي بعد بداية يوم مختلف وقد عزمت أن يكون باص ٤٤ وجهتي اليومية إلى عملي، وطريقي لتحقيق أحلامي وحياتي.

سامر وهنادي

سامر وهنادي

سأهزم الدنيا وأكتب لك!

لأن الدنيا تحاول أن تأخذَكَ مني لمسافاتٍ لا يمكن لقدمي أن تطأها، سأهزم الدنيا وأكتب لك!

إنهم دائمًا يفكرون بالنيابة عنا، ليتسنى لنا العيش برفاهية أكبر، وقدر أوفر من السعادة، هذه هي الذريعة التي يتلبسها أصحاب نظريات التطور الكوني، لذلك نحن ندحض نظرياتهم ونغلف كلماتنا في رسالة ورقية تقطع آلاف الأميال، متجاهلة الوقت الرقمي، والثورات التكنولوجية! لأسباب كثيرة أبسطها أن الأوراق مُعمرة، تعيش في عقول أصحابها وقُراء كلمات أصحابها للأبد...

***

الحُب هو الطريقة المثلى كي نُصبح أشخاصًا أفضل، ما دُمنا في عِصمة الحب فنحن بخير، شريطة أن يغلف هذا الحُب أدمغتنا قبل قلوبنا، و إن حصل العكس سنصبح ساذجين جدًا، تبكينا كلمة ويسعدنا دب أحمر. أحببتك سَنوات أهديتني فيها ما لايَصلح أن يغلف بورق الهدايا المُبهرج، أعتقد أن الإيمان بالله من موجبات الحب.

حين تُصبح الكتابة حاجة، اعلم أنك بدأت تتغير، بدأت تنسلخ عن سلالة البشر، وبدأت تحب الحياة بطرق مختلفة، الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان أن لا أحد بمقدوره أن يصيغ نصًا أدبيًا قبل أن يكون قد بلغ سن العلم و التجربة. ونحن نتعامل مع الأمر كأنه هواية حياتية نسكب بها محتوى رؤوسنا على ورقة! الكتابة هي طريقتي الوحيدة للحياة، لأهرب من قناعات أبي الهشة، وسلوكيات الأفراد الهمجية، لألفظ حزني، وأشكر نفسي، وأهزم ضعفي، ولأقول لك أننا سعداء بما نملكه لا بمى نتمنى أن نملكه.

***

سامر وهنادي

ما عاد أحد فينا يرى وجه أحد بوضوح، منذ الوقت الذي فقدنا فيه سياسة الإمعان بالملامح واعتمدنا على هواتفنا النقالة في بث المشاعر؛ نحى الحب منحى آخر، وصار لفظيًا لا فعليًّا...

***

حين نحب أحدهم، نتخلى عن الدنيا وما فيها، مقابل أن نحصل على حصتنا الوحيدة، تبخل الدنيا وتقذف بوجوهنا كل شيء إلا مبتغانا. بشكل جدي لا يعنيني شيء أكثر من قربك، قربك مصطلح يعود على ذاتك أنت؛ دون مُكملات الارتباط و ثانويات السعادة الزوجية.

نحن نحب لأجل الحب، كأولئك الذين مارسوا الفن لأجل الفن، نحن قادرون أن نبتدئ من الصفر، أن نُشيد حياة عظيمة فوق قاعدة الحُب، كل ما ينقصنا أن نكتفي بحب خَلقِ الله لا بحبِ ما خَلقَ خَلقُ الله، بعد كل محنة و نزوة ندرك أننا فعلًا كنا مخطئين، وأننا بحاجة لأن نقطع علاقتنا بالأشياء المؤقتة... لكن متطلبات ومقومات الحياة تغير مسارنا دوماً وتقنعنا أن (الحُب لا يطعم الخبز)، فـنسعى وراء أولئك الذين بمقدورهم أن يطعمونا الخبز واللحم فتمتلئ بطوننا ونفرغ قلوبنا فـ نصاب بـ(الخواء الروحي)

***

صفحة بيضاء مُسطرة جديدة تصلني منك، مليئة بالحياة عكس كل تلك الكلمات المحنطة والمستترة خلف شاشات ملونة، تسعفنا في وقت الضرورة وتندثر مع صبيحة اليوم التالي، أستقبلها كما أنها مولودي الأول، أحضنها بين يدي، أشمها، أتحسسها، تدمع عيني قليلًا بذريعة العجز، هذه الورقة المطوية بمقدوها أن تقترب منك بقدر يسمح لها أن تستنشق رائحة أصابعك، وأنا هنا أعد مربعات التقويم على هاتفي، وأقدر بعد أي يوم ستسنح لك الظروف أن تكون هنا، قبل ثلاثة أعوام من الآن كنت أشق ورقة الروزنامة في نهاية كل يوم، أدون عليها كلمة أو اثنتين و أدفنها في

سامر وهنادي

صندوقي الخشبي، بالإضافة لـأشياء كثيرة اندثرت الروزنامة من منزلنا!

***

هو لن ييأس من هذه الحياة، وأنا سأشد على معصمه دائمًا، سأتذكر أننا نحن البشر أصحاب هذه الدنيا ولنا حصة الأسد من السعادة، وأن لاشيء بإمكانه أن يحدث فجوة بيني و بينه، و مهما امتلأ رأسه بفوضى أصوات تلك المدينة البعيدة سيبقى صوتي راحته الأبدية، سـنصلي دائمًا، لأن الصلاة هي الحبل الوحيد الذي نتعلق به ونصعد عليه لنصل لأمنياتنا. كل ركعة ترفعنا خطوة للأعلى. سأكون منبهك الصباحي، وساعة يدك، وسجادة صلاتك، وكل الأشياء المحيطة بك، لن أسمح لقشور هذه الحياة أن تفسد ملامحنا ورغباتنا، مهما ساءت وصعبت الظروف تيقن أن بداخل كل منا بصيص أمل لا ينطفئ، نوره وهاج، لا يكل ولا يمل، لا تقدر عليه ريح ولا يد، سنصلي مرة أخرى كي يكتب الله لهذا الحب العمر المديد والقدر السعيد.

***

صندوقي القديم صاحب القفل المُعطل سعيد بحصيلة من رسائلك، بالرغم من أن (الحذر واجب) لكن لم أنتبه لفكرة أن الصندوق دون قفل، الحب يجبرنا أن نتحلى باللامبالاة والشجاعة أحيانًا!

أمي شاهد عيان على فيض مشاعرنا، أثق أنها من النساء اللواتي يتسمن ب الحياء، لذلك لن تقحم نفسها داخل الصندوق مهما حصل، باقي أفراد الأسرة نادرًا ما يدخلون غرفتي، هذا الصندوق صانع البهجة، ما إن أفتحه حتى أشعر أنني بموعد مهم معك، وستحضر بعد قليل. لكن عليك أن تعود كي تخبرني كيف بإمكاني أن أعبر هذه الحياة بأقل خسارة ممكنة، أريدك أن تصحبني مرة أخرى إلى ذلك السوق القديم، هناك حيث لا شيء يدل على أننا في القرن الـ 21 سوى بعض الملابس الفاضحة التي يرتديها عابروا الطريق، و يمرون على عجل، أريد أن أجرب الحياة بقربك، وأن تنمو أصابعي الخمسة في كف يدك، أريد أن أحدق بك وأنت تكتب - بالمناسبة

ستكتب لي حتى ينتهي الحب أو العمر، باستثناء الاحتمال الأول - دس رسالتك أسفل مخدتي البيضاء المليئة ببقع الكحل.

أنا وأنت وحدنا نعلم أن اكتمال الأشياء في هذه الحياة يرتبط باكتمال علاقة أصحابها مع الله.

سامر وهنادي

الرسالة الثامنة

"التمرد على الآلات"

تترم تترم... تترم تتترم!!

أفتح نصف عينٍ وألمح طرفها، ثم أعود لأغفو حامداً الله أنها لم ترَني... لم أنهِ كلامي بعد حتى تعود بشراسة أكثر هذه المرة "تتتتتتترم" "تتتتتتترم" "تتتتتتترم" "تتتتترم" أفتح عينيّ بجهدِ رافعِ أثقالٍ، أمد يدي وأضربها على رأسها، أنا لا أحب العنف لكنها تتوسله، تسكت، يبدو أنها تشحذ حزناً بداخلها مني ولا تريد أن تكلمني... سأستغل الفرصة وأنام، تعود مجدداً: "تتتتتتترم" "تتتتترم"... أستسلم لمعذبتي، أمسكها بحنان وأجلسها جلسة أنثوية وأطفئ غضبها بقبلةٍ صباحية... أنظر إليها بحب، إلى عقاربها فتلدغني... الساعة تشير إلى الثامنة إلا عشرون دقيقة...!! أقذفها إلى الحائط معلناً انتهاء علاقتي بها...اتجهت مسرعاً إلى الحمام لأجهز نفسي، اكتفيت بلبس «شحاطتي» بقدمي زحفاً، واكتفيت بغسلِ نصف وجهي، نظفت أسناني الأمامية فقط، حددت ذقني من الأسفل... لبست جواربي إلى الكاحل فقط واكتفيتُ بثلاثة أزرار من قميصي وأربع حلقاتٍ من حزامي، رشةُ عطر عفوية من فم العلبة، اخترت حذاءً من دون أربطة وأغلقت الباب بدائرة واحدة وركضت...

ركضت مسرعاً إلى عملي ... أأقطع الشارع؟؟ كانت الإشارةُ حمراء، حدثت اللاشعور بداخلي... ماذا لو قطعت الشارع والإشارة حمراء؟! لا بد أنها ستغفر لي استعجالي هذا، وقفت أتوسلها أن تخضر بسرعة... فقط اليوم لأجلي!

وعدتها أن أقف مكانها يوماً كاملًا، وعدتها أن أجلب لها كرسياً لتجلس... أن أحضر لها البوظة في هذا الحر... أخيراً اخضرّت، ركضت إلى الطرف الآخر

سامر وهنادي

واتجهت إلى موقف الباص، لم يأتِ بعد، انتظرت قليلاً، يرن هاتفي، أنظر إليه...! - مديري- أزيح بصري متأففًا، لا أعلم لم فعلت هذا!! رأيت هاتفي عارياً مثلًا فأزحت وجهي؟ أردّ بالنهاية...

لماذا أنت متأخر؟!

لم أستطع الاستيقاظ على الموعد!!

كيف ذلك؟! لماذا لم تضبط ساعة المنبه؟

"لم أشأ أن أخبره عن علاقتي المتوترة مع ساعة المنبه آخر فترة؛ فالتزمت الصمت وقلت له أنا في الطريق.

أتى الباص المعهود، يقف، أتجه صوب الباب، الباب مغلق، يفترض مني أن أنتظر قليلاً، يفتح الباب، أدخل، أختم ببطاقتي...دخول، وأقف بجانب الباب... كان الباص مكتظاً...

«الرجاء الابتعاد عن الخط الأحمر!»

أبى الباصُ أن يتحرك حتى نبتعد عن الخط الأحمر فيتسنى له إغلاق الباب... يتحرك نحو محطة القطار ثم يقف، أترجّل من الباص بعد ختم الخروج... ألمح القطار قادمًا من بعيد... أركض مهرولاً حتى ألحق به كي لا أضطر لانتظار القطار التالي.

دخلت محطة القطار، واتجهت نحو البوابات الالكترونية حتى أختم إذن الدخول، وضعت بطاقتي على الماسح الالكتروني فـفُتِحَتْ البوابة... عبرتُها، لكن شيئاً دفعني لأعود خطوة وأتأكد من إذن الدخول؛ باغتني من كان خلفي مباشرة.

«تم إذن الدخول بنجاح، مستحيل أن تفتح لك البوابة إذا كان إذن الدخول لم يتم؛ هذه الآلات أذكى منا!!»

كانت ضحكة ترتسم على وجهه... غضضت البصر إلى قدمي للحظة، كانتا

سامر وهنادي

تقفان على درج الكتروني يرتفع إلى أعلى حيث المحطة التي تنطلق منها القطارات... سألت نفسي حائراً، إلى أين تأخذني هذه الآلات؟!! ثم كيف يمكن لآلات أن تكون أذكى منا؟!... نظرت إلى اللوحة الالكترونية: «الرجاء الانتظار؛ القطار القادم بعد خمسِ دقائق!!»

ماذا لو لم أرد الانتظار!! هل أملك خياراً ألا أنتظر!!

لماذا تخيرني وترجوني أن أنتظر إذا كانت إحتمالية التمرد على طلبها معدومة؟! الآلات أذكى منا...!! تستقبل تمرداً وتدحضه ونحن لا نشعر...

يتقدم القطار... الأبواب تفتح، وماذا لو لم تفتح الأبواب؟ هل بإمكاني الصعود على متن القطار!! أدخُل، ألتفت يميناً وشمالاً، الحمد لله الجميع هنا... كلنا تعبث الآلات بنا...! و «الموت مع الجماعة أرحم...»

تغلق الأبواب... هل يمكنني الخروج بعد أن تغلق الأبواب؟!! ما هذا! أسجينٌ أنا؟! تأخذني القطارات حَيْث تريد! وهل أملك الخيار ألاّ أريد؟!!

وصلت محطة عملي بعد عددٍ من المحطات... مشيت خلال قناةٍ مغلقةٍ مكيفةٍ ذات اتجاه واحد يقود آخرها إلى المخرج ... وهل أملك الخيار ألا امشي بها؟!! أمجنونٌ أنا لِـ ألّا أختار الخروج؟ قبل قليلٍ كنت سجيناً هنا، والآن أمامي خيارٌ واحد ولكن بدرجةٍ عالية من الرفاهية!!

عند نهاية القناة هناك مسلكان؛ مصعدٌ أو الدرج، كلاهما يؤديان إلى نفس المخرج... الحمد لله... هنا أنا أملكُ خياراً...! وصلت آخر القناة حيث المصعد والدرج، كان هناك باب زجاجي إلكتروني يصل إلى المصعد، عندما اقتربت متوجهاً نحو الدرج كحركة تمرد على الآلات فاجأني الباب الزجاجي بأن فتح تلقائياً رغم عدم توجهي نحوه؛ نظرت إليه بشيءٍ من الغرابة.

«أنا فقط مررت من جانبه!!»

لم أستطع أن أقاوم هذا الاحترام؛ فاتجهت إلى المصعد خجلاً! من علَّم هذه الآلات الاحترام؟! نزلت من المصعد واتجهت إلى المبنى الذي أعمل فيه،

سامر وهنادي

أتقدم نحو الباب الرئيسي، تفتح كذلك الأبواب احتراماً لي... أنحني لها احتراماً وأشكرها على أدبها وأخلاقها وأتجه نحو المصعد.

«الطابق ٢٣»... أنتظرُ المصعد... لا خيار لي أصلاً، لن أصعد الدرج للطابق ٢٣ يتأخر المصعد، يتملكني شعورٌ أنه يتعمد التأخير! لا أعلم، إنه موقن أني لن أختار الدرج وأني مجبر على انتظاره مهما تأخر...

كيف لها أن تعلم ما يجول بخاطرنا ونقاط ضعفنا فتستغلنا!...

بدأت تستفزني هذه الآلات من اللحظة التي سمعت فيها «الآلات أذكى منا» كيف لكلمةٍ من شخص غريب أن تعكر صفو عيشي وتفاصيل يومي، أي قوة للكلمات هي هذه؟!! يأتي المصعد؛ أضطر أن انتظره مرةً أخرى حتى يفتح أبوابه... أدخل أنا فيغلقها... يبدأ بأناشيد الصباح:

«الطابق الثالث والعشرون، الصعود!»

بدأت تستفزني كلماته، يعاملنا كأننا كائناتٌ غبيّة، أعلم أنه الطابق الثالث والعشرون صعوداً وليس هبوطاً! لا داعي ليذكرني بذلك كل يوم...

وأخيراً... أصل إلى مكتبي بعد رحلة تقودها الآلات منذ أن فتحت عيناي حتى وصلت مكتبي... «الحمد لله، تخلصت منهم!»

أجلس في مكتبي، أشعل جهاز الحاسوب خاصتي...

«يتم التشغيل، يرجى الانتظار!!» وضعت يدي على رأسي ونهرته «حتى أنت!!» سأدعه يستيقظ من نومه هذا وأذهب أنا لأشرب قهوتي الصباحيّة، أقف أمام آلة إعداد القهوة: «اسبرسو، كوباتشينو، موغاتشينو، بلاك كوفي»

ماذا لو أردت قهوة سادة مثلاً؟! لماذا توهمني بحرية الاختيار «اختر ما شئت من القهوة ولكن لا خيار غير هذه القائمة!!! لن تخرج بخيارٍ غير عروضي هذه!!»

لم أعد راغباً بالقهوة... عدت إلى مكتبي... كان لا يزال جهاز الحاسوب

يمارس طقوسه الصباحية.

أخرجت جهاز المحمول من جيبي و وضعته على طاولتي... يستغيث! بطاريته توشك على الموت، يستغيث!! كل دقيقة،

«أرجوك اشحنّي... أرجوك، أرجوك»!

جلست أتأمله وأراقب موته، وأخيراً جاءتني الفرصة لأنتقم منهم... لكن من علم هذه الآلات الاستغاثة والتوسل؟ لا، لا لن أعطف عليهم؟ ضحكت ساخراً بينما كنت ألحظ احتضاره وهو يلتقط أنفاسه الأخيرة، يصدر صوت توت تووووت وتضيء شاشته إضاءة قوية بعض الشيء، زاوية رؤيتي لم تكن تسعفني لألحظ تفاصيل هذه الحركة و لكني كنت قادراً على تمييز أنها رسالة صباحية أو تعليق على إحدى منشوراتي على وسائل التواصل الاجتماعي... لم أقدر على المقاومة أكثر كانت كل حواسي تدفعني لأنقذه قبل موته... من علّم الآلات أن تلعب على أوتار أحاسيسنا وعواطفنا لتحترف العزف هكذا؟!!

أركض لاهثاً؛ أخرج الشاحن من حقيبتي وأركض إلى أقرب مستشفى شحن، أوصله بأكسجين هذه الآلات!! وأجلس أرضاً أنتظر أن يخرج طبيباً من غرفة العناية الفائقة ويخبرني أنه ما زال على قيد الحياة، جلست هناك ألوم نفسي على عدم إنقاذه عندما كان يتوسل، كيف رأيته يموت بين يدي ولم أسعفه؟ يا لظلمي!

يأتي الخبر السار؛ ها قد بدأ باستعادة وعيه... يزداد نوره فـأحمدُ ربي. أقترب منه، أراه طريحاً يوصلون الأسلاك به... كانت نبضات قلبه تشير أنه بخير وقد تجاوز مرحلة الخطر... أتقدم خجلاً خائفاً أن لا يغفر لي ويعاقبني بأن لا يريني ما كان قد بُعثَ لي من رسائل إلكترونية...

وأخيراً؛ أرفع رأسي... أنظر إليه، كان لا يزال يحمل بعضاً من تلك الكلمات المرسلة على شاشته... انتظرت أن يزول الضباب عن عيني وأميز الحروف...

«عيد ميلاد مجد اليوم، قل له عيد ميلاد سعيد!!!»

هنا سقطت أرضاً مغشياً عليّ!

أستيقظ على صوت جهازي المحمول مرة أخرى... أحمله بيدي

«مديري يتصل بك؟»

لا أرغب بالإجابة... لست بمزاج يسمح لي بأن أجيب على أسئلته!! هذا الجهاز يأخذني (على قد عقلي)؛ يبحث لي عن مبرراتٍ لعدم الرد!! ويضعها أمامي كقائمة من الحلوى! هيا... اختر...

«أنا في اجتماع، أنا مشغول، سأكلمك لاحقاً، أنا في طريقي!»

وإذا رغبت بأن تبرر عدم ردك بأشياء أخرى فأنت تمتلك الخيار ... ولكن لا تبقى صامتاً...!!

لا تزال الأفكار تدور في رأسي، كيف لهذه الآلة أن تهتم بعلاقاتي الاجتماعية وتذكرني بعيد ميلاد مجد! لِمَ تنقذني من سؤال محرج؟!! وكيف لها أن تهتم بمستقبلي المهني أكثر مني فتبرر لي عدم الرد حتى لا أطرد من عملي؟!

لا أستطيع أن أقاوم كرمها وحسن معاملته، رغم إساءتي لها تصفح و تسامح؟!

أعود لوعيي... جهازي المحمول يخبرني:

«هناك انخفاضٌ في نسبة السكر في دمك؛ الرجاء تناول وجبة الإفطار، كوب حليب، بيضة، وقطعتا خبز قمح، ولا تنسى أن تغلق باب الثلاجة، أتمنى لك يوماً سعيداً»

أوصلت الى هذا الحد، تهتم بصحتي!! ضحكتُ ضحكةً ساخرة... وصحة صديقتها أيضاً...

«لا تنسى أن تغلق باب الثلاجة»... الأمر مضحكٌ حقاً، أيعقل أن الثلاجة قد شكت لها إهمالي لها، ونسياني الباب مفتوحًا عدة مرات...؟!

سامر وهنادي

سامر وهنادي

تركت جهازي على الطاولة واتجهت صوب نافذتي، نظرت إلى البنايات، السيارات، القطارات، الأشخاص من حولي... ترى هل تعبث الآلات بهم جميعاً؟!!

عدت لأتذكر تفاصيل يومي منذ أن صحوت، كانت هي من تقرر عني وتختار لي حتى أدق تفاصيل يومي، علاقاتي، عملي، صحتي، أسلوب حياتي كل شيء!

متى غزتنا هذه الآلات؟ منذ متى تتحكم بنا، وتستغلنا، بكلامها المعسول، وخياراتها الوهمية...؟ لصالح من تعمل؟ أي نوعٍ من الإحتلال هذا؟! أي نوع من العشق؟

نظرت إلى جهازي المحمول المستلقي على طاولتي... ما هذا الشيء الذي لا يفارقني لا في ليلي ولا نهاري!! متى أحببته؟ وكيف التقينا، وأي نوع من الحب هذا الذي لا يفرّقنا... كيف أُفضِّل أن أُناجيه وألمسه حتى وأنا أجلس مع أمي!! أي نوع من التعلق هذا؟ كيف يسرق أغلب وقتي برضاي... يسرقه مني على غير علم!

أعود لأنظر من نافذتي ...هناك على شرفة قريبة مني أشخاص يجلسون، يشربون قهوة صباحية من صنع آلاتهم؛ ويحملون آلاتٍ بين أيديهم... لا يكلمون بعضهم ولا حتى ينظرون لبعض... يا ترى من يكلمون؟ ماذا لو كانوا يجلسون مع من يتحدثون معهم هاتفياً، أسيكفِيَهم هذا بألّا يعبثوا بأجهزتهم؟! فهم يجالسون حالياً أشخاصًا ربما كانوا سيحدثونهم هاتفيًا لو كانوا يجلسون مع أشخاصٍ غيرهم؛ يا إلهي... ما هذه الفوضى التي صنعتها الآلات؟؟

أحسست بصداعٍ رهيب... أيقنت أنني لم أعد بخير... قررت أن أتمرد على قوانين العمل وأعود للبيت لآخذ قسطًا من النوم... الذهاب في جولة إلى عالم الأحلام ربما الطريقة الوحيدة لأنسى كوكب الآلآت...

عدت مسرعاً إلى بيتي... جلست على الأريكة... التقطت جهاز التحكم عن

بعد ثمّ أشعلت التلفاز... إعلانٌ تلفزيوني لا تميز هدفه، شاطئ، بحر، الهواء يلفح وجهي المتعب، وأصوات الأمواج تداعب أفكاري، والرمال...

ارتجفت مذعوراً! كيف أوهمتني هذه الآلة أن المشهد حقيقي!؟ هي ليست غير صور متحركة! رباااه!! هذه الآلة تعبث بعقلي...

أطفأت كل الأجهزة من حولي ورحت في نومٍ هستيري...

«الله أكبر الله أكبر... أشهد أن لا إله إلا الله»

نسيت أن أطفئ الساعة الإلكترونية ... كل شيء إلا علاقتي بربي!!! لماذا توقظني لصلاتي؟!! كيف تهتم بعلاقتي بربي وهي تتفنن بإضاعة وقتي، وتسخر كل وسائلها ومكائدها لتلهيني عن ذكر ربي!! أي نفاقٍ هذا! أم تريد أن تحصر علاقتي بربي بوقت الصلاة فقط؟!! أي شركٍ هذا؟؟؟!

من أين لها بكل هذا الدهاء!!

كيف و متى تمرّدت على صانعيها؟؟

منذ هذه اللحظة بالذات قررت التمرد على الآلات وتركت لك حرية تمردك...

سامر وهنادي

أشخاص لا يمكن قتلهم!

قلة هم مَن يغدقون عليك بفيض من مشاعرهم دون مقابل! وأكثرية يحاولون جاهدين ممارسة ذلك...

ثمة شخص واحد تنجبه لك الأيام، يجيء نتيجة ما سبق، يجيء على هيئة جزاء، في اللحظة التي يكون الله هو الوسيط الوحيد بينك وبين الحياة، كل الطرق التي تبدأ بالله تنتهي بالسعادة وكل الخطوات التي تتجه إليه تقلّص المسافة بيننا وبين أمنياتنا «وأكثرهم لايعلمون «

في كل ركعة يرتق الله ثقباً في قلبك، وفي كل دعوة يمسح على روحك، حينها تتأكد أنه لا يفصل بينك وبين وجه السماء سوى ارتفاعات وهمية، ولا يفصل بيني وبينك يا قلبي سوى حدود وطن وألف بندقية.

***

يخَّيل إليَّ أحياناً أن الأشخاص العظماء مثلك ولدوا من وسط الوجع، ولدوا بطريقة مغايرة وبقدر أكبر من التحمل والمكابرة، هم نتاج جهاد نفسي، ربما هذا ما يجعلهم روحانيين أكثر، ويوطد علاقتهم مع الله بطريقة ذكية، متجاوزين العبادات إلى السلوكيات والمنهجيات، يحبون الله بطريقتهم، بعيدًا عن ما نشأنا عليه من أساليب تلقين وحفظ، يتعاملونه بشغف وولاء، وهذا ما يجعلهم كائنات مغايرة عن النسخ الواقعية.

(من تقرب إلى الله رفعه) هذا الارتفاع يجبرنا أن نحبهم أكثر من اللازم، ويلزمنا بهذا الحب، ببساطة لأن أولئك أشخاص لا يمكن قتلهم!

نعم، هذا هو الرجل الذي أسعى وإياه أن يسكن كلانا الآخر، الرجل الذي حين تصلني رسالته ألمح فيها ملامح وجهه موزعة على سطور الورقة، طبيعتنا الإنسانية ترغمنا أحيانًا أن نتحول لكائنات مقصرة ولعوبة، نسترق

الفرص والمبررات، نحن بحاجة لجلدة بين الفينة والأخرى كي نعي أن العطاء الرباني هو انعكاس للسلوك الدنيوي، لذلك كان يستوجب عليّ أن أعطي الله حقة كي يعطيني حقي ويكرمني بك!

***

بالمناسبة، نحن لا نكتب لأننا نريد أن تلتئم خدوش وندبات الأعوام الماضية، ولا لأننا بعيدون أكثر من اللازم وعلى وشك أن ننسى رائحة كفوف بعض، ولا لأننا نعاني من سوء فهم لمشاعرنا فنندفع أكثر من اللازم ونسقط أحياناً على وجوهنا، ولا لأننا نحلم بليالي البرد تحت غطاءٍ سَماوي مخطط بوجوه كل الذين قالوا لنا (ديروا بالكم ع حالكم) ولا لأننا نبتلع الدمع أمام من يحتسب الضعف في حضرتهم مَمَسكًا...

ولا لأننا لمحنا أمنياتنا بأيدي الغير وغضضنا البصر وأكملنا الطريق... ولا لأننا في لحظة ما قصمت ظهورنا خسارة ما بعدها خسارة! ولا لأننا نعاني من اضطرابات في النوم وعلاقة ودية مع (الباندول) ولا لأننا نسينا كيف كانت أشكالنا حين كنا خالِين تماماً من تلك الشخصيات المؤقتة... نحن لا نكتب لأننا نهوى الحناجر الخَشنة والأصوات المجَهورة، نحن نكتب لأن قلوبنا خرساء وصوتها الكتابة، نكتب كي نجد الطريق الأسلم لنقول لله بحب

(يارب)

سامر وهنادي

الرسالة التاسعة

"آيس كوفي"

هو: أنا في المسجد.

أنا: لما تخلص اتصل علي!

هو: خلصت صلاة، وينك؟

أنا: بالشغل، كمان شوي بخلص... شو رأيك نطلع نشرب قهوة بـشي مكان؟

هو: أوكي، وين نلتقي؟

أنا: ابن بطوطة مول، كمان نص ساعة؛ نتعشى بعدين منشرب قهوة.

هو: أنا مش جوعان؛ بس بشرب معك قهوة.

أنا: ماشي سلام

......

هو: وين صرت؟

أنا: قربت أوصل، بنلتقي بردهة المطاعم...

هو: سلام.

تقدمت مسرعاً باتجاهِ المول، دخلت من الباب الرئيسي، واتجهت إلى حيث يجب أن نلتقي؛ أمْشي بسرعة مُرَكِزًا على الطريق، أجول ببصري يميناً وشمالاً كمسّاحة مركبة على الزجاج الأمامي، لعلّي أجده.

في طريقي... «سامر سامر!!!»

صوتٌ من بعيد ينادي باسمي!

سامر وهنادي

أقف مكاني، أشعر بالحروف تدخل أذني واحداً تلو الآخر، ومع اكتمال الأحرف الأربعة كانت قد تشكلت كلمة من أربعة حروف تحمل اسمي. أدركت في بضع ثوانٍ أنني المقصود من النداء... الصوت مألوفٌ غيرُ مقروءٍ بالنسبة لي! كأنني أسمعه لأول مرة، ومع ذلك يبدو أنه قدْ مرّ عليّ من قبل؛ كل ذلك حدث في ما يقارب الثانيتين قبل أن ألتفت خلفي لأتعرف على المنادي... التفتُّ فرأيته يجلسُ تحت ظل شجرة مصطنعة، يبتسم في وجهي...

هو: وينك، ليه ما بترد؟!

وقفت صامتاً أتأمله جيداً... أتأمل ملامحه، شعره، ملابسه، كل شيء!

أحدث نفسي بصمت: ولكن!! قد رأيت هذا الشخص عند دخولي من البوابة الرئيسية، نظرت إليه نظرة سريعة وأكملت طريقي كأيّ شخص عابر. كيف لم أدرك أني جئت أقابله هو! وكيف يمكن لي أن أنسى ملامحه بهذه السرعة!! لا لا... أنا فقط أتخيل!

أتقدم نحوه...

هو: أنت مالك، نظرت علي وبعدين كملت طريقك؟!

أنا: أنت متأكد؟!

هو: شو متأكد! ما أجت عيني بعينك، بتستهبل؟!

قد تشكل لدي يقين أني فعلاً رأيته ولم أكن أتخيل. ولكن كيف لم أعرفه؟ كان قد بدا لي أنه يمر بطور من التحول، حالة ما بين هو القديم وهو الجديد، حالة فيزيائية لا أقدر أن أحللها، ما بين أعرفه ولا أعرفه، حالة ما بين الجليد والماء، لا يمكن تصنيفها على أنها ماء ولا يمكن تصنيفها على أنها جليد!

أكملنا طريقنا باتجاه ردهة المطاعم، أخذت شيئاً لتناوله وجلسنا... طلبت منه أن يشاركني بعضاً من الطعام فرفض معللاً إحساسه بالشبع. كان يبدو

أنه متعطش لجوعٍ من نوعٍ آخر.

جلس يعبث بجهازه المحمول، يضحك تارةً ويعبس تارةً أخرى!

أنا: شو بتعمل؟!

هو: بمسح بصوري القديمة.

لم أشأ أن أسأله عن السبب، ولكن استغربته؛ لماذا يحذف ماضيه؟! هل هو فعلاً مستعر من ماضيه لهذه الدرجة؟! أم هل ارتكب جريمة في الماضي ويريد أن يخفي جميع الأدلة؟!

هو: خلصت أكل؟ "لم ينتظرني حتى أجيب بنعم أو لا"

هو: حاسس حالي بدي قهوة!

أنا: اوكي؛ يلا نشرب قهوة.

اتجهنا نحو ردهة المقاهي...

أنا: هاي تيم هورتنز، تعال نشرب عندهم قهوة، قهوتهم زاكية وقعدتهم هادية.

هو: مش عارف، حابب نروح على كوستا، شو رأيك؟

أيقنت أنه لا يبحث عن الهدوء، لذلك رضخت لاختياره، دون أي مناقشة.

أنا: متل ما بدك كوستا... كوستا

بعد أن وصلنا المقهى المقصود...

أنا: شو بدك تشرب؟

هو: بدي آيس كوفي...

تقدمت أولاً باتجاه «الكاونتر» أمعنت النظر بالقائمة كانت "الآيس كوفي" تغريني، أصعد في القائمة عالياً كمن يصعد مصعداً، وعندما أصل الطابق

سامر وهنادي

المقصود، يفتح الباب؛ لا أخرج بل أبقى في المصعد ليهبط بي ثانيةً، حزمت قراري أخيراً! سأشرب آيس كوفي... في هذه اللحظة بالذات؛ تذكرت مشروب «البيبسي» ذو الحجم الكبير الذي كنت قد تناولته على وجبة العشاء... أقنعوني به رغم حاجتي لحجم صغير معللين ذلك بأنه لا يوجد حجم صغير. ولكي يسكتوني أهدوني كأساً فارغةً كهدية مجانية على وجبتي، فرحت كثيراً وأخذت صوراً معها ونسيت الحجم الكبير!! أحسست بارتفاع السكر في دمي فألغيت فكرة «الآيس كوفي» عدت لأحتار مجدداً أي نوع من القهوة أشرب؟! شخصٌ آخر يدخل المصعد ويأخذني حيث يريد هو، ربما طلب لي قهوة أمريكية أو قهوة عربية، المسميات تختلف ولكن القهوة تبقى قهوة، مهما حاولنا تغير اسمها، تبقى الكلمة الأولى قهوة...! طلب مني النادل أن أذهب وأجلس إلى طاولتي، سيحتاج وقتاً ليعد القهوة... ذهبت وتركت صديقي خلفي، نظرت إليه مجدداً...

قلت له: لماذا لم أطلب لك معي!! وكيف نسيتك مرة أخرى. كيف لم يخطر في بالي أنك معي!!

هو: اسبقني بجيب قهوتي و باجيك.

ذهبت وجلست هناك... كنت لا أزال مندهشاً كيف لم أذكره هنا أيضاً! نظرت إليه مجدداً، كانت زاوية الرؤية تتيح لي أن أرى نصفه الخلفي فقط بمقطع طولي، أرى نصف رأس، ونصف جسدٍ، ونصف إنسان...! كنت أراه يدخل يده في جيبه يخرج محفظته ولكن لا أرى ما يحدث بعد ذلك، يأخذ شيئاً من الوقت، يعود ليدخل يده مرة أخرى في جيبه ولكن لسبب أجهله تبقى يده على جيبه لا تتحرك. مقطعه الطولي الخلفي جميعه كان قد توقف عن الحركة كلياً، هذا الجزء من جسمه مات...! أيعقل كل الأحداث تتفاعل مع مقطعه الأمامي...! أي انفصام هذا...! فضولي يقتلني لأعرف ما الحكاية؛ يأخذ وقتاً أكثر من اللازم لكي يحضر قهوته المثلجة! ثم ما قصته مع القهوة المثلجة؟؟ كيف يمكن للقهوة أن تكون مثلجة؟! هل يريد أن يخدر مواضع الإحساس في جسمه، ممَّ يعاني هذا الشخص؟!

سامر وهنادي

سأطرد كل هذا الأفكار من رأسي، استخدمت حركتي المعهودة، أسندت ظهري إلى الكرسي، فتحت يدي، وتثاءبت... تلك النفخة التي أخرج فيها كل شيء من فكري وعدت لأرض الواقع... أضع يدي على الطاولة، أضرب الطاولة ضربات خفيفة، أعود لأغمض عيني، أضع يدي على وجهي وأمسحه بقوة كأني استبدل ذلك القناع الذي يحجب رؤيتي؛ أعود لوعيي... يتقدم نحوي يحمل مشروبه.

أنا: وين قهوتي؟... "لا إجابة"

أنا: وين قهوتي؟!

هو: لا ينظر إليّ حتى!

أنا: وين قهوتي!!!!

ألا يراني؟! هو لا يراني فعلاً، لا يراني كلياً، لا يلتفت إليّ، ولا حتى يسمع صوتي! أنا بالنسبة له لا شيء، روح تحوم بالمكان مستنجدة؛ تواصل بين البشر وعالم الأرواح...! كيف لم يعد يراني!!!

شعرت بالخوف -لا أخفيكِ - نظرت إلى يميني كان هناك طفل يلعب، ضحكت بوجهه رد ضحكتي بضحكات، أيقنت وقتها أني ما زلت حياً... عدت لأنظر إليه، تبدأ ملامحه بالشحوب، هو يعاني من شيء، أعراض لم أختبرها من قبل، ازداد خوفي ووضعت يدي على جهازي المحمول... اتصال الطوارىء... ولكن ماذا سأخبرهم؟!! نظرت إليه مجدداً، هذه الأعراض لم يختبرها طبيب من قبل، ربما سأزيد حالته سوءاً. ولا وقت هناك لأنتظر حضورهم... سألعب دور الطبيب، الإسعاف الأولي، جرعات من الكلمات ليبقى على قيد الحياة فقط. ولكي أنقذه مما هو فيه، وضعت يدي على كتفه وهززته

أنا: مالك ايش فيه؟ "أعدتُ الحركة مرة ثانية وثالثة" رفع رأسه أخيراً، نظر إليّ، ضحك ضحكة ممزوجة بنكهات ومكونات متعددة لم أعرفها لكن ما

سامر وهنادي

زلت قادراً أن أتذوق طعمها رغم عدم معرفتي لـماهيّتها

قال لي: الآيس كوفي أخدتها من دون فلوس.

أنا: كيف يعني من دون فلوس؟

هو: ما أخذوا فلوس، اليوم مجاني

أنا: كيف مجاني ما أنا دفعت لقهوتي. هو: بس الآيس كوفي مجاني

أنا: بتستهبل؟ ما احنا دائماً منشرب هون بـ ٢٢ درهم، بعدين بحياتي ما سمعت إنو في إشي عندهم مجاني...

هو: ما أنا استغربت مثلك وحكيتلهم أكثر من مرة، ما قبلوا؟!

أنا: طيب، صحتين انبسط، على شان هيك مش على بعضك؟!

هو: لا

أنا: ولاّ شو؟!

أدخل يده في جيبه وأخرج ورقة مكتوب عليها ٥ درهم... لم أفهم شيئاً...!!! أمسكت الورقة بيدي وأمعنتُ النظر بها مجدداً "قيمة القسيمة ٥ دراهم".

بدأت أجمع ما كنت قد التقطُّه من صور لحظة لقائي به حتى هذه اللحظة، جمعتها جميعاً وكلعبة المربع السحري بدأت أرتب الصور وأغير أمكنتها لعلي أصل إلى حل ما!! لم تسعفني براعتي في هذه اللعبة لأصل إلى حلٍ ما. أدركت وقتها مدى فشلي في إتقان كل اللعب و أنا أعجز عن فك شيفرة من صورتين، "آيس كوفي و ٥ دراهم"

كان يدرك أن خلايا المخ عندي بدأت تغلي، وبدأ يتصاعدُ بخارٌ من أذني وحممٌ بركانية من عيني... كل الاحتمالات كانت توحي بانفجارٍ موشك...

يعود ليمسك كوب القهوة المثلجة وينظر إليها ويضحك ضحكته الغريبة. نظرت إلى كوبه أيضاً، أحسست ببرودة تنساب على عقلي فتخمد ناره

سامر وهنادي

ويخف غليانه... كمجرى مياه باردة تلتقي بمجرى قناة مياه ساخنة... تلتقي كلتاهما؛ تفقد المياه الباردة برودتها والساخنة حرارتها؛ امتزاجٌ يشكل مياهً لا باردة ولا دافئة تحمل خواص الاثنتين معاً.

على درجة الحرارة تلك كنت مستعداً وجاهزاً لكي أسمعه...!

قال لي: كنت في المسجد وقت ما رنيت علي، صليت ودعيت ربي إنه يهديني، فتحت القرآن، أول آية بتيجي عيني عليها كانت "الله يهدي من يشاء" خرجت من المسجد لقيت في طريقي جمعية لرعاية الأيتام، رجعت قرأت الآية من جديد، الله يهدي من يشاء، اشتريت بطاقة وتبرعت فيها وأكملت طريقي.

"بدا لي أنه قال تلك الكلمات وهو غارق في بئر عميق...، كنت أسمع صدى صوته؛ من يشاء، من يشاء، من يشاء...

كنت هناك أقف على قمة البئر أسمع ذاك الصدى ومع كل تكرار لصدى صوته كنت أتقدم خطوة باتجاهه، كمن يمسك حبلاً معقوداً، تقصر عقدة النهاية مع كل عقدة أجتازها... وفي النهاية مع آخر صدى صوت وآخر عقدة حبل التقينا في القاع حيث هو يقطن، في ذلك المكان المظلم...

كنت في مكان يسمح لي أن أفهم ما الذي يحدث معه منذ رأيته، كان يتحول، لهذا لم أتعرف عليه في المرة الأولى والثانية. كان تحوله قد بدأ قبل حادثة القهوة المثلجة، كان يتحول منذ اللحظة التي قرر أن يتقدم فيها خطوة نحو الله. بدأ هناك في المسجد عندما سأل هدى الله... ليأتي الامتحان واختبار صدق النية مباشرة -جمعية رعاية الأيتام- لا بد أنه أدرك أهمية المرحلة القادمة وخطورتها على معتقداته... ولكن كان قد اتخذ قراره؛ لا رجوع ولا استسلام، كان قد بدأ يتخلص من الطحالب والكائنات الغريبة التي تسكنه. و إذا احتاج الأمر كان مستعداً ليضرم النار في جسده مرات ومرات... ثم جاءت حادثة القهوة بتفاصيلها بداية من إصراره على اختيار المقهى، واختياره لقهوته، واختياري أنا لقهوة مختلفة، كل ذلك لم

يحدث مصادفة، كل شيء كان يسير وفق خطة إلهية محكمة لتؤكد له حسن اختياره، وصدق نيته... وجزاء من يختار طريق الله. جاءت كشمس تعامدت مع فتحة باب البئر ليدخل النور الإلهي إلى أعماقه... كان يتسلق ذلك النور صاعداً نحو الصرح؛ ليترك كل ما لا ينتمي لشخصه الجديد خلفه. رأيتهم يتشبثون بقدمه بعنقه، كانوا يثقلون وزنه ليهبط معهم للأسفل، غير أن قوة من يجذبه لأعلى تفوق أي قوة تهبط به... ذلك المدد الإلهي!!

لم يكن السطح مقصده، بل استمر صعوداً إلى السماء. عدت أنظر لنفسي وكيف أقنعت نفسي بالسطح وجعلت منه حدوداً لي... كان مروره صاعداً لا يزال يلفح وجهي ويغشي بصري...!

قال لي: كيف لو فاجأني الموت قبل أن أعلم...؟!

كنت قد تركته في ذلك اليوم وودعت ما كان قد بقي منه، وكنت على يقين أني لن أتعرف عليه في المرة المقبلة...

ولكن سأكون محظوظاً جداً لو جمعتني الأقدار بشخصه الجديد...

غادرنا ونسيت قهوتي....

سامر وهنادي

سامر وهنادي

رفيقي في الدارين

إن العلاقة التي تربطنا ب الأشخاص الذين نحبهم هي علاقة أخلاقية بالدرجة الأولى، الحب يصنف ضمن الإحسان والود والاحترام، إذن حين نحب أحدهم نتبادل و إياه أخلاقنا...

أنت الوحيد الذي أشتهي الجنة معه، معنى ذلك أنني أحب أن تكون رفيقي في الدارين، وقلة من يرغبون بذلك حقاً، أغلبنا يحتمل عبء الدنيا طمعًا في راحة الآخرة، متجاهلين أن كلا الحياتين تربطهما علاقات وثيقة وتمتد بينهما جسور رفيعه، يتوجب علينا أن نعمل بكل ما نملك كي نحمل الأشخاص الذين نحبهم معنا إلى مثوانا الأخير، الحُب الحقيقي هو أثر كل منا في نفس الآخر، هو قدرتنا على التحدث بذات الشهية والرغبة لخمسين عام قادمة...

أن تكون إنساناً ذلك يعني أن تُحب كل الأشياء المحيطة بك أضعاف حبك لنفسك!

نحن كبشر، نحشر قلوبنا في أماكن عدة، ونمارس الحب فضولاً، نسعى للسعادة الشخصية، ونرمي ثقل أحمالنا على الآخرين، وندرك أحيانا أن أرواحنا ثكلى وأجسادنا مهترئة وأننا بحاجة الله في مصلحة شخصية مبتغاها «تفريج الكرب»... نحن كبشر نحب أن نلتهم ملامح الآخرين دون أن يمس أحدهم أطراف ملامحنا، ونمارس أحياناً العطاء بدافع الإيذاء، ونخشى أن نخبر أي أحد بأي شيء يلتقي مع نقاط التماس في قلوبنا، نحن كبشر يلزمنا أن نمارس إنسانينا بمعزل عن ما يلقننا إياه الآخرون عن الإنسانية!

أنت صندوق أسراري الوحيد، ومرآة وجهي، ورفيقي الصدوق، الذي آخر ما يعنيني أن أتشارك وإياه سريرًا، بقدر رغبتي أن أتشارك وإياه نصوصَ كتاب...

سامر وهنادي

لأنني لم أكن على قيد الحياة بعد حين امتلأت رئتاك بالأكسجين لأول مرة، وقع على عاتقك أن تكون صديق تلك الصبية التي تخلّى عنها العالم، ووالدها اللطيف، وحبيبها الودود! وجب عليك أن تمتهن كل هذه الأدوار فـالأحباء هكذا يا حبيبي، بألف وجه (حُلو طبعاً).

***

في مثل هذه الأيام السيئة، رسائلك الشيء الوحيد القادر على ضخ هرمون السيروتونين في حياتي

«كل الرسائل التي تبعثها إليَّ ترقد أسفل رأسي»

نحن بالذات ليس بإمكاننا أن نكون (عشاق، عشاق جداً) نحن نمارس العشق بغية أن نحصل على ضمان يخولنا أن نكون معًا لبقية العمر، إن الذي جمعنا شيء يشبه (الرغبة بحياة لا تشبه الحياة) نحن ننفخ السعادة في صدور بعضنا، ونسعى جاهدين أن نخلق مساحة خالية من النفاق والوجع والملل والكذب والكره والحقد والجشع الذي اعتاد عليه كل الناس، ربما بمعنى آخر إن ما نفعله هو تطويع كل هذه المصطلحات لخدمتنا بطريقة أو بأخرى، متكلين على فطرتنا الإنسانية التي تهدينا دومًا للرشد.

في الحياة والحب يفترض بك أن تمتلك القدرة على العبور من وإلى الأشخاص بشفافية و صدق، دون أن توجع قلوبهم أو أجسادهم

«الأشياء الشفافة سريعة الكسر والخدش»

أنت الذي تدرك جيدًا أن معنى الحب أن تصلي «قيام الليل» بالنيابة عني حين يتعذر عليَّ فعل ذلك...

هنا بالذات يتجرد الحب من المصطلحات الرومنسية واللقاء المنتظر، يتجرد من الماديات والمقومات الحياتية، يسمو لمرتبة أعلى يمكن أن نطلق عليها (مرحلة اليقين)... اليقين بأن هذا الشخص قادر أن يضمن لنا سعادة أبدية دون شرط أو وعد.

سامر وهنادي

الرسـالـة العـاشـرة

"تـواصـلٌ بـصـريّ"

كنت قد جلست يومها في الصباح الباكر؛ أرقب محادثة بين شخصين - بدافع الكتابة طبعاً.

كانا يقفان متقابلين يفصل بينهما قرابة المترين...

«ربما كانا يتحدثان عن صفقة عمل صباحية، يبدو أنه بذل مجهوداً مضاعفاً معها... يبدو على ملامحه الأمل، وتقاسيم وجهها تبث رغبةً معجونة بـالقليل من التردد، كانت على وشك أن تقبل...»

«ربما كانا حبيبين يتعاتبان على سوء تصرفٍ منه، كانت على وشك أن تغفر له ويشربان قهوة صباحية، القهوة الصباحية بين العاشقين تَجُبُّ ما قبلها... أو ربما كانا صديقين تقابلا بعد سنينٍ غياب، كانت تحاول أن تتذكره؛ يذكر لها موقفاً حصل في الماضي، وتقف هي تستحضر ماضيها؛ كانت على وشك أن تتذكر!!»

وربما قصصٌ أخرى؛ لم يسعفني خيالي...

ألمح شخصاً يقترب من بعيدٍ شيئاً فشيئاً. تبادر إلى ذهني أنهُ سـيفسد المشهد ولن يدعني أشاهد النهاية... تبادر إلى ذهني أن ما أراه من عرض سيتوقف ونعيد المشهد من جديد؛

«لا وقت لدي لكي أعيد المشهد منذ البداية علي أن ألحق بـعملي »

حين اقترب منهما توقف، حرّك عينيه كساعة بندول يميناً وشمالاً كأنه يبحث عن طريق أخر؛ وعندما تأكد من عدم وجود أي طريق آخر، تقدم بخطوات مسرعة... من كثرة سرعتها يبدو أنهما لم يلحظا مروره خلال الهالة التي

سامر وهنادي

تحويهما؛ بينما كنت أنا أعمل على ترددٍ أبطأ لألحظ أدق التفاصيل...

تقدم، حنى رأسه وجسمه إلى ما دون مدى بصرهما؛ وأكمل طريقه!

لم يفسد مروره أي معلمٍ للمشهد، لا داعي للإعادة من جديد... أخذت صورة في عقلي للموقف ومن ثم أخضعتها لتحليلٍ فوري... «لماذا يا ترى تصرف بهذه الطريقة؟!»

أفعَلَ ذلك كي لا يقطع حواراً بين شخصين وصلا إلى مرحلة متقدمة؟! أم أدرك بوعيه أنهم مثلي؛ ربما لا يملكون الوقت لإعادة الحوار فانحنى كي لا يفسد المشهد!؟

هل يعرف أهمية نقطة التحول التي وصل إليها الحوار؛ والذي قد يكون سبب في إفشالها!؟ هل رأى الخيطَ الرفيع الواصل بين عينيهما فانحنى حتى لا يقطعه؟!

كان بإمكانه أن يقطع الطريق كغيره، ولن يعاتبه أحد على تصرفه... ربما فعل ذلك مصادفة... ربما أصابه ألم مفاجئٌ في ظهره فانحنى، ولأن لا شيء يستحق كل هذا الاهتمام كنت قد حذفت الصورة التي التقطُّها.

وبينما أضع أشيائي في حقيبتي لأغادر... يعود ذلك الشخص من نفس المكان وعبر نفسِ الطريق، أتيقظ من جديد وأبحث عن تلك الصورة المحذوفة ولكن لا أجدها. بحثت في سلة المحذوفات،

«الحمد لله ما زال بالإمكان استرجاعها» استرجعت الصورة المحذوفة وبدأت ألتقط صوراً جديدة للحدث القادم...

يتقدم كالمرة السابقة، «يبدو أنه اعتاد على هذه الحركات»؛ ينظر يميناً ويساراً، لا يجد طريقاً، ينحني، يسرع ثم يغادر...! لا يمكن أن يكون هذا مصادفة، أقارن الصورتين معاً، «لا فرق»، الحركات نفسها... نفس الانحناءة!

هذا الشخص يتصرف بوعي؛ ومدرك كلياً لما يفعله!

سامر وهنادي

أقف هنا مشدوداً، وأطلب من الجميع أن يتوقف عن الحركة... أوقف حركة السير في جميع الاتجاهات، أكلم وحدات التدخل الخاصة... سيارات الإسعاف، مُخبر التحليل المخبري، ومستشفى الأمراض العقلية... لا يمكن أن نمر على الحدث مرور الكرام، تتقدم وحدات التدخل الخاصة، تغلق المكان بأشرطة بلاستيكية. بدأت الأحداث تتسارع والناس تتجمع لتعرف ماذا يحدث هنا. يتقدمون ويرفعون أسلحتهم بوجهه ويدعونه للاستسلام...

يقف هو مذهولاً: «لم أقترف أي شيء لماذا تعتقلونني؟!، على أي جريمة أنا أُسجن!»

يجيبونه: «جريمتك هي الـ لا جريمة!، لهذا تحاسب.»

يتقدم فريق التحليل المخبري ويقومون بكافة التحاليل له في الشارع العام، لا وقت للذهاب لأي مختبر... ومن ثم يتقدم فريق التصوير الإشعاعي و مختصوا الأمراض النفسية؛ الكل يؤكد سلامة الحالة وخلوه من أية أمراض... ومع ذلك يصدرون له شهادة وفاة من عقلية هذا العالم أو بالأحرى «شهادة جنون» ولأقرب مصحة عقلية يُنقل، ثم يتركون له حرية الاختيار بدوافع بطولية.

«هذا ما تخيلت أنه سيحدث في بلدي لو نُقلت جغرافيا هذا الشخص إليها بـتصرفه هذا...»

من منا ينحني كي لا يقطع مدى البصر بين شخصين!؟ نحن نَدخل حياة الآخرين ونفسد ما نفسد من غير حتى أن نخلع نعالنا قبل الدخول؛ نقطع أحاديث بعضنا كمن يستخدم حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي، نتفنن في إيجاد الأسباب لـنقاطع روحين متصلتين، أي نوعٍ من الاحترام نكنه لبعضنا!؟ وأي قصص عن الأخلاق والبطولة سنخبر بها أبناءنا!؟

لا ننحني لخالقنا، فكيف بنا ننحني بأخلاقنا!!

قالها عمر يوماً:

«وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، وعدتنا ليست كعدتهم، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا ولن نغلبهم بقوتنا"

سامر وهنادي

رسائل ورقية

نحن حين نكتب رسائل ورقية ونودعها في صناديق البريد، نعلم جيداً أن لها كل القدرة على أن تحمل شيئًا منا بالإضافة للحروف باتجاه تلك البلاد البعيدة. ربما كل ما في الأمر أن الكتابة تصبح أحياناً حاجة تلزمنا بها قبل أن نعي ضرورة أن نلتزم نحن بذلك، في الوقت الذي أقرأ فيه حروفك أدرك جيداً أنه لا زال بمقدوري أن أحتمل أيامًا أكثر ومسافات أكبر، مستعيضة عن وجهك بورقة وعن صوتك بجُملة أو تشبيه لغوي، أو نص أدبي يعزز من مكانة العقل ويدعو الناس إلى الجهاد الدنيوي والحب في سبيل الله، وهنالك حب لا يسلك سبيل الله؟

في هذا العالم يسخر الله لنا أشخاصًا يقاسموننا رغيف الخبز المهترئ، وكوب ماء ومخدة، ويزرعون على أفواهنا وردة، أولئك من نتمنى قربهم في الدارين...

***

قبل أن نعي مهمتنا الكونية، نفعل ما بوسعنا كي نخرج لهذه الدنيا، و في مرحلة معينة نبذل أضعاف الجهد كي نعود هناك، إلى ذاك التجويف الأول الذي نفخ الله فيه روحنا، الطريق الذي يسلكه الجميع يبتدئ ب الله وينتهي به، وكل ما يتخلل المسير هو طرق فرعية، عكازي الوحيد و ونيس الوحدة والسهر، حبيبي الذي يشعل فتيل أصابعه ويحملني على ظهره، أنت الذي يذكرني دائمًا أن لا أقول له (بموت عليك) بل الأكثر صحة ودون الشائع (بعيش عليك) التعبير لفظيا مجازيا يقصد به المبالغة بالحب، لكن الأولى أن نعيش برفقه من نحب قبل أن نتمنى أن نموت معهم أو عليهم.

كثيرون يموتون ناقصوا حياة!

أخاف أن يأخذك العمر مني، ويذوب خوفي في الوقت الذي أجزم فيه أن

سامر وهنادي

العمر حتى أضعف من أن يسرق الشخص الذي أتنفس من خلاله، قلبك الطيب لا مجال لأن يغيب أو يأفل، وعروق يديك طويلة بما يكفي، تمتد إلى أبعد نقطة تصل إليها أحلامي، ليس بالضرورة أن تكون هذه حياة كما نظن جميعنا، ربما هي طريق مختصر صغير توصلنا نهايته إلى بوابة الآخرة، هناك حيث نصبح جميعًا مخلوقات مضيئة بنار أو بنور.

أنا أحبك للحد الذي يقحم ذاكرتي في جدل طويل، بين أن تكون معي وبين أن لا تكون معي كي تكون لاحقاً معي، الموت الذي نصاب به يتخذ أشكال عدة، من ضمنها السفر لدواعي العمل والدراسة والغياب غير المبرر والهروب المقصود والموت الجسدي الذي تصبح حرارة الجسد عنده صفرًا، وفي كل الحالات يصبح التورط بالحزن حالة، ويبقى عزاؤنا الوحيد أن مقابل هذا كله ستشعر أرواحنا بالبلل يوماً ما، كيوم أرى وجهك مثلاَ...

***

أنا تعلمت أن أشعر بالحب - كما الحزن والفرح - وحدي، أن لا أشرك أحدًا معي، وتعلمت أن أنتظرك وحيدة دون الحاجة لأن يواسيني أحد... جرب أن تكتب لي وكما أنك أنت الذي يتوجب عليه أن ينتظر بالرغم من أن كلانا يعاني من ذلك، لكن للغريزة الإنسانية حقها في أن تقنع كل واحد منا أن لا ذنب عليه، قد يكون ذنبي الوحيد أنني تعلقت بك كما لو أنك غيمة هشة، رقيقة، بيضاء، وقريبة من وجه الله...

وأن اليقين بمن نحب هو السبيل الوحيد كي نبقى على قيد الأمل والسعادة، وعدا ذلك محاولة بائسة لممارسة ما يلقب بالحب.

إن صوتك أحيانًا يبدو عميقًا أكثر مما يجب، وبعيدًا بالقدر ذاته، فأشعر أن كل فرحِ هذه الدنيا مؤجل، وأن اليأس يحوم في سقف الغرفة، ربما من موجبات الحب أن نحتضن كف من نحب حتى تشعر أصابعنا بالخدر!

«نحن نرتكب الحياة كجريمة على عجل وبسرية تامة»

ولأول مرة أشعر بأن عدد أوراق رسائلك فائض عن حاجة الصندوق، وأقل من حاجة قلبي!

اكتب لي لأنك حين تفعل تتخذ كل الأشياء شكل الضباب، وتبقى حقيقة واحدة واضحة هي أنت...

سامر وهنادي

سامر وهنادي

سامر وهنادي

الرسالة الحادية عشر
"سَيضحِكُنا غداً!"

قبل أن أعرفك كان لي صديقٌ يمر بأزمة خانقة، كانت تقتله قبل أوانه، وتُنغص عليه عَيْشه... تُمِيْتُ أي شغف له بالحياة؛ وتقلع أطراف أصابعه المتشبثة بحافة الأمل... تصيبنا هذه اللحظات من اليأس أحيانًا... كأصدقاء مخلصين، حاولنا التخفيف عنه بكلماتنا المعتادة:

«الله بعين يا صاحبي...

هيك الدنيا...

بتفرج إن شاء الله...

شد حيلك...

إن الله مع الصابرين...

بتهون إن شاء الله...»

من كثرة الاعتياد على مثل هذه العبارات، ما عادت تخفف عنّا أحزاننا، بل تزيدنا همّاً و حزنًا.

وما يضاف إلى ذلك؛ بعد ترديد مثل هذه المصطلحات، نبدأ بسرد سيولٍ من الحلول، واقتراحاتٍ للتغلب على مشاكلهم. أغلب هذه المقترحات اهترأت من كثرة الاستخدام!

نحن لجهلنا، لا نعلم أنهم استنزفوا حلولهم وحلولنا، لذلك أصابهم اليأس والإحباط!

وفي سعينا للمساعدة نخطئ مرتين: مرّةً بانتقاء العبارات، والأُخرى بالحلول

المقترحة المجانية!

أنا منهم ولا أخفيكِ، لقد اتبعت مع صديقي نفس الأسلوب، الكلمات المعتادة، الحلول المجانية، نعم؛ أقلُ التكاليف!!

لم ألحظ أي تحسن بدا على حالته بعد كلماتي، على العكس تمامًاً ازداد وجهه شحوبًا!!

عدم تحسن حالة صديقي زادني مسؤولية، وكآخر محاولةٍ مني لإخراجه مما هو فيه، قلت له:

«يا صاحبي؛ ما يبكيك اليوم سيضحكك غدًاً»

وبعد فشلي بإنقاذ صديقي مما هو فيه، لململت ما تبقى لي من كرامتي وذهبت.

تمضي الأيام... الشهور... تمضي سنة... كلَّمت صديقي: تعال إنت معزوم عندي اليوم

صديقي: خير شو المناسبة!؟

أنا: لما تيجي بتعرف

صديقي: إحكي ايش في؟!! شوقتني! خطبت؟!

أنا: ههههه أكيد لأ

صديقي: يا زلمه ولا شو؟!

أنا: تعال و بس

كُنت قد جهزتُ طقوس الاحتفال، قالبُ «كيك» يليق بالمناسبة، شموع وبعض المكسرات والوجبات الخفيفة، سجائر أجنبية، موسيقى شرقية، آلة غيثار غربية.

يُدقُّ جرس المنزل، أستقبله بحرارةٍ وأطلب منه الدخول، أسوقه الى غرفة

سامر وهنادي

سامر وهنادي

الاحتفال...

صديقي: أوف... أوف... شو كل هاد؟!!! كيك، وشموع، وموسيقى، كنك مواعدلك وحدة؟! ههههه

أنا: اقعد وبلا فزلكه

صديقي بعد أن جلس، وأشعل سيجاراً قال لي: هات لشوف، احكيلي شو قصتك إنت، شو المناسبة؟!

أنا: متذكر الحادثة اللي صارت معك قبل سنة؟

- أي حادثة؟

- الحادثة اللي بسببها تركت شغلك؟

صديقي وقد اعتلت بعض الضحكات على وجهه: آه تذكرتها، بس شو خطر على بالك هيك قصة!!؟ شو إنك قديم، أيام وعدت!

- متذكر ايش حكيتلك وقتها؟

- طبعاً مش متذكر

- طيب متذكر كيف كان شعورك وقتها؟

- أكيد كنت متذايق، شو كنت غبي، بس إنت بتعرف إنو كانت هالحادثة السبب بالشغل اللي أنا فيه حالياً...

- صحيح، وقتها أنا حكيتلك (ما يبكيك اليوم سيضحكك غدًا)

قررت وقتها بيني وبين حالي إني أحفظ التاريخ، وأعمل منو مناسبة، وذكرى سنوية نحتفل فيها أنا وياك. نتذكرها ونضحك. وكان لازم أنتظر مرور سنة على الأقل. لحتى أثبتلك صحة هالعبارة. اليوم بصادف هاي الذكرى، ودعوتك حتى نحتفل بالمناسبة....

تخيّم لحظاتٌ من الصمت على المكان، لحظات بمقياس المكان، ولكن

تختصران سنة كاملةً بعمر الانسان.

صديقي بعد جولات من الدهشة و الاستغراب: «أخي أنت رهيب، شو خطر على بالك هيك تصرف!!!، بس بتعرف؟!... معك حق، حاليًا أنا فعلاً بتذكر هالحادثة وبضحك.

لما نشوف حياتنا وكل إشي بصير معنا من مكان بعيد، من نقطة مثل قمة جبل، منشوف الصورة كاملة و منلاحظ الترابط بين الأحداث، وإنه كل إشي بصير معنا له غاية. ورح يمضي ويعدي، ويمكن يكون السبب بنجاحنا بعدين...

ضحكنا سويًاً، وأكملنا المراسيم التي أعدت لهذا الاحتفال.

وهكذا باتت أيامنا... نؤرخ أحزاننا، ونتخذ منها ذكرى سنوية للاحتفال...!

سامر وهنادي

سامر وهنادي

رزق مؤقت

الذين كتبوا رسائل - أي نوع من الرسائل - لن يموتوا بطرق عادية! لن يموتوا بطرق عشوائية، وربما لن يموتوا أصلا! لذلك لا زلت مُصِرّة أن يكتب كل منا للآخر وللآخرين.

هذه الحياة بأحداثها وتفاصيلها والوجوه وكتل اللحم و ليترات الدم والأشجار وكل المسميات، ليست سوى رزق مؤقت من الله، بما فيها أيضًا الحب، رزق محكوم بوقت ومدة معينة لا يعلمها إلا هو، وأنا أتساءل إن كان من المجدي أن نأخذ هذه الحياة على محمل الجد! ربما من الواجب أن نفعل ذلك، وبما أنه واجب فلن يوجد استثمار أفضل من أن نستثمر أنفسنا و دواخلها، هذا التفكير هو ما دفعني لأن أشيح بوجهي عن نظرتي السوداوية للحياة وأحاول أن أسلك منحى آخر لنقل أنه مشرق نوعًا ما، لا أنكر أن لوجودك الفضل الأكبر والأعمق بكل ما يحدث لي و معي الآن، طبيعتنا الآدمية هي من تلقي بنا أحيانًا في وسط بقعة من السواد، وتضع علينا غلافًا بلاستيكيًا يحد من جميع إمكانياتنا! يفقدنا الأمل ربما ويضعف قلوبنا قليلًا! كـأبسط مثال... الظروف الحياتية المعاكسة لكل مخططاتنا تجعلنا نرفض التقبل لفكرة أن كل ما يحصل يحصل لغاية معينة (وأن نرجح هذه الغاية على المنحى الجيد)! وبالرغم من كل ذلك لو لم نكن هكذا لنفيت عنا صفة البشر...

***

لقد رأيت خط يدك اليوم، الأمر الذي أشعرني بأنك قريب وبعيد في ذات الوقت، المشاعر المتضاربة تضاعف صفة الشك لدينا، الشك مصطلح عام ضخم أكبر من كلمة مكتوبة على قصاصة ورق، مثلًا؛ هل مسموح أن نشك أن كل تلك الأحداث الحياتية وبما فيها السيئة هي مجرد قائمة أعدها الله

خصيصًا لنصاب بالشقاء الدنيوي؟ لا، لا نهائيًا، لو كان الأمر كذلك لما وجد مصطلح الحب!

قد يبدو لفظ (الحب) هنا دخيل على النص! لكن ما أراه أنا أنه اللب، لب اليقين بالله وجميع مخلوقاته! لا أحد يعرفنا أكثر من الله، هو يعلم كل تلك الأوقات المريعة التي مررنا بها (مثل اليوم الذي سافرت به) ومثل (اللحظات التي أتمنى لو أن البلاد تذروها الرياح وتأتيني بك)... المهم أنه يعرف جيدًا كل ما يحصل! ويعرف أيضًا أننا نحاول التخلص من أحزاننا بكل السبل الممكنة، لكن نحن من لا يملك الفطنة الكافية كي نشعر بحقيقة الأشياء والأشخاص والأحداث!

(عسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)! الحمدلله أن الله يعلم كل شيء، ويعلم أنني أكرر لفظ اسمه دائمًا لأنه يشعرني بالطمأنينة! وأطلب منه أن يستبدل كل الأشياء المحيطه بك بي، وأن يرسلني إليك أو يرسلك إليّ كما تنتقل هذه الرسائل بيننا...

***

لا أستطيع التفكير أكثر من مسافة مترين! تصطدم أفكاري بالأريكة الحمراء الموجودة في زاوية الصالة ثم تعود لترتطم بوجهي من جديد، ربما لأنني أمر بأوقات عصيبة نوعًا ما، تذكرني بأنه من الضروري جدًا أن لا أكون وحدي، خاصّةً هذه الفترة، حتمًا الأمور بدأت تصبح سيئة بشكل أو بآخر وأنا أفكر بأشياء لا تشبهني، ولا تشبه منطقيتي في الحياة، كأنني بدأت أشك بأنك بعيد، بقدر لن تتمكن الطائرة من الوصول إليه! لا يهم... لا يهم...

انهض من فراشك وأفتح النافذة المطلة على الشارع، وتذكر أنك تمتلك أشياء لا يستطيع نصف الأشخاص امتلاكها، أبسطها الابتسامة!

أنا مقتنعة تمامًا أن لا شيء يشد على أيدينا ويدفعنا باتجاه الأمام مثل الصلاة، هذا الفعل الذي يترتب عليه نتائج عظيمة، ابتداء بانقباض عضلات

سامر وهنادي

الظهر و انتهاء بانبساط الشفتين! إنك ملهمي وصديقي الذي يتربع فوق الورقة حين أباشر الكتابة، والصوت الذي أتمكن من سماع صداه مهما كنت بعيدًا عني، ومهما بلغت حالتك النفسية من سوء، يسقط مفهوم الحياة حين تصيبنا حالة من اليقين أن لعنة ركود الأحداث والتفاصيل أصابتنا، لذلك أرجوك حاول أن تتوصل لجذور الأشياء وأن تتخلى عن عادة النبش في قشورها!

ما يجب عليك فعله أن تتبع الوصفة الصحية للسعادة، وأن تعي جيدًا أن كل ما يحصل مجرد فواصل عابرة ستنتهي بمجرد أن يحين وقت الحلقة القادمة...

بالنسبة للبعض الجزء المفضل من هذه الحياة هي تلك اللحظة التي تصيبهم بها السعادة! أما أنا فعلاقتي مع الأشياء مختلفة قليلًا، أقدس أوقات حزني لأنها ليست سوى عرض تجريبي و «بروفا» متقدمة لما يليها من أحداث لنقل عنها سعيدة بعض الشيء...

***

سأخبرك من جديد أنني أكتب لأنني أخاف من أن تصبح أصابعي صفراء، ومن تلك الفترات التي تتفحم بها دواخلنا، ومن جفاء الأصدقاء وحقد الأقارب، ومن الانتظار، ومن الركض لمسافات طويلة، وأكتب لأنني أريد أن أفعل شيئًا يشعرني بأنني قريبة من السماء أكثر من أي شخص آخر! الكتابة مهنة تجبرك أن تصبح رسولًا للكلمات.

تحدث عن ذكرياتك كما لو أنها خيط رفيع يربطك بالحياة في حال انقطاعه ستصبح خالٍ من كل الأشياء، وتصحبك الريح باتجاه المقبرة، نحن لسنا إلا كل الأحداث الماضية بسوادها و بياضها. بالمناسبة الأسود هو من منح الأبيض هذا اللقب، والعكس صحيح، وأنا وأنت من نجعل الأفكار تبدو أكثر إبهارًا بنظر أنفسنا قبل الجميع!

أوجه رسالتي هذه المرة إلي السماء وأقول بأنني مبتهجة وراضية تمامًا

عن ما استطعت جمعه بهذه الحياة ابتداءً و انتهاءً بك أنت... حصيلتي ومحصلتي، وقطع سعادتي المتناثرة التي جمعتها من بقايا الأحداث العابرة.

سامر وهنادي

الرسالة الثانية عشر

"فوضى"

يسألوني عنكِ؟!!

كيف عرفوكِ وأنا ما حدثتهم يوماً عنك؟!!

تبا لكِ ألم نتفق أن نفترق، لماذا ظهرت لهم وكيف عرفوكِ؟ أخبريني...؟!

أعلم أنك لن تجيبي، فأنت لست هنا، و أنا رحلت منذ زمن بعيد

بيني وبينك عمرٌ ووطن وحياة

بيني وبينك بحر ونهر وصحراء

بيني وبينك كتاب وقلم ومبراة

بيني وبينك زمن ومكان وأمل

بيني وبينك مطر وشمسٌ وقمر

بيني وبينك بسمة وخجل وميعاد

اعذروني ما عدت قادراً على الإنتظار، أحتاج لإجابات!!

***

فلتهدئ من روعك، «سنخبرك ما لم تستطع عليه صبراً!!»

رأينا بصرك قد ضعف، وعقلك لم يعد رزينًا... جسمك قد هزل، وجهك شحب، ولم يعد لك شغفٌ بالحياة... فعلمنا أنها كانت لك كلُ النعم، وقد غابت النعم بغيابها؛كعاصٍ أدمنت إنكار النعم فشقيت.

وأما لشكلها، فقد رأيناك تسهر ليلك الطويل محدقاً بالسماء... وتمعن النظر

بالورود وتكره قاطفيها... فعرفنا أنها نرجسية تشبه القمر بجمالها وضيائها، وتشبه والورود برائحتها وتجددها.

وقد رأيناك تكثر من قراءة الكتب وتسهر ما تبقى من ليلك متأملاً كأنك تقتل شوقك لها بقراءة كتبها، فعلمنا أنها حكيمة، رزينة، عالمةٌ وغامضة.

...

...

- أنتم تبالغون!!

لقد نسيتها وأكملت ما تبقى لي من حياتي في غيابها، كما فعل الكثيرون قبلي وكما سيفعل الكثيرون بعدي... لا تقف الحياة على شخص... تألمت في البداية، لكني مع الوقت تأقلمت على غيابي وغيابها. الوقت كفيلٌ بأن يضمد كل الجراح

- مهما حاولت إخفاءها فهي تظهر في ملامحك، في أفعالك، في كلامك، هي أنت في زمان آخر؛ وأنت هي في مكان آخر. أنت تود لو تقنع نفسك بهذا الكلام، ولكنك لا تقدر، أنت عاجز حتى عن الاحتفاظ بصورتك عند النظر إلى المرآة، تحملق في وجهك فتراها تنبض في شرايين عيونك المنهكة!

...

...

عدت إلى بيتي ليلاً؛ دخلت غرفتي وجلست على حافة سريري... وأمعنت النظر بذلك الذي لا يشبهني في المرأة...

- لم أنت حزين؟!! أنت تملك اليوم ما حلمت به طوال حياتك، تملك عملاً، بيتًا، مالاً وأصدقاء؛ تملك كل شيء... لم أنتَ حزينٌ إذاً!؟

- أتذكر الوعكة الصحية التي ألمت بك العام الماضي؟... أتذكر الأمنية الأخيرة التي تمنيتها عندما رأيت الموت قادمًا إليك!؟

سامر وهنادي

- نعم أذكر، لقد طلبت من الله أن يمهلني لأعمل صالحًا، لأموت وأنا أمسك يديها وأنظر إلى عينيها، لقد أدركتُ مدى فشلي، وأدركت أنه لا قيمة لحياتي إن لم أحظَ حتى بنظرةٍ منها.

...

...

استيقظتُ باكراً، كانت همومي ثقيلة وصدري أثقل. غسلت وجهي ثم أعددت قهوتي، لطاما أدهشتني رائحة القهوة! لماذا تذكرني بها؟! وما العلاقة بينها وبين رائحة القهوة! ألا يمكن أن أبدأ صباحي دونها!؟ لماذا هي آخر ما أنام عليه وأول ما أستيقظ عليه!؟

هل سأمضي بقية عمري هكذا؟!

«يا رب... قد دعوتك أن لا تعلق قلبي إلا بك، فلماذا علّقت قلبي بها! يا رب... إني دعوتك أن تقربني إليك، وأني لا أريد أن أشرك بحبك أحدًا لماذا تراني أحببتها؟! ولماذا تراني أبتعد عنك وأزداد عصيانًا كلما ابتعدت عنها!؟»

- «لقد استجبت لك ووهبتك حبها لتحبني، ووهبتك قلبها لتتعلق بي، فخانك كبرياؤك، وعصيانك، فابتعدت عنها وابتعدت عني. ألم تعلم أنك تحبني بحبها، وتتعلق بي بتعلق قلبك بها!؟

لقد وهبتك من نعمي فأنكرت!

وأعطيتك من جمالي فتكبرت!

ورزقتك من مالي فأسرفت!

ووهبتك من وصالي فهجرت!»

...

- ولكني لم أترك سبيلاً إلا وسلكته للوصول إليها. لكن الظروف كانت أقوى مني ومنها!!

- «ألم تعلم أني وضعت كل هذه الصعاب والعراقيل لأختبرك، وأختبر إيمانك، وصدق حبك لها. أردت أن أعلم هل فعلك مطابق لقولك...! لقد خذلتني و تركتها، علقت قلبك بغيرها... فابتعدت عني وازددت عصيانًا...

...

...

أيُعقل أن يكون هذا حلماً! لا ليس حلمًا، أنا هنا وقهوتي لا تزال دافئة. وهذا الذي لا يشبهني ما زال يمطرني بأسئلته...

- لماذا لا تأخذها معك بأسفارك؟

- وهل سبق أن أخد أحدهم وطنه معه، وهل يعيش الوطن في أرض ليست أرضه!؟؟

- وما علاقتها بالوطن؟

- كيف سأخبرك أنها الوطن وكيف سأخبرك أن الوطن هي؟!!

- ما هذا المزيج بين الله والوطن وهي؟

- ما الحل؟؟"

- أتسألني عن الحل؟!

عد إلى ربك، عد إلى وطنك، عد إليها، عد للجهاد...

فالوصول إليها جهاد في سبيل حبِّ نعم الله

سامر وهنادي

سامر وهنادي

كيفك أنت؟

ربما نحتاج لأن نفقد عقولنا بين الحين والآخر، أن نتخذ من الحب منهجًا، أن نهب ما تبقى من حياتنا لأحدهم...

أن تكون بلا أحد يعني أن درجة حرارة جسدك منخفضة وإيمانك بالله ضعيف، وعلى طاولتك فنجان قهوة واحد، ودعاؤك أناني يقتصر على نفسك فقط! و ملامح وجهك ساكنة ودرج خزانتك خال من الأسرار الباذخة.

كيفْك أنت؟

هو أول سؤال يمنح حياتك الأهمية بمجرد شعورك أن طرفًا آخر في هذه الدنيا يهمه حالك... الآن أو في أي وقت من النهار

«بتذكر آخر مرة شفتك سنتا... بتذكر وقتا آخر كلمة قلتا... وما عدت شفتك... وهلأ شفتك .... كيفك إنت... ملاّ إنت...»

(حاول أن تنام وسط السرير و ابتعد عن الحافة اترك مكانًا خاليًا لآدمي ما، سيسكن روحك ويناصفك فراشك وحياتك على الملأ، ربما في تكوين رقمي لا زال بعيدًا نوعًا ما عن تاريخ هذا النهار)

أي أمنية على وجه الأرض هي باطلة في حال لم تطلب من الله مباشرة! نحن وأمانينا ملك خالص لله، لا يحق لنا التصرف دون طلب الإذن من السماء، يكفي أن نحدق بسقف الغرفة ونطلب أن يجنبنا الله سجن ملذات الدنيا وشك الأيام ووجع الصدف وخيانة الأحبة وجفاء الأصدقاء، أنا اشعر بالأسف لأنني لم أتوصل لهذه الحقيقة من قبل، أشعر بالأسف لأجلي ولأجل كل اولئك الذين (وأكثرهم لا يعلمون)!

طالما أنت ذو علاقة بربك، أضمن لك حياة جيدة - لنقل أفضل من بقية أصدقائك - على جميع الأصعدة.

***

ربما نكتب لنخبرهم أن حبنا الصغير بدأ يكبر وبدأت تنمو له أطراف أصابع طرية ورسائل كثيرة، وهدايا مختارة بأسلوب مختلف، الحب هو البداية الشيقة التي لا يتمنى أحد أن تنتهي بطريقة دموية، سواء لفظًا أو فعلًا... ولتجنب حصول ذلك، كتب كل واحد مّنا للآخر، هذا لأن الحروف ألطف كائن سخره الله لخدمة الإنسانية، ومنحه كرامة أن يكون الحرف أول مادة على وجه كل شيء (اقرأ)!

(الكتب التي نقرأها تقدم لنا الكثير من الأمل والألم والإيمان، بعض الكتب ليست سوى رسل!)

كنت بحاجة لفاتحة ما، لجملة، لأي شيء، كي يتحقق مكنون دعائي بأن – يجمعني الله بنصفي الآخر - و الحمدلله أنك نصفي أو كلي، فعلًا لا وجود للنصف دون الكل! أحاول أن أقول أن هذا الحب كله بدأ بسؤال!

أحاول أن أتجنب الكثير من المصطلحات، كي لا أحمل نفسي والآخرين خطيئة الوقوع بالمعنى اللفظي لا الفعلي، هذا لأن الحب كأي شيء في حياتنا ليس إلا نتائج أفعالنا، ومكالماتنا ما بعد الثانية عشر، وصلواتنا المشتركة، و وعود لا يجب أن تفنى أو تنتهي!

قد يتساءل غالبية القراء عن الأسلوب المتبع في هذه الكتاب، النصوص القصيرة التي تشبه تنقلك بفترة زمنية لحظية بين هضبة وحفرة وتل و سهل، هذا ما نقصد فعليًا أن تشعر به عزيزي القارئ، إن السير في طريق سهلية لفترة طويلة يهزل الجسد، ويفقده متعة الركض، كذلك النصوص الطويلة - بالنسبة لي على الأقل - أتعمد أن أسمع لهيب أنفاسكم جميعًا، وضربات قلوبكم وشعوركم بالتّيه و أشياء مخجل أن تحكى، حين تمررون أصابعكم من سطر لآخر!

***

سامر وهنادي

ذاك الغريب الجالس على كرسي بلاستيكيّ يطل بعينين سوداوتين على سماء دبي الشاهقة القريبة من علو مبانيها، يعني لك الدنيا وما فيها، ويستحق عناء استيقاظي كل يوم في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل كي ألح على الله أن يرزقني قربه ويجعلني سكنه الأبدي الأدبي.

نحتاج لقدر أكبر من الثقة الإلهية التي تقوينا على تقلب أحوالنا وصعوبات الدنيا، ما أريد أن يعرفه الجميع عني أنني أحاول قدر الإمكان أن أهب الآخرين المعرفة التي تمكننا من الوصول لأعظم مكان نحلم أن تطأه أقدامنا، المعرفة المستمدة من الله، ومن شخص نحبه جدًا... ولا نفكر بأن يحل مكانه أي شخص آخر في هذه الدنيا، المعرفة التي تستحق أن نتعب في سبيل الحصول عليها، الأمر يشبه معزوفة لبيتهوفن تطربنا جميعًا دون أن يعرف أي منا الرسم الصحيح للنوتات! الجهل هو العدو الأكبر الذي يواجهنا في هذه الدنيا، وبما أنك تقرأ يعني أنك أفضل من غالبية الجالسين معك في نفس المكان، على أقل تقدير أنت تحمل جزءًا من عقل وأحلام وتخيلات أحدهم بين يديك!

إذا كنت حقا مستمتع في قراءة هذا الكتاب، اقرأه مرة ثانية، كي تنتقل من مرحلة المتعة إلى مرحلة الطيران!

الخيال هو الأب الشرعي للأمل.

سامر وهنادي

سامر وهنادي

الرسالة الثالثة عشر

الملوخية

تبدأ الحكاية بدعوة من أبو أحمد، عزومة غداء عائلية.

حدثني ابن عمي عن العزومة صباح يوم الجمعة...

كانت المسافة طويلة من مدينة دبي إلى مدينة الشارقة، تدعوك للتساؤل وللتفكير بهذا العرض حتى لو كان مجاناً...!

لاحظ ابن عمي بوادر التردد على وجهي، باغتني، الطعام ملوخية!

رددت مسرعاً، لماذا لم ترتدي ملابسك بعد؟! سينزعج أبو أحمد!! لبسنا ملابسنا العسكرية، وحملنا أسلحتنا وانطلقنا انطلاقة الفاتحين...!

كانت الطريق طويلة جدًا بالنسبة لموعد حب كهذا

... سألت ابن عمي، كم أقصى سرعة مسموح بها؟

أجابني ١٢٠ كيلو ملوخية بالساعة...!

أدركت أنه بدأ يهذي...! ولن يشفي هذيانه غير كوب من الملوخية.

وصلنا، يستقبلنا أبو أحمد بضمة ملوخية غير مطبوخة لنتمالك أنفاسنا... جلسنا ننتظر.

بدأت أبعد الصحون من أمامي معللاً ذلك بعدم رغبتي بتناول السلطات والشوربات وأي نوع من المقبلات، لقد منعني الدكتور عن كل شي... أي دكتور غبي هذا؟! نظرت إلى ابن عمي، كان يرسم خطته، ويختار أقصر الطرق بين الصحون ليتقدم، لم أعهده بهذه الحنكة العسكرية...! تبدأ

سامر وهنادي

المعركة وتتعالى السيوف والأصوات وبعد أن تأكدنا من النصر وبدأنا نلملم الغنائم بهدوء.بدأت بعض الحكايات تطرح على الطاولة.

أبو أحمد: الأردني عندما كان ينزعج من شقيقه الفلسطيني كان يقول له: ”انت بدك تحملنا جميلة خد ملوخياتك وبوجهك على الجسر“... يعني على فلسطين (الجسر طبعًا الجانب الأردني وهناك جانب فلسطيني أكيد، وحلقة الوصل بين الشعبين الشقيقين طرف غريب على المجرة!!)

أبو عمر يخرج عن صمته: ويذَكِّر ابن أخيه(محمد) قصة الرجل المقعد والملوخية. سأرويها لك بلسان محمد: كان عندي امتحان في الساعة الرابعة بمدينة إربد حيث كانت جامعتي، كلمني عمي قبل الامتحان وعزمني علَى الغداء وكان ملوخية،انهيت الامتحان بسرعة، ولم أراجع أي إجابة، ثم اتجهت إلى محطة الباصات. عندما وصلت محطة الباص تقدم إلي رجل مقعد يمشي على يديه، انتابتني الدهشة، ما الذي يفعله رجل مقعد في هذا الليل وحده؟!

تقدم نحوي واستقر في جلسته على الأرض ورفع يديه، كانت المسافة بيني وبينه مثل الأرض والسماء، كان يبدو ضعيفاً من مكانه، هزيلاً، رفع يديه كمن يرفع يديه إلى الله بالدعاء، وطلب مني أن يستعير هاتفي ليكلم شخصاً ما. بلا تردد أعطيته هاتفي،

كانت يداه ترتجفان ومع كل رقم يضغطه يزداد ارتجافًا، شفتاه المشققتان المزوجتان بغبار المدينة تتمتمان، تمتمات لم أفهمها، أهو الدعاء؟! ومع آخر رقم يضع الهاتف على أذنه بلهفة، يشد على أذنه ويستعين بما تبقى له من جسده؛ اليد الأخرى لحمل الهاتف، يستخدم كل أعضاء جسمه المتبقية لحمل الهاتف... لا أخفيكم انتابني الفضول

عن أهمية هذه المكالمة التي يستخدم فيها كل ما له من حواس! ومع أول رنة بدت ابتسامة على وجهه، يبدو أنها لم ترتسم على وجهه منذ عصور، أكاد أرى وجنتيه تتشققان، فلم تعهدا هذه الحركات المافجئة من تلك

سامر وهنادي

العضلات...

ومع الرنة الثانية بدأت الضحكة تمتزج بنوع من الأسى، وبدأت الغيوم في عينه تتراكم معلنةً هطول الأمطار في فصل الصيف... تنساب الأمطار وتصب في قنوات تشققاته. لتمتزج الضحكة مع الدموع...ليست دموع فرح وليست دموع حزن، كانت مزيجًا من الاثنين! وكيف تجتمع الأضداد في هذا الرجل لتخرج بمزيج مختلف بين الضحكة والدموع...!!

لا أحد يجيب...!

يعاود الكرة، وقد بدأت دموعه تغلب على ضحكته، بدأ الأمل لديه يتراجع ليحل مكانه الخيبة والأسى...عاود الاتصال مرة أخرى، لا أحد يجيب...! عاد ليضحك تلك الضحكة الممزوجة بالدموع...

أمطار الصيف، التي لم أعهدها من قبل...! ترددت بسؤاله ولأول مرة في حياتي تكون الإجابة تخيفني أكثر من السؤال؟

الآن قد بدأ امتحاني، ولكن اليوم عليك بالسؤال لا الإجابة...! الجرأة الآن تكمن في القدرة على السؤال وليست في الإجابة كما تعلمت في جامعتي...! وأي سؤال يكون بحجم وجع هذا الشخص!

لم تعد قدماي تقويان على حملي، فهويت أرضاً على ركبتي، قصرت المسافة بيني وبينه، وأصابني من العجز ما أصابه، استغليت انعكاس ضوء مركبة على عينيه فباغته بسؤالي! ماذا حدث معك؟!

أجابني: والله يا أخي أنا جئت من منطقة شرقي عمان، والشخص الذي كنت أحاول الاتصال به وعدني بكرسي متحرك، قطعت كل هذه المسافة ودفعت كل ما أملك، ثلاثة دنانير أجرة الطريق لأحصل على الكرسي، وحالياً أحاول الاتصال به وهو لا يجيب. كيف سأرجع في هذا الليل!!

في هذه اللحظة بالذات نسيت الملوخية تماماً، وبدأت أفكر بأوجاع هذا الشخص، واستعداده ليدفع كل ما يملك كي يعوض ولو جزءًا من

سامر وهنادي

عجزه - ثلاثة دنانير قد تبدو لكم قليلة جداً،ولكن بالنسبة لشخص مثله هي ثروة، هي كل ما يملك- يدفعها جميعها من أجل مكالمة من شخص غريب لم يختبر صدقه من كذبه، لم يدفع جميع ما يملك من أجل الكرسي بل استغنى عنها جميعها من أجل بصيص أمل!! عدت لأنظر إلى قدماي، وأسأل نفسي - زادت جرأتي على الأسئلة - ماذا لو فقدت أحد قدماي، هل سأدفع كل ما أملك لكي أحصل على قدم بلاستيكية مثلاً...؟!

وماذا لو كانت ثروتي تقدر بالملايين، سأستبدلها جميعها فَقَط بقدم بلاستيكية أو كرسي متحرك كما حاول أن يفعل هذا الرجل...؟!

بل إن ثروتي تقدر بأكثر من الملايين، فأنا أملك قدمين حقيقيتين من لحم ودم!؟ أنا غني...!

وهنا شكرت ربي «الحمد لله الذي عافنا مما ابتلى به غيرنا»

حملت الرجل على ظهري ومشيت به على قدماي حتى الجهة المقابلة ووضعته بالباص و دفعت عنه الأجرة، وتأكدت من سلامة عودته. تمنيت لو أستطيع إعارته قدماي لكي يصل بيته بأمان.

منذ ذلك اليوم «كل ما آكل ملوخية بتذكر هاي الحادثة وبشكر ربي على نعمة الصحة وبتذكر إني مليونير»

أبو عمر: المهم ماذا حصل معك بخصوص الملوخية.

محمد: وصلت متأخرًا، أكلتها باردة.

***

تتصل معدة آدم بشريان مباشر مع قلبه، ومن أقوال أمي المعهودة (أقصر طريق لقلب الرجل معدته)، الطعام هو ثاني أكثر شيء يهتم به الرجل، لكم الحرية في إعطاء الرقم 1 لما ترغبون، أن تتعلم الفتاة الطهي هو أحد مكملات الأنوثة التي تضمن لها البقاء في ساحة الأمان والحب، ربما يتزوج

سامر وهنادي

بعض الرجال لكي يضمنون العودة من العمل للقاء طبق طعام ساخن، وأظن أن الغالبية يتزوجون لأسباب آخرى أحدها أيضًا الطعام، التوازن في هذه الحياة يرتكز على أسباب عدة ومن ضمنها المنسف، المقلوبة، الملوخية (هذا النص يستهدف فئة أولئك الذين يدللون معداتهم)!

بالمناسبة البعض منا يتعامل مع الطعام بصفته مهدئ يكظم الغيظ ويمتص الغضب ويستوعب شحنات الحقد اتجاه الآخرين!

ليس بإمكاني أن أتخيل نفسي أكبر وحيدة في هذا العالم، وأعد كل يوم طبقًا أو اثنين من الطعام في مخيلتي لرجل وهمي لن يأتي أبدًا!

هل جميع الفتيات يحتفظن بمواصفات ما لرجال معينين قد تبدو بالنسبة للمستمعين وهمية وغير متواجدة في هذا العالم؟ كل فتاة منا ترسم في ذهنها صورة لرجل غالبًا طويل القامة عريض المنكبين ممتلئ الجيبين! وتفقد الوعي مع أول حقيقة تصطدم بها هذه الصورة، قلة هم من يأتون بالمواصفات المبتغاة، وأنا من أولئك اللواتي حالفهن الحظ. السبب الأساسي وراء قولي لتلك

سامر وهنادي

سامر وهنادي

لا تذهب لموعد عاطفي وأنت جائع

العبارة هو أن سقف أمنياتي لم يرتفع لحدود اللامعقول، إن أهم ما يعنيني أن يكون ذلك الرجل الوسيم ولو بنظري، المثقف الواعي، الذي يجيد اختيار ملابسه ويحب الطعام الذي أعدّه بأي حال، ولا ينكر فضل الله عليه من أتفه الأمور إلى أعظمها! كل سنة من عمر أي فتاة تختفي واحدة من قائمة المواصفات أو اثنتين ويسقط شرط آخر، ومع الوصول للمحطة الأخيرة يصبح المتطلب (رجل) بالنسبة لي كان الأمر مختلفًا، لم تكن تعنيني فكرة الزواج بقدر فكرة أن أتشارك حياتي مع الشخص المناسب، فكرة المشاركة بحد ذاتها تحتاج لطرفين يتشابكان معًا كأزرار القميص، فكرة أن تكون إحدى عروات الأزرار مغلقة تدل على وجود خطأ كارثي.

لقد واجهت صعوبة بالغة في بداية حياتي، بخصوص استيعاب الأشياء بحساسية وعصبية أقل، هذا ما يجعلني أحب الرجال الذين يتمتعون بطبع هادئ، ربما كي يرش على غضبي بعض حكمته وحلمه حين يفور مخي!

المرأة تشعر بالعجز حين لا تلتقي بالرجل المناسب، الذي يشكرها لأن طعامها ولذيذ ويحتضنها لأنها تهديه كتب وربطات عنق وعطور ووفاء! الوفاء هو الخشبة التي ترتكز عليها العلاقات الإنسانية، إن أسوأ ما قد يصيب المرء هو الخيانة....

هذا اللفظ اللغوي بمقدوره أن يشعرك بأنك شخص ناقص وعاجز بنظر الطرف الآخر، لدرجة أنك لا تستطيع فعل شيء حيال نفسك سوى الصمت. البعد هو أحد المشجعات على ارتكاب هذه الجريمة، البعد هو أحد المشجعات على عدم ارتكاب هذه الجريمة، وجهاد النفس هو الحكم والحاكم!

***

أغلب قصص الحب مشوهة ومصابة بالعديد من الثغرات والكدمات إلا أنها تستمر ربما لأن التراجع أصعب بكثير من الاستمرار.

ما يجعلني أحتاجك بشكل لا يطاق هو أنك دائمًا عند حسن ظن ربك وظني بك، ما الذي يلزمنا أكثر من شخص صالح لنحبه؟

***

الصلاح يكفينا كي نشعر ب التوازن العاطفي، وكي يبدو الذين نحبهم أكثر إبهارًا في عيوننا.

تلك أحد المسببات التي شيدت دعائم هذا البيت.

سامر وهنادي

الرسالة الرابعة عشر
الحمد لله

كانت الضحكات تحفر ملامحها على وجهي!

وعيوني تنظر الى الأمام بشغف، قدماي تتقدمان بخطواتٍ واثقة بما صنعت، ويداي تتأرجحان فتدفعان جسدي إلى الأمام بسرعة... قلبي يتنطط من مكانه فرحاً كمركبة تنتظر أن تحرك ناقل السرعة لتنطلق. أنظر حولي... يبكون، يتساقطون، يتراجعون، يدعون، خائفون، يحصون ما قد قدموا، تارة ينجحون وأخرى يرسبون، فيعودون إلى ما كانوا به هائمين...

أما أنا فكنت أحمل كتبي وأوراقي على ظهري، كنت قد دونت كل ما صنعت وقدمت، كانت النتائج مشرفة جداً، ونلت بنظري الدرجات العليا... تقدمتهم لأصل منصة الحكم، اللحظات التي تسبق إعلان النتيجة تبدو لي مشرفةَ أكثر، تنثر حبوب القشعريرة على جسدك كأنها تقول لك «تأهب... إنه دورك»

كان بالمقابل مني شخصٌ تبدو عليه ملامح الرسوب؛ ظهره منحنٍ، وقد طأطأ رأسه، ركبتاه ترتجفان ولا تساعدانه على الوقوف، لا قدرة له ليفتح عينيه، أنفاسه تتوالى لكنها لا تكفي احتياج رئتيه. عدت لأنظر أمامي وأرفع رأسي، وضعت كتبي ودفاتري على يميني...

وقفت تلك الوقفة المشدودة، كان العرق يتصبب مني فرحاً، ونسمات من ذلك الهواء الممزوج.

بقطرات ماء الورد تدغدغ مسامات جلدي...

أسندت ظهري بيدي مشبكةً وأغمضت جفوني وأخذت نفساً عميقاً... حدثت نفسي «اللحظة قريبة جداً، والرحلة كانت قصيرة جداً، الزمن بين

فتح الجفن وإغلاقه، المسافة بين شهيقٍ وزفير...»

سمعت صدى ركبتيه ترتطمان بالأرض وصوت كسرٍ في ظهره، هذا الذي بالمقابل مني انهار كلياً لم تعد ركبتاه ولا ظهره قادرين على احتمال حمله

، انخفضت أصوات نحيبه شيئاً فشيئاً حتى ما عدت أسمع لصدى صوته شيئاً...

عدت لأركز في لحظة انتصاري حيث إعلان نتيجة تفوقي...

بدأت بفتح جفوني والزفير يخرج من رئتاي... ومع اكتمال فتح عيناي وهجران زفيري رئتاي، كانت النتيجة «راسب»!!!

لم يستطع دماغي أن يحلل تلك النتيجة... ولا منطقهُ تقبلها

أصدر أوامره مرة أخرى للقراءة، أغمضت عيناي وأخذت شهيقاً ثقيلاً على صدري... فتحت عيناي مجدداً، النتيجة «راسب»!!

كرر دماغي عملية التحليل مرة أخرى... وأخرى ولكن نفس النتيجة!! وسبب الرسوب: "الحمد"؛ لم تكن تحمد الله على ما أوتيت من صحةٍ ومالٍ وعلمْ! استخدم عقلي ما بقي له من محركٍ إضافي لحالات الطوارئ ليرفع صوت من كان يقف بالمقابل مني...

النتيجة" ناجح" والسبب: «الحمد؛ كنت تحمد الله على ما أوتيت من صحة وعلم ومال... رغم كل ذنوبك ومعاصيك ولكن كان الحمد يكثرها... فشفع لك! «

أعلنت حالة الطوارئ في جسدي. بدأت حالة من الفوضى والصراع على البقاء... قدماي تهمان بالهروب ولكن كل قدم تريد أن تنجو وحيدة... والدماء في عروقي اندفعت وقد دمرت أي جسورٍ وسدود عنقي تخلت عن مكانها ولم تعد تحمل رأسي ويداي تخاصمتا وكلٌّ ذهب في طريق وقلبي تمرد وقطع تلك الأسلاك بين دهاليز عقلي ولكن إلى أين المسير؟! كانت النار تحيط بي من كل جانبٍ بل وتتقدم... أدركت هنا حتفي أن لا نجاة

سامر وهنادي

سامر وهنادي

اليوم أبداً... ومع آخر أصواتٍ تسمعها أذني من ذلك الذي ما عاد يقابلني...

كانت قدماه تتعاونان على حمله مجدداً... ورقبته تتقدم لتحمل رأسه... ويداه تتحدان لترفعانه عن الأرض... وقلبه

يتقدم وعقله يتقدم فيلتقيان في نصف الطريق ليكملانه معاً.

اتحد جسمه لينطلق في سعادته الأبدية...

ما عدت أسمع له شيئاً... اختفى كلياً مع اختفاء أي قدرة لي على الاستماع... كانت النار قد شارفت على الوصول، وهنا أدركت حتفي... عيني كانت على الأرض وكنت ألمح انعكاس النار فيهما، وعروق الدم في عيني تكبر شيئاً فشيئاً مع اقتراب النار لتخفي ما يحوي مقلتاي من بياض، تقدمت لفحةٌ من النار تجاهي مسرعةً، اتسعت حدقة عيني مذهولة، أصوات استغاثة، نحيب...

لا شيء يسمع...

اتسعت الشرايين في عيني وبدأت تغلي وتزداد عيني اتساعاً موحية بانفجارٍ آتٍ... حاولت إغلاق عيني ولكن عبثاً؛ الرموش كانت قد احترقت من شدة اللهيب والجفون كانت قد هربت... ومحور الدوران في عيني قد تعطل كلياً أيضاً...لا سبيل إلا أن ترى النار تتقدمك فتحرقك من دون حتى أن تشيح ببصرك عنها... ستراها تهجم... وتدافع... بل وتنتصر وأنت مكتوف اليدين....

تقدمت النار؛ رأيت مخالبها وأنيابها، تقدمت فانفجرت عيني!!

...

...

استيقظت مذعوراً...

أصرخ، أتحسس عيني... يدي... رجلي؛ قلبي ينبض بسرعةٍ يوشك على

التوقف... وعقلي ما يزال في وضع انتقالي بين المرحلتين...

لا وقت لكي أنتظر عقلي للعمل مجدداً، كان قلبي ما يزال تحت تأثير تلك القطيعة، وكان على وشك أن يتوقف قبل أن يتصالح مع عقلي...

رقبتي كانت رخوة جداً، تتأرجح يميناً وشمالاً كأنها مجبرة على حمل رأسي... وما يحويه.

عين مغمضة وعين مفتوحة... ساقٌ مطوية وأخرى ممدودة... كانت أعضاء جسدي ما تزال تحت ذلك التأثير...

......

الحمد... الحمد...!

صدى الصوت لم يفارقني لحظة استغللت حركة رقبتي يساراً فلمحت بعين واحدة مسبحتي... مددت يدي اليمنى مستعيناً بنصف عقلي الأيسر... وبدأت أسبح «الحمد لله»...نظرت إلى السقف مسبحاً... رأيت أنبوباً يحمل سائلاً أخضر اللون وآخر يحمل سائلاً أحمر اللون... ومع ازدياد عدد حبات المسبحة كان السائل الأخضر يزداد منسوبه ارتفاعاً ويقل منسوب السائل الأحمر... وبدأت دقات قلبي تهبط وأجزاء جسمي تستعيد صداقاتها وتعتذر لبعضها فتعود لتتحد مجدداً وتعمل مجتمعة...

ومع ارتفاع منسوب السائل الأخضر إلى ما فوق مستوى السائل الأحمر كنت قد أدركت أن كل ما اختبرته كان حلماً، وما زلت أملك تلك الفرصة على الحمد... لكن ماذا عن غيري؟ ماذا عن أولئك الذين يأكلون ويشربون، يلبسون، ويتجولون... ولا يحمدون ربهم ولا يشكرون!! نهضت من سريري مسرعاً لا وقت لتبديل ملابسي ولا لأقي قدماي، لا لأغسل وجهي أو أضع بعضاً من رشات العطر... خشيت أن يصلهم الموت قبلي...

نهضت مسرعاً ولم أغلق باب الشقة خلفي ولا صبر لدي لأنتظر

سامر وهنادي

صعودَ المصعد، فانطلقت إلى الدرج لاهثاً... وعند وصولي الى مدخل البناية أخذت أجول ببصري، تملكني شعور أني أملك عينان خلفيتان أيضاً؛ أستطيع أن أرى ما أمامي وما خلفي... رأيت شاباً يركض فركضت خلفه لاهثاً...

أنت، أنت، توقف... توقف!

لا يتوقف... يستمر بالركض...!

وأخيراً توقف، يضع يديه على ركبتيه يلتقط أنفاسه، أباغته... "أنت، هل حمدت الله على صحتك؟"

كررت السؤال... هل حمدت الله على صحتك؟!

لم ينظر إلي، رفع جسمه واستمر بالركض... رأيت مركبة تقف على إشارة مرور حمراء... اتجهت نحوها بسرعة، وقفت أمام السيارة وصرخت بسائقها، "هل حمدت الله على هذه المركبة؟ وهل حمدت الله على بدلتك التي تلبسها؟!"

لم يجب!!

فجأةً تحولت الإشارة إلى خضراء وبدأ بتحريك مركبته.

أصابني الذهول وعدت أصرخ مجدداً في وجهه، "أتريد أن تقتلني؟!"

داس على دواسة الوقود بشدة وانطلقت المركبة لأختبر الموت مجدداً، لكنها عبرت من خلالي! تفقدت جسدي! لم يحدث له شيء أصابني الذهول، «هل أنا فعلاً ميت؟!» كيف لم يرَني ذلك الشخص وكيف عبرت تلك المركبة من خلالي؟؟! رأيت طفلاً يجلس على مقعدٍ خشبي على الرصيف ويحمل بيده سندويشة، اتجهت نحوه حاملاً تساؤلاتي... جلست بجانبه، نظرت إليه، ورغم يقيني أنه لن يجيب كما فعل ذلك الرجل وصاحب المركبة سألته «هل حمدت الله على هذه النعمة التي بين يديك؟»

أجابني "نعم"، ثم غادر...!

فرحت كثيراً، رحت أبكي وأضحك من شدة الفرحة ولكن سرعان ما تبدلت تلك السماء الصافية بالغيوم السوداء... وماذا لو كان هذا الولد ميتاً مثلي؟!! أحسست بالدوار فاتجهت إلى حمام عامّ... فتحت صنبور الماء و أمعنت النظر بالماء المتساقط، ثم تجرأت،

فتحت يدي و أخذت حفنة من الماء ورشفتها على وجهي فتناثرت...! فتحت عيني مجدداً...!!!! سقف الغرفة... نظرت على يميني

كانت مسبحتي بجانبي... وأصوات الأذان تطرب أذني...

أيعقل أن يكون حلما أيضاً؟! لا بد أنني كنت أحلم أنني أحلم!

حملت مسبحتي واتجهت إلى المسجد...

كان أول ما بدأنا به صلاتنا «الحمد لله رب العالمين...»

سامر وهنادي

رزق من الله

هناك أمور كثيرة تحصل في الحياة لأنها يجب أن تحصل وحسب، تفاجئنا نحن قبل أن تفاجئ المحيطين بنا، ويبقى عصي علينا تصديقها، ربما لأنها تقتحمنا بشكل همجي و فجائي، تقتل بضع مشاعرنا وتبلد عصيبات أمدغتنا، كذلك كان يشبه الأمر كل مرة يفترق فيها حبيبين جدد على مسمعي، أشعر وكأنني أنا من يخوض تلك التجربة، وأستنكر على نفسي أولًا قبل أي شخص آخر أسباب نهاية هذا الحب! وما الذي يجر معظم تلك القصص للمقصلة؟ هل كل قصة حب لا تنتهي بالزواج هي مجرد تجربة تكتسب صفة (عابرة) في حال مضى عليها الزمن وقررنا البدءَ من جديد؟ الأمور حقًا ليست بهذه البساطة، كل شيء يحفظ في القلب في الذاكرة في المقاهي في الشوارع في كفوف اليدين، لا يمكن لأحدهم أن يخترق حياتنا ثم يرحل فجأة كأن شيئًا لم يكن! ربما هذا ما يمنحني النضج الكافي لأحاول مرارًا وتكرارًا أن أروِّض نفسي والظروف كي أبقى و إياك... وأجنب ذاتي الكثير من مشاهد الفراق التي شهدتها الزوايا المعتمة والشبابيك الضيقة!

حين نحب أحدهم يجدر بنا أن نعامله وكأنه رزق من الله، أن نصلي لأجل بقائه وأن نكلله بالحمد كي يدوم.

نحن نحمل معنا حقائبنا وكوب قهوة الصباح وقلب من نحب ومفاتيح المنزل والهاتف المحمول وبطاقة شحن الكهرباء، وقلم حبر، وبقايا خبزة متعفنة، وقشرة حلوى، وقلب من نحب مرة آخرى! وأنت في طريقك إلى مكان ما، تذكر حقًا أن تحمل معك قلب من تحب، أن تدرب حواسك على فعل ذلك، استشعر وجوده وضعه في مقدمة أفعالك، فكر به أولًا، ثم تصرف بالطريقه التي تحلو لك!

فكر بمدى ضرر هذا الفعل عليه، ثم أيضًا تصرف بالطريقة التي تحلو لك...

لا تذهب إلى أي ركن في هذه الدنيا دون أن تحمل معك قلب من تحب...

لا تملأ كفيك بمستلزماتك الشخصية، اترك مساحة فارغة لمصافحة عابرة ...

***

أصاب بالقلق في كل مرة أفكر بشكل فعلي بمقياس المسافات التي تفصل بيني وبينك! التفكير هو أخطر أداة حادة بمقدورها أن تقتلنا، لذلك هدِّئ من روعك يا عقلي وتوخَّ الحذر، أعرف تفاصيل كثيرة تشغل عقلي بما يكفي، لكن لازالت مساحة صغيرة فارغة مشغولة بقميصك الذي يحتاج لـكَيّ...

هل هناك امرأة في هذا العالم تتقن كيَّ قميصك أكثر مني؟ لا أجدني مهتمة لمعرفة الإجابة، طالما أنني واثقهة أننا سنكون عما قريب معًا. لماذا حين نقع في غرام شخص نقع أيضًا في غرام أتفه أتفه تفاصيله ومقتنياته؟ هل هذا يعني أن الحب يجعلنا أشخاصًا سُذَّج؟ أم أنه يضخم حجم مكنوناتنا الحسية و مدركاتنا العقلية فنصبح واعين أكثر من اللازم اتجاه من نحب؟!

كل هذه الأسئلة هي وليدة الفراغ والمسافة... لو كنت هنا لما خطر في بالي أي منها، ولكان خياطة ثقب جوربك أكبر المهام الموكلة إلي في هذا العالم.

لطالما أحببت فكرة أن الله خصنا عن باقي مخلوقاته بميزة العقل... في هذه الحالة يصبح بمقدونا أن نرسم صور أماكن وأشخاص ومشاهد كاملة دون الحاجة لأن نتحرك من السرير، و في هذه الحالة نمتلك الرضا، ونصبح أشخاصًا سعيدين أكثر، ومتصالحين مع ذواتنا... الخيال هو أضعف الإيمان، والعجز هو بداية الكفر، كي نعبر هذا الكون بأقل خسارة ممكنة، علينا أن نبقى على أتصال دائم مع الله، هو الحبل الذي يمكننا من الوصول إلى قمم الأشياء، ما دام الله يحيط بنا من كل اتجاه، إذن كل الأشياء قابلة لأن تصبح حقيقة!

المسافة بيننا وبين الأشخاص الذين نحبهم مساوية لمقدار تعلقنا بالحبل الذي ذكر سابقًا

سامر وهنادي

وسط كل هذا التيه، ما يعيدني لنطقة ارتكازي هو أن نتحدث يوميًا، أو نصلي معًا كما اعتدنا أن نفعل وأن ننتظر، آملين أن يمن علينا الله بلقاء قريب... أكتب لك كما أفعل دائمًا، وأرشقك بكلماتي، علَّ نصوصي المبعثرة المختلفة الملامح تشعرك بقدر لايستهان به من السعادة، وتنسيك أمر فقدان هاتفك في سيارة كنديٍّ أشقر، صحيح أنني فقدت التواصل معك ليوم واحد، 24 ساعة كانت كافية لـأن أفكر بمليون طريقة وحشية تم قتلك بها، لكن الحمدلله أنك قطعت سلسلة أفكاري بمكالمة من هاتف عمومي! آه نعم، نحن حين ندخل إطار علاقة ما نمتلك كل المؤهلات الدرامية التي تمكننا من تخيل أحداث لا وجود لها أصلًا، مثل كل يوم سيكون النوم هو الحل الوحيد كي تمضي هذه الأيام بسرعة أكبر، لعل في الغد خبر أجمل لموعد أتوق أن يجمعني بك

سامر وهنادي

سامر وهنادي

الرسالة الخامسة عشر
"أنثى من عالمٍ خرافيّ"

أنا: هي ليست مكانًا، فالمكان له بداية... وله نهاية، وقد أخبرتك أنني ما عرفت لها بداية واللهِ ولا نهاية.

هي ليست زماناً، قد تراها في عصر الجاهلية تقرأ كتاباً، وقد تراها في عصر النهضة تمتطي حصاناً!!

هي ليست شمساً، فـدفئوها قد يحرقك شتاء، ويهجرك صيفاً!

هي ليست قمراً، قد تراها نهاراً، وقد تفتقدها ليلاً... قد تسير وفق أطوار القمر بسلام، وقد تريك غرتها في الشهر ثلاثاً!!

- متمردة!؟

- في تمردها سلام، وفي سلامها تمرد!

- هل هي جنيّة!؟

- لو كنت أعلم ما سألتك «ما هي؟!!»

- عجزت، أرحني... وأخبرني «ما هي؟!!»

- سأحدثك عن أنثى غير عادية، تبلغ من العُمُرِ عتياً. رأيتها في الجاهلية، ووجدت لها في مِصرَ أثاراً فرعونية؛ ولن تصدقني لو أخبرتك أني حدثتها البارحة عشيّة!!

- أنت تبالغ في وصفِ أنثاك! هل خَرِفْتَ كـ مجنونِ ليلى؟!

- هل رأيت بعيني أم بعين المجنون؟!... بالله عليك أخبرني «كم منا صنعت منه أنثاهُ رجلاً؟»

سامر وهنادي

- نحنُ خلقنا رجالاً.

- بل خلقنا (ذكورًا)، الرجال لا تخلق يا صديقي بل تصنع، الرجل يُربى ليصبحَ رجلاً. وقد ولدتك أنثى، وربتك أنثى، وأحببت أنثى، وتزوجت بأنثى.

- ولكن لم تفقدني زوجتي عقلي!

- وهل دخلت زوجتك عقلك يوماً لتُفقدك إياه؟!!

- يكفي أن تجمعنا عاطفة؛ ومصالحَ مشتركة.

- لا أبحثُ عن الكفاية...

- المزيد سيؤرقك!

- ما أطال النوم عمراً.

- ستموت!

- سأحيا!

صمت... صمت... صمت...

- ماذا تريد؟!!!

- أريد أن أعيش.

- ما حاجتك للعشقٍ إذاً؟!

- لا قيمة للحياة من غير عشق.

- أنتما مختلفان، هي ماءٌ وأنت نار!!

- قالها شيخنا جلال الدين الرومي» يصبح الكون مختلفًا عندما تعشق النار الماء»

صمت... صمت... صمت...

- أتُحِبُّك؟

- لا تبحث المرأة عن رجل تحبه.

- ستتغير!

- سأرتقي.

- لأجلها؟

- بل لأجلي.

- ماذا ستجني؟

- حياةٌ واحدةٌ لا تكفيني!

- طماع

- طموح.

صمت... صمت... صمت...

هو: هل أنت سعيد؟

- يعتمد هذا على مفهوم السعادة بالنسبة لك.

- أنت تمضي في طريقٍ لم يسلكها غيرك!

- أريد نتيجةً مختلفة.

- أنت لا تبحث عن الراحة.

- لم نخلق في هذه الدنيا لنرتاح.

صمت... صمت... صمت...

هو: من أين لك بـهذه الفصاحة؟!!

- هيَ.

- ومن هي؟!!!!!!!

- أنثى من عالمٍ خرافي.

صمت... صمت... صمت...

هو: لماذا هي بالذات؟!!!!

أنا: لأن امرأة واحدةً لا تكفيني.

صمت... صمت... صمت...

صمت... صمت... صمت...

سامر وهنادي

قبلهُ

قَبله، لم أعرف شيئًا عن الله إلا واجبنا في العِبادة، ما القيتُ بالاً لأن نصافح «حتى الغُرباء» بِحرارة ! قَبله، لم أنتبه أن المَطر إنذار لـلبدء من جديد بقلوب عَذراء لم يسبق أن فَضتها قَسوة الماضي .

قَبله، لم أفهم أن ساعات النهار أفضل وقت لنبرهن للجميع أننا حقّاً أقوياء ونحب بعض جِداً، وما بَعد الغروب وبمعزل عن العيون، نفرغ غَلة اليوم بقلوب بعضنا.

قَبله، كُنت حادة الطبع، مزاجية، مُتسرعة، لم أكن قد تعلمت سياسة العد للعشرة سِرّاً، قَبل أي تَصرف...

قَبله، لم أقرأ «رأيت رام الله» ولا «ذاكرة اللوز» ولا «الضوء الأزرق» ولا «عزازيل» ولا «ذائقة الموت» ولا «الحب في زمن الكوليرا» ولا «مئة عام من العزلة»

قَبله، كنت مغلقة برأيي، مع انعدام قدرتي على النِقاش نهائياً .قبله، كنت أظن أن أكبر الخاسرين هو من لم يجتز شريط الفوز أولًا دون أن أنتبه أن الترقيم شيء وهمي يخدم الغرض لا الغاية.

قَبله، كُنت ألعن الحاقدين، الكارهين، المتربصين... قبله، لم يكن يعني لي الحب أكثر من رسائل وردية يرسلها الفتية والفتيات لبعضهم...

قبله، كنت في مرحلة ضياع

لم أحتسي القهوة قط

لم أبتسم في وجه فقير

قَبله، لَم يكن لَدي فكرة أن «العائلة» أكثر شيء سنفتقده في كل الأحوال،

سامر وهنادي

وأكثر شيء يستحق أن نُضحي لأجله.... قَبله، لم أفهم أن الخير لا يصيبنا إلا أذا أصبنا به الناس أولاً .

مَعهُ عَرفت «أن الحب يمنحنا السعادة ولا شيء إلا السعادة، شريطة أن نحسن الظن بالله وبمن نحب»

سامر وهنادي

الرسالة السادسة عشر

حب لايفنى

ككل الأشياء التي تموت لتحيا من جديد ربما في مكان أخر.

في شكل وطور آخر هذا القانون الذي أودعه الخالق في نظام الكون البديع... كالشمس تغرب في مكان لتشرق في مكان آخر كالطيور تهاجر من أرض لأرض أخرى قد تكون في النصف الآخر من كرتنا الجميلة، كوردة جميلة أودعناها في قلب أحدهم فأزهرت.

كالموت يأخذنا من عالمنا المحدود لمكان أكثر عمرًا و بلا جدران تحد من طاقتنا... ككل الأشياء من حولنا نحن نحب أحدهم فنبقى أسيرَي كلمة ورعشة وخفقة من ذلك القلب، قد نكون ممن أكرمنا أنفسنا فأكرمنا الله أضعافاً فكتبنا بحبر أقلامنا حياة مشتركة مع من ارتعشت قلوبنا لسماع أسمائهم يومًا...

خانتنا الكلمات كما اعتادت دوماً أن تفعل، ففقدنا قدرتنا على تحريك شفاهنا كما اعتدنا أن نردد في صباحات الحب الباكرة؛ فظن الحبيب أننا فقدنا قدرتنا على الحب، وفهم عجزنا عن النطق بأن الحب قد تلاشى وذهب مع ريح يوم عاصف مغبر بخطايا ذنوب بني البشر... ولكننا نسينا أول قوانين الفيزياء التي داعبت أناملنا الصغيرة، نسينا أن لا شيء يفنى بل يتحول من شكل إلى آخر... ونسبنا هذا القانون لشخص متجاهلين السطور الأولى التي تحدثت عن مسير كل القوانين... فهل من المنصف أن نطالب جثة تحللت إلى تراب بأن تقف وتلقي علينا قصيدة في ليلى! وهل من العقل الذي ما زال يحتك بأطراف جماجمنا أن نقف على يمين طريق ونطالب وقود المركبة بأن يعود شجرة تهدينا ثمارًا؟

الحب لو كان صادقاً كقلوبكم لكان له القدرة على التحول والتشكل بقوالب مختلفة، ولكن لكل مرحلة شكل وطعم و أسلوب مختلف! فأنت لا تعامل طفلاً صغيرًا كما تطالب رجلًا بالغًا وشيخًا كبيرًا... من قبل الحب بإرادة وبقلب يخفق وعقل يعمل عليه أن يتقبل ويستمتع في كل فصوله، فكما تحب أن تستلقي على العشب وتقطف أزهار الربيع عليك أن تتحمل برد الشتاء وحرارة الصيف وتساقط أوراق الأشجار على رأسك في الخريف.

سامر وهنادي

وهم كوتار

تنفيذ لإرادة الله

لب المشكلة يكمن في أننا نعاني من غباء عاطفي أيضًا! تفوتنا إشارات قَدرية وتفاصيل كثيرة، وننجرف ونندفع ونركن عقولنا في رف الملابس الشتوية بين زغب الصوف و حبوب المُعطر! ونَكِل كل المسؤولية لقلوبنا فتتصرف على أهوائها.

من الواجب أن تروض ذاتك على أشياء عديدة... كأن لا يقفز قلبك بمجرد سماع كلمة لطيفة، أن تتظاهر بالقسوة والثبات أحيانًا، أن تلتزم بوعودك وأن تسمح لعقلك بترأُّس بعض المواقف.

ولأننا من سلالة إجتماعية تهوى الثرثرة والعبث وتبادل المشاعر والقبلات والأحاديث والزيارات وأطباق الطعام والمجاملات...، ولأننا نكره أن نشعر بالفراغ و نفضل أن نكون مملتئين دومًا بأسماء ومواقف وكلمات ومشاعر - بكل الأحوال سوف نقع بالحب!

التقينا في طريق طويلة وعرة بعض الشيء، تحيط بها أشجار من الجانبين كل منا أنهى نصف كتابه الأول، دون معرفة الطرف الآخر بذلك، يد الله هي من أرشدتنا لهذا الطريق، كنا تاهئين تمامًا، وبنا من الخدوش والركلات ما لا يحتملة مقاتل شرس. أظن أننا تبادلنا السلام ببرود وصعقنا لِكَمِّ القواسم المشتركة التي تجمع بيننا، هذا ما دفعنا لأن نلتحم نحن و أوراقنا على نية أن نرسم بداية مشتركة، هذا ما نحاول أن نفعله منذ سنوات.

إن أمر ولادة كتاب بطابع ذكوري وأنثوي في الوقت ذاته، يشبه عملية توحيد جسدين يخلتلفان كل الاختلاف في ذات القالب، مع الحفاظ على جمالية المظهر والمكنون!

تجربة رقم (1) الهدف الأساسي أن نكتب لاشيء سوى الكتابة

تجربة رقم (2) الاستمرار بالكتابة مع بعض بوادر الإستلطاف بيننا

تجربة رقم (3) لابد أن نقع بالحب كي نتمكن من أن نكتب

تجربة رقم (4) أنهينا المقدمة والإهداء

تجربة رقم (5) أصبحت الكتابة لفظًا يغازل به أحدنا الآخر

تجربة رقم (6) يبدو أننا...

هذا ما يحصل الآن، بدأنا نكثف عمليات البحث عن كل الأسباب والمعدات والسبل اللازمة كي يصبح هذا الحب مادة حية، موثقة ومكتوبة بأكثر من لغة... لغة يفهمها الكبار، الصغار، الشيوخ، رجال الدين، و كل فئات المجتمع دون أن نصبغها بطابع يستهدف فئة معينة أو جماعة ما... مع الحرص على أن نحتفظ بالشيء الجميل الذي بدأ ينشأ بيننا

هامش - من المحتمل أن يكون كل ما ذكر في الأعلى مجرد هراء ودراما مبالغ فيها!

إلا أن الأهم أن تنصت جيدًا لصوت الخشخشة الصادر من قلبك، عل الله اشتاق لتمتة دعائك كي يجمعك بمن تحب، وعل أحدهم ينتظر أن تبوح له بهذا الحب! من يدري ما المعنى الأصح لكلمة الحب؟ ومن منح هذا التكوين اللغوي معنى علاقة بين ذكر وأنثى؟! قد تكون بين عبد و ربه! المهم أن تحسنوا امتهان الحب، فهو كأي عمل يوكل إليك بهذه الدنيا، إن لم يستوفِ الشروط ستطرد منه ومن رحمة الله، وينصب من هو أقدر منك على تحمل العبء والمسؤولية! حتى حبيباتكم اللواتي يعقدن عليكم آمالهن لديهن القدرة على الرحيل عند أول فشل تحققه رجولتك!

المصير، هي تلك اللحظة التي تحسم بها زمام أمورك بالمقارنة بين شيئين، شخصين، قلبين، مسكنين،مدينتين، وجعين!

قلة من يفكرون جيدًا قبل القرارات المصيرية! ربما لأنها تجيء في وقت نكون فيه متعبين بما يكفي، ومنهكين لدرجة لا تخولنا لأن نستخدم عقولنا،

سامر وهنادي

فتشير أصابعنا بالاتجاه الأقرب والأسهل! متناسين أن أبسط قرار يمر بنا يتجاوز عمره السنوات!

الزواج هو (قرار يبلغ عمره ستون سنة على أقل تقدير)

وهكذا سوف نمر جميعًا بتجربة ما، على اختلاف الشخوص والأحداث، وننتهي أيضًا بطريقة ما! سوف يحالف الحظ البعض منا، والآخر حتما سيبكي في الليل!

المهم الآن، بعيدًا عن كل قصص الحب أني أحبك، هكذا كفتاة لم يصبها الحزن أبدًا، وكفلسطينية بمقدورها السفر دون عناء وتعب كي تصل مطارات البلاد البعيدة التي يعجبك طعم قهوتها ووجباتها السريعة، أحبك هكذا وأحب أن تقرأ ما أكتب كي تكون هذه الحروف بمثابة الضمان الذي يذكر كل منا بالآخر في حال لو لم نجتمع - لا سمح الله - أنه كان بيننا شيء جميل، يشبه شجرة لوز أو زوج حمائم! أحبك تمامًا مثل النسوة اللآتي يودعن أزواجهن وهن مدركات باستحالة العودة وأبدية الرحيل، هذا هو الحب الأنقى والأعمق، الذي لاتحكمه المسميات العابرة، الذي ليس بحاجة لمبررات أو شرح أو تقديم عطايا وهدايا!

أحبك هكذا لأنك آخر شخص يقف بالممر يفتح كفّيه على مصراعيهما ويرحب بي دون أن يفتش في أوراقي القديمة وصوري النصف ملوّنة من ظلم الجرار و وحشية التصفح وملوحة الدموع، أحبك هكذا ولا زال بمقدوري أن أحب بعد سطل الطلاء الأسود الذي صبغ حياتي قبل أن ألمحك وأنت تحمل نصف كتاب... قبل أن يناديني صوتك المألوف تعالي...، قبل أن أوشك على البكاء بشكل جدّيٍّ وطفولي لأنه من الضروري أن تأتي قبل أن تحتل المركز الأول في كونك الوحيد الذي أهداني وردة ونسيتها على كرسي الحديقة العامة....!

ما أوجع الموقف يارجل! كطفل يعثر على أمه بعد بحث سنتين وسط عجقة السوق ثم يفقدها من جديد، ويستمر بالبكاء، هكذا يشبه فقدان تلك

الوردة.

سامر وهنادي

الرسالة السابعة عشر
مذبح الحياة

على مائدة الطعام وعلى مذبح الحياة بشكل دائم بين الأطباق المتناثرة بشكل منظم وبشكل عشوائي، في ذات المكان وقبل تناول لقمته الأولى بين منتصف المسافة بين سطح الطاولة وفمه تقدم نحوه شيء لم يدرِ ماهيته حتى الآن، ومسك يده الحاملة للطعام فتوقفت معلقة بالهواء فلا هي تعرف أرضاً تنتمي لها ولا أضحية لذلك الفم المتعفن من كثر الأكل... لم يعجبه من أوقف الطعام عن بطنه المنتفخة، فبذل قصارى جهده لإيصال تلك الدفعة من الطعام إلى شفاهه ليتحسسها، وإلى لسانه ليتذوقها وبضع سنتمترات من أنفه ليشمها، ولكن بعد صراع مع المجاهدة أعلن استسلامه وأيقن أن القوة لا تجدي نفعاً دائماً، فضحك ضحكة مصطنعة مغتراً بأنه لو لم يكن أقوى الحيوانات فهو يمتلك فطنة تعلو عليهم وتنصبه سيداً، وتكلّم في سرّه أنه سيحظى بتلك الوجبة الدسمة ولكن لا بد من الحنكة والجدل برهة من الوقت... رفع ذقنه عاليًا وحرك بؤبؤي عينيه للأسفل وتكلم بصوت جهور.... من أنت ولماذا لا تدعني أتناول طعامي ولماذا تمسك يدي؟؟

تَتابُعُ الأسئلة حتى ولو كانت الإجابة واحدة يُضعِفُ الخصم تماماً مثل تتالي الضربات حتى لو كان الألم واحدًا في كل ضربة!

هاااا!! أجب، ما بك؟

ذلك الغريب نظر إلى يدي الرجل وقال له: أتعلم ما الذي في يدك؟ أجاب ذلك المغفل ساخراً: بالطبع تلك لقمة طعام!! أعاد السؤال ولكن بطريقة مختلفة... وماذا على الطاولة أمامك؟ أجاب ضاحكاً هذه المرة: أطباق طعام، هل أنت أعمى أم أنك مسخ حديث

الولادة لا يعلم عن حياتنا نحن بنوا البشر شيئًا؟!!

-ممَ تتكون هذه الأطباق؟

بدأ الرجل يُستَفز من أسئلته و لكي لا يعطي له مجالاً لأسئلة أخرى، أجابه: إنه طعام، ألا تعرف الطعام؟! لحم وخضار وفاكهة... طعام نأكله لنتمكن من أداء مهامنا...

- وما هي مهامك؟

لن أجيب على شيء، أنت مسخ لا تطاق، اترك يدي و اذهب إلى بني صنفك... أجاب المسخ... إذاً هناك حيوانات تذبح وأشجار تقلع جذورها وتنثر بذورها وتقطع أغصانها وتفرح أوراقها وتضحي بثمارها، كل هذا لأجلك؟؟! ما الذي يدفع تلك الحيوانات والمزروعات لتضحي بحياتها لأجلك؟؟ كان وقع السؤال على رأسه المتوقفة عن العمل منذ أجيال كالصاعقة،

ولكن سرعان ما استعاد قواه بإجابة عدّها ضربته القاضية...هذه سنة الله في خلقه! إن الله هو من سخر لنا هذه المخلوقات لنقتات عليها، أعندك شك في حكمة الله أم أن المسخ لا يؤمن بالله؟!

- هل الله الذي تؤمن به عادل حكيم؟

-ويحك أيها المسخ، كيف تنطق بهذا الكلام؟! نعم الآن عرفت لماذا مسخك الله!! أجاب المسخ هذه المرة بصوت مرتفع بعض الشيء وبنبرة غضب، "وهل يعقل أن الله جعل هذه المخلوقات تتخلى وتسلب منها حياتها الحيوانية لتقدم نفسها وحياتها قرباناً لكرشك، لتعيش حياة حيوانية لا تختلف عن حياتهم في شيء؟!...

في هذه اللحظة ترك الرجل اللقمة تهوي على الطاولة ثم أكمل المسخ كلامه... يا هذا... إن الحيوانات التي تأكلها، والنباتات التي تداعبها كفيك، والحبوب التي تتسلى بها أضراس وما تمسح به قذارتك... كل تلك المخلوقات تضحي بحياتها وحياة أبنائها وأجيال منها تباد... كل هذا لأن مهمتك ووظيفتك

سامر وهنادي

التي خلقك الإله الذي لا نعرف عنه شيئًا تختلف عن مهمتك؟ تكمن في أن تجعل هذا العالم مكاناً أكثر أمنًا وخضرة لأولادهم وأولادك... الله أحل لك حياتهم لترتقي بهذا المكان...! وماذا فعلت أنت بهذه المهمة؟! أكلت وتكاثرت فجعلت هذا العالم أكثر قذارة وظلمًا وظلمة...، الأجدر بك يا صاحب الكرش المكتظ أن تمسك تلك السكين، وتقطع أعضاءك المكتنزة قطعة قطعة، وترميها للأسود في البرية، فحياتهم وإن كانت حيوانية... لكنّها تؤدي دورها الذي خلقها الله من أجله!!

غاب المسخ بعد أن ترك كلماته تضرب كرش الرجل! يقال إن الرجل بعد هذه الحادثة لم يتناول أي طعام لمدة شهر كامل... وبعد أن نحل جسمه واهترأت عظامه و أدركه الموت، تذكر كلام ذلك المسخ... فقرر أن يجعل لموته معنىً فذهب بجسده المتهالك مسيرة أيام وألقى بجسده لذئاب جائعة... اقترب الذئب، اشتم جسده ثم أومأ إلى كتيبته أن يغادروا فلا شيء في جسد هذا الرجل يؤكل...

مات من القهر هناك، وحيدًا حيث لا مكان ولا زمان!

سامر وهنادي

وهم كوتار

كنت فارغة تمامًا

كنت أريد أن أخبرهم جميعاً أنني كنت فارغة تمامًا قبل أن يبتسم بوجهي ذاك الرجل الثلاثيني الجميل، كنت أحاول أن أشرح لهم بطريقة أو بأخرى أنه يحبني، وأننا نمجد هذا الحب الذي يجمعنا بسبب اختلافاتنا المتشابهة، جميعهم إلا أمي، جميعهم لم يلحظوا شيئاً، هي فقط من اقتنصت ملامحي واستطاعت دون أن أتفوه بكملة واحدة أن تكتشف هذا الحب كله!

الرجل هذا هادىء عقلاني جدًا، يكتب بأسلوب فلسفي بحت، كتابته تؤلم الرأس لِكَمِّ الأفكار والصخور والحكم والمعتقدات والتصورات والتناقضات التي تحتويها... وأنا طفلة بدأت أحبو تحت قدميه، أنا وكتاباتي الغريبة التي تكاد أن تكون زهرية اللون طرية موجهة للقلب بطريقة مباشرة.

نحن نشبه قطعة نرد لا وجه بها يماثل الآخر، إلا أننا قطعة واحدة، أو لنقل أننا وجهين لعملة واحدة - وهي عبارة مستهلكة جدًا لكنها الأقدر على ترجمة ما أحاول أن أقوله! يومياً يرسل كلانا للآخر مئات الكلمات ويترجم كل منا تلك السطور على هواه، نحاول أن نحب بعضنا بأسلوب مختلف نوعاً ما عن العبارات المنمقة والدببة المحشوة واللقاءات السرية واللمسات الغير مباحة، أقصد أننا نحاول أن نحب بطريقة أكثر نضجاً، أو بطريقة مختلفة بعض الشيء على أمل أن يمنح هذا الاختلاف الديمومة للحب!

نحن لا نطمح أن ننتهي فور انتهائنا من كتابة هذا الورق الملتصق بوجوهنا وقلوبنا، ربما نفكر أن يكون هو البداية التي يحلم بها كل واحد منا بطريقة تختلف عن الآخر!

لا زالت الاحتمالات جميعها واردة ولا زال يفكر أن يستقيل من عمله، وأفكر أن أستقيل من حياتي السابقة تماماً، ويفكر كل منا أن نكون معًا، فقط أن نكون معًا، لأسباب عدة أهمها أن نكتب! الكتابة تعني لنا شيئًا

سامر وهنادي

يشبه الماء و الطعام و ارتداء الملابس و الدخول للحمام و الاستحمام و النوم و الموت و التثاؤوب.

الكتابة حاجة ورغبة ومتطلب أساسي، هي تشبه إلى حد ما الجلد الذي يكسو دواخلنا لنستتر به عن البقية، الطعام مرة أخرى الذي يسهم بشكل أو بآخر أن يبقينا أحياء، اليوم الذي نركن به الكتابة جانبًا نصبح قذرين وتتغير ملامحنا، حتى نكاد لا نلقي تحية الصباح على بعضنا!

في كل صفحة من هذا الكتاب يخلع أحدنا قطعة من ملابسه على مرأى من الجميع، الكتابة ليست سوى أن نسمح للآخرين أن يسترقوا النظر لدواخلنا...

ما أهمية أن نكتب؟

كي تنتشلنا هذه الحروف حين نسقط في حفرة! في كرة، في شك، في تعب، أنه كنا أصحاب قصة يومًا ما، أننا أحببنا، وأن الذي بيننا أكبر من أن ينتهي أو يساء إليه.

الآن يحق لي أن أكتب بأسلوب شره أكثر من أي وقت مضى، لأن قلبي سقط في حفرة سحيقة حين شعرت للمرة الثانية أنك بعيد عني! وضعت يدي على وجهي وبكيت... كان صوتك مرميًا على السرير، على الكنبه أو على مقبض الباب، كان وجهك يلتصق بسقف الغرفة، ويداك تختبئ في الجرار، لم أقتنع أنك هناك وأنا هنا، ولايحق لنا أن نتشارك طبق طعام واحد!

الحمقى وحدهم من يتمكنون من العيش بعيدًا عن حبيباتهم! متلازمة الوقت بدأت تصيبني ومن المهم أن تشعر بضرورة العودة!

سامر وهنادي

الرسالة الثامنة عشر

ماتت هي

وسـيُشَيَّعُ جثمانها غدًا بعد صلاة العصر من بيت أبيها الكائن في وعيها منذ صغرها...

ماتت هي...!

وسيلبسونها كفنها الأبيض...

سيتلون عليها صلاتهم الأخيرة، وسيختارون أقصر السور بعجلةٍ؛

ويتناوبون واحدًا تلو الآخر يهدونها قبلاتهم الأخيرة...

ويذرفون الدمع فرحاً لموتها...

يستعجلون حمل نعشها... ويركضون بها إلى مثوى جسدها الأخير... خشية أن يأتِيهم منادٍ، ويخبرهم أنها ما زالت على قيد الحياة...

يضعونها في قبرها الذي لم يلائمها...

يهمسون في أذنها: «لا تحزني، أنتِ ذاهبةٌ إلى الجنة» حيث الجحيم الأبدي...!

ينثرون التراب على قبرها... يتلون دعواتهم الأخيرة لها... يشكرون من ساعدهم على مراسم دفنها؛ ربما يضعون بعضًاً من ورود طقوسهم العشائرية... ثم يمضون لبيوتهم فرحين...

أسمع أصوات ضرب نعالهم تهبط شيئاً فشيئاً

يغادرون... ويتركونها تعاني ظلمة قبرها وحدها!

لم يبق أحدٌ هنا؛ ربما سيزورونها في أول جمعة على رحيلها، وربما أول عيد، وأول ذكرى سنوية... لكن سرعان ما ستقتصر زيارتهم لها على مناسباتها

التعيسة...

أما أنا...!

دعوني أقيم لها بيت عزاء...

وقهوة سوداء تشبهُ أيامي القادمة دونها... وأزرع ورداً أبيضاً على قبرها... دعوني أبكيها بصمت... دعوني أكتب لها ما شئت من حياة لم تُكْتَبْ، لعلي ألتقي بروحها صدفةً في طريقي الى السماء فيخجلني أن لا أوفي بعهدي يوماً لها...

اخلعوا عنها الأبيض هذا، وألبسوها الأبيض الذي أحبته مرّةً على شباكِ محلِّ الملابس... دعوني أحفر قبراً لي يلائمها وأسهر ما بقي لي من ليلي أؤنس وحدتي مرددًا «من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات»

ماتت هي...!

«ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت...»

دعوني أرثيها بصمت... حتى ألتقيها يوم تبعث هي؛ ولأنها لا تقرأ ما أكتب لها حالياً، سأكتفي بالدعاء لها في صلاتي وأسأل الله أن يبدلها داراً خيراً من داري...

وكآخر طلب؛ دعوني أشكر لكم حسن عزائكم!

سامر وهنادي

وهم كوتار

في داخلي فتاة تصلي

نحن لا نمتلك ملامح، ليس لنا وجه، ولا قلب ولا أي تضاريس آدمية، نحن بقايا التجارب والكلمات و آخر جملة منمقة قيلت لنا، نحن لسنا سوى فتات أولئك الذين صافحونا وطلبوا منا عدم الرحيل، أرجوكم قولو لي أن الأشخاص الذين يحبوننا أو على الأقل الذين نحبهم لا يرحلون بسرعة، ويلتزمون بالبقاء معنا! نحن دونهم نشبه حفرة ضخمة مظلمة تبتلع كل الأشياء ثم تبتلع نفسها وتختفي!

في كل مرة نكتب نتبرع بقطعة من الألم أو الأمل لقارئ لا ذنب له

كل الشخوص التي تعتلي خشبة مسرح الحياة لا يمكن لها أن تؤدي الدور الذي يتقنه ذلك البعيد، جميعهم لن يتمكنو من إغلاق الثقب الفارغ الذي يتشكل بفعل غيابه، في الوقت الذي تشعر فيه أنك بحاجة لشخص ليس من المجدي أن يحل محله أحد، سوف تبكي كطفل لطيم! بشفقه وحزن وحاجة، تلك أسوء أنواع البكاء، ربما لأنك تسقط في الحزن دون أن تجد أي ذراع لتنتشلك! هذا القلب لديه القدرة على التحمل ما يكفي لأن أحتسي قهوة الصباح وحيدة ولأن أرتب ربطات عنقك وأختار الأجمل، وأخفض صوت المذياغ خشية إزعاجك، هذا القلب لديه قدرة على التحمل بما يكفي ليفعل كل هذه الأشياء لأجلك دون أن تكون موجودًا هنا أصلًا!

مستاءة بشكل كبير لقراءة الرسالة الأخيرة، والتفسير الوحيد لذلك... أنني صغيرة بقدر لا يسمح لي أن أدرك حقيقة أن تتزوج شخصًا لا تحبه، مجرد لفظ هذه الكلمة فقط يجلسني في حضن الزاوية ثلاث ساعات متتالية.

ويبدو أنه في النهاية من الضروري جدًا أن يخلع من جسده كل ما يتعلق بتلك المدينة وأن يعود مسرعًا ولو هرولة!

أن يبصق بقايا الطعام العالقة بين أسنانه وأن يخلع

سامر وهنادي

ملابسه وأن يغلق حساباته البنكية ويشتري لها هدية ما كي تساعده على أن يقول لها أحبك حين يصل! هل يفعل؟؟

منذ تلك الليلة التي شعرت فيها أنه على وشك أن يأتي وأنا أنام بملابس جديدة خشية أن يأتي فجأة فلا أكون بأحسن حال، منذ ذلك الحين وأنا أبكي لأنه أخبرني بجملة تفيد الشك والتحقيق «أشعر بأنني قد أحببتك»، المصيبة الأعظم أن هذه التصرفات التي تصدر منه تهدم قناعات عمرها سنين طويلة مبنية على الكره و الحقد تجاه الجنس الآخر، التفسير الوحيد لما يحصل أنه سقط من بطن السماء دون أن يخالط الجنس الذكري الذي يقطن مجرتنا!

في داخلي فتاة تصلي، تقرأ الصحف، وتبتسم، تأكل بنهم وتلعق أصابعها، وتنتظر قدومك! تنظر لوجهها في المرآة... وتحاول أن تقنع نفسها أن هناك رجل يفعل كل هذا لأجل إحداهن.

سيكون من الصعب على امرأة مثلي أن تصدق كل هذا دفعة واحدة!

لم نتعلم في المدرسة ولا من أمهاتنا ولا من قصص الجدّات ولا من عبث الصديقات أن الحب بمقدوره أن يجردنا من كل الأشياء ويجلبنا اتجاه من نحب هرولة هرولة...

سيأتي، هو ورزمة ورق، و وعدين أحدهما أن نُتِمَّ هذا الكتاب والآخر أن يتمم لفظ اسمي بعائلته...

هو يبدو حقيقيًا أكثر من أي شيء مضى! أكثر حتى من نصوصه المبعثرة التي يبعثها إلي ويطلب مني بطريقة أو بأخرى أن أقبلها أو أخبئها في صدري! مذ متى تعامل الكلمات بهذه الرقة؟!

أنا من الفتيات اللواتي لايقبلن أن يتزوجن إلا أحبائهن! لذلك كان علي أن أكون السمكة العالقة بتلك الصنارة المتشبثة بكل قوتها، كي لا تعود لظلمات البحر مرة، ربما لأن ذاك الطُعم شهي، شهي جدًا وممتع ويستحق

أن أمنحه حياتي!

بالمناسبة... تربطني بالأسماك علاقة ودية جدًا، جاءت بعد أن قتلت إحداهن عمدًا، منذ ذلك الحين ونحن أصدقاء، الأشياء الجميلة لا تجيء دون مقدمات سيئة...

سامر وهنادي

سامر وهنادي

سامر وهنادي

الرسالة التاسعة عشر
الغوص مع الصغار

كان يقف في وسط بركة للسباحة، كانت الماء تغمر نصف ساقيه، كانت الشمس تعامد رأسه فلا ظِلٌّ هناك يشتت نظره، كانت الأضواء تسلط عليه رغم تعدد الحكايات من حوله. يرتدي ملابس السباحة، لم تكن قد ابتلت بعد، نظر من حوله، كان هناك على الطرف الآخر من المسبح طفل يغطس، طفل بعمر الزهور، كان أبوه يحمله على كتفه فيلقيه في الماء، يحلق الولد في السماء ثم يعود ليغطس في المياه العميقة، يذهب في رحلة استكشافية تحت الماء كغواصة تجوب أعماق البحار ثم يعود ليطفو على السطح كسفينة. يتجه صوب أبيه ثانية وثالثة ورابعة، يتكرر نفس المشهد.

عاد الرجل لينظر إلى الولد بعينيه وبنفس العينين نظر إلى ساقيه، لم تساعده ساقاه على الوقوف فخرّ على ركبتيه، لأول مرة تبتل ملابس السباح ة، أحس بجسمه يفقد وزنه ورأسه أخف من ذي قبل، فتح ذراعيه، كانت المياه تلامس ظهره وتغمر نصفه، عيناه مغلقتان، وإلى الشمس تتجهان، نصف أذنيه بالماء، كل الأصوات من حوله قد صمتت مع نصف أذنيه المغمورة، صوت واحد فقط يدخل نصف أذنيه اللامغمورة، صوت ضحكات ذلك الطفل تطفو على سطح الماء، وتنتقل عبر الموجات التي يحدثها أثناء ارتطامه بالماء لتصل أذنيه، تدق طبلة أذنه، لا أحد يفتح ذلك الباب، ومع تكرار قفزات ذلك الطفل، تعود ضحكاته لتطرق باب أذنيه، تتكرر الطَرَقات ولا أحد يفتح. يجلس هو خلف ذلك الباب، المكان معتم! يضع رأسه بين قدميه ويغلق أذنيه بأصبعيه ويغلق عينيه رغم الظلام من حوله، لا يريد أن يفتح لذلك الطارق، يرتمي أرضاً على بطنه هذه المرة ويضع يديه خلف رأسه، ويضغط بساعديه على أذنيه كي لا يسمع أصوات الطَرْق لكن كل

سامر وهنادي

ذلك بلا جدوى، ضحكات الطفل تعود وتعود...

وبعد يأسه من محاولة مقاومة فتح الباب يتقدم ليفتح لتلك الضحكات القادمة، الضحكات تخيفه، كان قد اعتاد عالمه المظلم وأقنع نفسه بأن لا شيء هناك خلف الباب. ما كان يخيفه هو وجود عالم آخر لم يكتشفه بعد رغم طول عمره. إبقاء الباب مغلقاً والبقاء في بحر الجهل أهون عليه ألف مرة من أن يفتح الباب على بحر من نوع آخر

لم يعتده، ولكن قد فات الأوان، تلك الطرقات لا يمكن أن تغادر رأسه، لا بد من فتح الباب وإلا مات محاولاً أن لا يسمع تلك الطرقات...

تشجع هذه المرة ورفع رأسه... ساعدت يداه رجليه على الوقوف، بظهرٍ منحنٍ تقدم نحو الباب، وضع يده على المقبض وقبل أن يفتح الباب نظر من ثقبه لم يرَ شيئاً غير النور، عاد فأمسك مقبض الباب، فُتِح الباب، تقلص بؤبؤي عينيه إلى ما دون الرؤيا...

شاح ببصره إلى الأسفل أغمض عينيه حتى ازداد بؤبؤ عينيه حجماً ونظر حوله... كان الطفل لا يزال يغطس والأصوات من حوله بدأت تتعالى على سمعه... لم يكن يحلم ولم يكن يهذي، وقف على رجليه وكان جسمه مبتلاً، تقدم فخرج من البركة واتجه نحو الجهة الأخرى حيث الطفل يلعب، اعتلى منصة الغوص، وتلى بعضاً من صلواته الأخيرة مغمض العينين، تقدمت يداه جسمه وانحنت ركبتاه شيئاً فشيئًا، فتحت عيناه فجأةً وقفز تلك القفزة المجنونة بالماء، لم يكن له بالسباحة خبرة ولا بأعماق البحار تجربة...

أمضى وقتاً غير مبررٍ تحت الماء ليصعد لاهثاً نحو السطح، ضربات قلبه تزداد سرعة ويزداد الأدرنالين في جسمه إفرازاً، يستغيث ربما ولكن لا أحد هناك يسمعه، تتحرك شفتاه ولكن لا صوت مسموع هناك،

كيف على مرأى منهم يغرق ولا أحد يبادر فينقذه، ولا حتى يرمون له طوق نجاة، أدرك أن لا نجاة هناك بغير جهدٍ منه، حرك يديه ورجليه بسرعة ولكن ثقل جسمه وعمره كان يهوي به إلى القاع، فقد طاقته وطاقته

سامر وهنادي

البديلة أيضاً، بدأ يندم على فتح ذلك الباب لتلك الضحكات.

عندها أدرك حتفه ولا مفر هناك من الموت، توقف عن الحركة وأرخى جسمه، أغمض عينيه وسلم روحه إلى السماء...

ما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى جاءت يدا الرحمن لترفعه على سطح الماء بلا عمد ، لا ثقل هناك للجسد، كجسد تطهر من ذنوبه فقل وزنه. بينما هو يحسب روحه صاعدة إلى السماء بغير جسد،

جاءت بضع رشات من المياه من ذلك الولد على وجهه فعاد إلى وعيه بروح وجسد... تعالت ضحكاته على ضحكات ذلك الولد

كيف كنت أعبد إلهاً وبه لا أثق...؟!

انقلب على وجهه وهذه المرة وبثقة الله الواحد الأحد، نظر إلى ما تحت الماء بعيني أسد، لؤلؤ ومرجان هناك وجد...

«أدرك أن ما كان يدفع الولد لكي يغطس بلا خوف هو ثقته بوالده، أنه سينقذه لو غرق، أعطاه مزيداً من الشجاعة ليقفز وليغامر وليكتشف أعماق البحار... عاد فتذكر حياته والتجارب الكثيرة التي تخلف عنها بدافع الخوف والتردد، فحرم من كثير من نعم الحياة بدافع الخوف... فعاد ليحسم قضية إيمانه وكيف كان يعبد إله لا يثق أنه سينقظه لو خاض هذه التجارب، وكيف لهذا التناقض أن يتعايش معه طول هذه السنين رغم كثرة الطارقين على بابه! عاد ليكتشف ذلك الخلل بإيمانه. وعندما أدرك الحقيقة عاد ليغطس ويكرر التجربة وكله ثقة بذلك الإله.»

سامر وهنادي

وهم كوتار

اباء وقت الضرورة

نحب أن ننجب منهم أشباههم بالملامح، والتصرفات، طريقة اللفظ، بحبة البؤبؤ المدورة، نحب أن نحصل على نسخة ثانية، وثالثة وعاشرة ربما، يمكن لأننا لا نكتفي بهم كبارًا فنحاول أن نحبهم من خلال أبنائنا منهم!

أنت تعاملني كطفلة صغيرة، حين تحدثني لساعة كاملة عن خدش صغير في طرف وجهي، وبالوقت ذاته يستهويني أن أشعر بالنضج لدرجة أن تفاتحني بموضوع إنجاب كائن طري يقع على عاتقنا شأن بقائه على قيد الحياة، فكرة الإنجاب بحد ذاتها تبدو لذيذة ومطمئنة لمن هم في طور الحب، ومخيفة ومقلقة قليلًا لم هم في بداية الزواج! المهم أن الإنجاب فعل مشترك يسهم في بقاء الود على قيد الحياة في أسوء حالات الزواج، تلك قد تكون إحدى المواضيع الشيقة التي يتطرق لها أي اثنين يحلمان ببيت مشترك وغطاء مورد، الحب بمقدوره أن يأخذنا لأماكن بعيدة جدًا، نحتاج سنوات كي نصلها فعلياً!

أنت أريكتي المريحة وآخر رجل في هذا العالم، والمسافر الوحيد الذي يستقل الطائرة، والنازل الوحيد بذاك الفندق دون حبيبته

أنت الكف التي تسند دعائم عنقي... و آخر وجه أحب أن أراه...

أنت الشباك الذي أطل منه على العالم، والكوب المفضل لدي... وصديقي الصدوق... وصوتي الخائف، أنت جميعهم باستثناء أمي

وأبي...

وأبي

وأبي

لا ضرورة لوجود من نحبهم في حال عجزهم عن أن يكونوا آباء لنا أوقات

الوجع والضرورة!

سامر وهنادي

الرسالة العشرون

من القدس... إلى بغداد!

أتلقى دعوة على الفيس بوك من ابن عمي تشدني تعليقاته، كتاباته، أي شي يتعلق بمنشوراته ودعواته... هذا الشخص أدين له بالكثير...

الدعوة كانت: «القرآن لفجرٍ آخرْ - معرض الكتاب الدولي- يوم الجمعةِ القادم في مدينة أبو ظبي.

طال الانتظار كثيراً للقاء، بعد محاولاتٍ عديدة للحصول على هذا الكتاب.

لقاء المحبوبَيْن: أحمد خيري العمري والقرآن لفجر آخر في آن واحد ومكان واحد...! نحتاج الى هذا الحدث كثيراً في مثل هذا الوقت من الحرمان والتوهان في أعمارنا.

استشرت ابن عمي وكنت قد طلبت منه أن يرتب كل شيء لذلك اللقاء... اجتمعنا جلسة طارئة، تشاورنا بالأمر، وخرجنا بنتيجة، سنجعل الليلة التي تسبق الحدث خالصة لله... سهرةُ تأملٍ ومناجاةٍ في الطبيعة، حيث الأرض والسماء... ولا شيء غيرهما. لا بد أن نقابل هذا الشخص بعمل. وفعلاً هذا ما كان.

أعددنا عدتنا لسهرتنا، سجادة صلاتنا، وأسئلتنا...

تجردنا من ملابس غيرنا، أجهزتنا، أجسامنا، أمضينا اليل في بديع الله متأملين، ونسأله أن يلهمنا أجوبةً لأسئلتنا، وأن يهدِينا السراط المستقيم.

مضت الساعات كأنها دقائق، مشينا الطريق من عهد أبينا آدم، مروراً بسيدنا إبراهيم، وصولاً لسيدنا محمد عليهم السلام أجمعين...

بعد أن أرهقتنا أسئلتُنا، أحسسنا بالتعب... حاولنا أن نأخذ قسطاً من النوم

سامر وهنادي

ولكن كانت همومنا أكبر من أن تُغلق عليها جفوننا...

وبعد جولات وجولات، على سورة الكهف غفونا قليلاً... لأستيقظ من نومي مذعوراً على صوت ابن عمي، استيقظ؛ طلعت الشمس...!

جمعنا على عجلٍ حاجاتنا... ومشينا عائدين إلى منزلنا. كانت رؤوسنا ثقيلةً جداً، كأننا نحمل رؤوس أهلِ الحي كاملاً... كانت طريق العودة طويلة على غير العادة، رغم مرورنا بنفس الطريق، كانت همومنا تحد من حركتنا.

عدنا الى بيتنا؛ وضعت أشيائي واستلقيت على سريري طامعاً بنوم مريح، بعد ليلة للتاريخ تشبه تلك التي ناجى فيها إبراهيم ربَّه، والتي نام فيها أهل الكهف هرباً من معبودات عصرهم.

بينما ذهب ابن عمي في سبات عميق بقيت أنا أُصارع أفكاري جفوني، لم أقوَ على النوم...

بعد أن تيقنت من عدم النوم، أخرجت قلمي وكتبت شيئاً عن ليلتي...

«أعددت ما أعددت لسهرتي

سجادة صلاتي، وأسئلتي،

افترشت العشب أرضاً...

واتخذت من السماء غطاءً...

واكتفيتُ بالقمر سراجاً...

قلتُ لي: لنتوسط مساحة خضراء

فنكون أقرب ما يكون إلى السماء

أجبتني بازدراء: ما كنتُ أقبلُ بوجود ضوضاء

فلتغفر لي صلاتي نائماً رب السماء

عبدك تائهٌ وسط صحراء

حيث لا ماء هناك ولا هواء

يراقب حركة النجوم في السماء

من دون حياءٍ ولا استحياء

طلبتُ رحمتك فجراً يا إلهي

فلم يعد في العمر وقتٌ للملاهي

أراهم حولي،

من يمسك يدي ومن يمسك رجلي ومن يحمل عني رأسي

يرفعون نعشي ودفتر أسئلتي

ويمضون بسرعة،

إلى أقرب ظل شجرة

يرشفون وجهي بالماء قطرة تلو القطرة

لعلي أفيق من غيبوبتي بنظرة

أو آياتٍ من سورة البقرة...

دعوني أنام لـ (بكرة)...

لست ميتاً، بل شربت من جنة ربي فسكرت سكرةً

اتركوني أهذي وغادروني بلا رجعة...

عدت أسأل ربي عن الساعة:

«ما سر وجودي بلا دمعة...؟

وما قصة أهل الكهف في ليلة الجمعة...؟»

لململت ما كنت قد أعددت لسهرتي

سامر وهنادي

سامر وهنادي

وشربت ما لم يتبقَّ لي من وأسئلتي؛

وانتظرت الفجر ليلاً

وعدت من حيث لم آتِ»

... «هيا فلنذهب لصلاة الجمعة باكراً...»

يوقظني ابن عمي دائماً من أحلامي «قلت لكم من قبل هذا الرجل يرتب حياتي، أفكاري... الوقت عنده أهم من أمه و أبيه... لا سبيل لديه لتضييع ولو ثانية، سيستفز قلمي يوماً لأكتب عنه»

نستعد ونذهب.

كانت خطبة الجمعة بالنسبة لنا مختلفة... كانت تكمل ما قد بدأناه الليلة الماضية... كانت كل الأحداث تمهد لشيءٍ يلوح بالآفاق، شيءٌ غريبٌ هناك على وشك الحدوث... انتهينا وعدنا الى البيت، تناولنا وجبة غداءٍ مشتركة، بدأ يشغِّل أجهزته الإلكترونية، ويحسب المسافات والطرقات.

قال لي: «حتى نأخذ بكل الأسباب يجب أن نصل هناك قبل الموعد بساعتين تحسباً لأي طارئ، ليس هناك احتمالٌ إلا أن نكون هناك على الموعد. لا احتمال آخر!»

حملنا ما يلزمنا لطريقنا وانطلقنا... كان كتاب -البوصلة القرآنية- هو رفيق دربنا، خارطتنا للطريق، لكي يذكرنا بالطريق حتى لا نضل طريقنا وما جئنا من أجله.

قبل أن نصل محطة باصات أبو ظبي كلمت صديقاً لي يسكن المدينة، بناءً على تعليمات ابن عمي الوقتية ليقلنا من محطة الباصات إلى المكان المعهود.

وصلنا المحطة؛ ولم يكن صديقي قد وصل بعد، يزداد ابن عمي غيظاً، وينظر إليّ بـنظراتٍ تلومني على تأخره، يلومني حتى على تأخر غيري...

سامر وهنادي

يأتي أخيراً...

يستقبلني «أكثر من شهر بحكيلك تعال على أبو ظبي بدي شوفك بتحكيلي مش فاضي وما عندي وقت... على شان كتاب فضيت حالك... مين هاد اللي بيجي من دبي على أبو ظبي على شان كتاب!»

أراك يا صديقي تتخذ دمية من صديقك المقرب لتبوح له بأوجاعك وآلامك، خيباتك وأحلامك.

أدركت مدى حاجتك لصديقٍ تشكو له همك، يحفظ أسرارك، ويشيح بوجهه عنك عندما تبكي كي لا يراك ضعيفاً...

هيا لننطلق؛ ليس لدينا وقت لتضييعه، حملتك معي

وانطلقنا...

رأيت رجلك تهتز، رأيتك تكثر من سجائرك، موسيقاك الصاخبة، وقيادتك المجنونة لـمركبتك!

أحسست بك يا صديقي وبجميع آلامك، أحسست كم تحبني وكم تحملت الطرقات لأجلي... يا ليتك تعلم يا صديقي أني جئت أبحث عنك، جئت أبحث لك عن حلولٍ لهمومك ولحياتك... همك من جاء بي قبل همي...

ضللنا الطريق وتهنا ما يقارب الساعة باحثين عن علامة، إشارة تدلنا على العنوان. بعد أن وصلنا الى العنوان كان المكان خالياً، مكتبةٌ مغلقة ولا أحد هناك.

نحوم حول المكان كمن يطوف حول قرية مهجورة، كمن رأى ماءً في الصحراء، فحين اقترب وجده سراباً!

يضحك صديقي ساخراً: «قلتلك ما في حدا بقرأ هالأيام!»

لا أعلم لماذا تبادر إلى ذهني حياتي ونهايتي! يذكرني بالمقصد، بالعنوان، وجهتنا بالحياة، وهل هذا فعلا المكان الذي نريد!؟

سامر وهنادي

قد تمر سنين عمرنا عبثا باحثين عن وجهة. وربما عند النهاية نكتشف أنه ليس المكان الذي نريد!

لم يعد هناك عمرٌ للرجوع، أو البحث من جديد... ضاع العمر، وأضعنا عمر من وثق بنا، وضاع العنوان.

«معرض الكتاب في مكان آخر» يأتي صوت ابن عمي لينقذني من موتي الوشيك...

يبدأ بخطته البديلة، يحدد الوجهة، ويختار أقصر الطرق، وننطلق من جديد... وتهنا من جديد...

إلى أن وصلنا معرض الكتاب، لتبدأ مرحلة توهان أخرى لركن المركبة التي أقلتنا، أو ربما نحن من كنا نقلها. كل المصفات كانت محجوزة، الكل قد سبقنا إلى هناك.

قلت في نفسي: «أرأيت!! هناك من يقرأ في هذا الوقت؛ لكنني لم أتجرأ على رفع صوتي، توتر بحثه عن مصف للسيارة كان كافياً لـيرميني من الشباك، كيف لو أفتح فمي»

الساعتان اللتان أخذهما ابن عمي احتياطاً كانتا تشفعان لنا وتكسباننا مزيداً من الوقت.

وأخيراً عثرنا على موقف، ترجلنا من السيارة واتجهنا إلى أقرب مصعد، كان المصعد ممتلئاً ويفيض من ركابه. انتظرنا المصعد الآخر والثاني كان ممتلئاً أيضا...

لم يعد هناك وقت لتضييعه، توجهنا إلى الدرج، نصعد طابقاً ونهبط آخر، لكن كل الأبواب كانت تؤدي إلى الكراجات! حيث لا معرض هناك ولا كتاب.

عدت أتذكر حياتنا، ومحاولاتي للتغيير أملاً بالراحة، قد نغير مكان إقامتنا، أصدقاءنا، وظائفنا، ملابسنا، قصات شعرنا، قد نغير كل الأبواب ونوهم

سامر وهنادي

أنفسنا بالراحة، ولكن كل الطرق لا تؤدي إلى شيء...

لم تكن المشكلة بظروفنا ولا بالأشياء المحيطة بنا، كانت المشكلة فينا، بوعينا، بأنفسنا! نغير كل شيء؛ ولكن لا نفكر أن نطرق باب أنفسنا!

استعنا بـرجال بالأمن وعرفنا الطريق...

تقدمت إليك وازدادت دقات قلبي سرعةً، لمحتك من بعيد، كانت كتبك تعلوك وتحيط بك من كل جانب، سمعتك تقول: «لم تأتِ لتراني إلا من خلال كتبي وفكري، لم تأتِ لتراني لشخصي...»

أجبتك بصمتي: «والله ما عشقتُ غير الله فيك؛ وما أحببت كتابك غير أن القرآن فيه...»

انتقيت بعضاً من كتبك، واصطففنا لتوقيع الكتاب. كنت أتقدم خطوةً خطوة، وتزداد المسافة بيني وبينك تقلصاً. ازددت توتراً، ماذا تراني أخبرك في بضع ثوانٍ، وكيف سأخبرك عن كل ما يتصارع بداخلي!؟

هل سأوسعك ضرباً على ما أفسدته من حياتي، وحياةِ ابن عمي، وأصدقائي! أم سأشكرك على إنقاذك لما تبقى من أعمارهم وعمري؟!

ومع ازدياد قربي منك سمعتك تسألهم: «لمن تهدون كتبكم؟»

لمن أهديه؟ كيف لم اسأل نفسي هذا السؤال؟!

مررت بأسمائكم جميعاً، وددت لو أقدر أن أحمل لكل واحدٍ منكم نسخة... ومع آخر شخصٍ أمامي سمعتك تسأله عن اسمه!

وكيف لم أسأل نفسي هذا السؤال أيضاً؟!

ازدت توتراً أكثر فأكثر، هممت بالهرب، لكن شخصاً ما في داخلي أوقفني، وبدأ يتذكر معي أسمائي: «صلاح، صالح، مجد، سيف، محمد...»

لم نستطع أن نتفق على شخص...بحثت عن ابن عمي لينقذني، وعلى غير عادته ما رأيته؟!

مددت يدي في جيبي لأبحث عن بطاقتي الشخصية فلم أجدها!!

يباغتني العمري: «أنت سامر عبادي صح؟!»

كنت كمن فقد ذاكرته ونسي من هو، ولكي لا ينتبه أحد لجنوني،

أجيبه: «نعم، صحيح!»

العمري: «اليوم شفت تعليق منك على صفحتي الشخصية، دخلت على صفحتك وقرأت جزء من كتاباتك. عندك موهبة رائعة بالكتابة.»

أنا: «قليل مما عندك دكتور...»

العمري: «لا، إنت بتكتب أحسن مني...»

- «يعني برأيك أستمر؟»

- «طبعاً استمر ولكن ركز على القضية اللي تكتب عنها»

......

وقع الكتاب باسمي وسلّمني القضية...

حملت المشهد كله معي: العمري، وكتبه، ومعرض الكتاب... كنت أملك ظهراً قوياً.

جاءت كلماتك كشربة ماء من بعد ضياعٍ لمدة ثلاثين سنة بالصحراء. جاءت كلماتك كحبل نجاة بعد أن كانت تجرفني المياه إلى حيث لا أريد. جاءت كلماتك لتذكرني بالقضية، وضياع العمر من غير قضية. جاءت كلماتك كأم بشرت بولدٍ بعد سن الأربعين.

جاءتك القدسُ جريحةً تَستنجدُ في شقيقتها بغداد، جَمَعت بغدادُ ما تبقى لها من أوراق كُتبها وضَماداتِ جِراحها، وصَنعت مِنه جِسراً يَصلُ بَين القدسِ وبغداد.

وهم كوتار

الكتابة وطن

نشعربالإنتماء الفطري اتجاهه، ونسعد جدًا حين يمجد أحدهم وطننا، حين يرفع له التحية، ويثني عليه، نحن دائمًا بحاجة لإطراء ما، لمدح، لطبطبة، كي نستمر، كي نتجاوز، كي نصعد، ثم نحلق!

التحليق هذه المرة كان باتجاهين، الأول باتجاهي أنا «قدوم مفاجئ غير مسبق التجهيز والإنذار، والثاني بشأن كم الحروف الهائل المحشوة في دماغ كل واحد منا! حان الوقت كي نحتسي كوب قهوة مشترك ونرتب بنات أفكارنا على الطاولة، نقبلها، نبدلها، نضيف عليها، ونستنغني عن جزء منها.

كان وجهه يفيض بالضحكات، وفمه ممتلئ بالجمل التامة، وعيناه تتحرك بشكل هستيري وكأنها تبحث عن أي كلمة هاربة هنا أو هناك، كان قويًا أكثر من أي وقت مضى في حياته، هذا ما يحصل لنا فعلًا حين نعمل لأجل الغاية التي خلقنا من أجلها، الكتابة!

بالفعل... الكتابة! نحن هنا كي نكتب، وبقية الأشياء تحصيل حاصل. فقط كي نكتب! ما الحاجة للطعام والشراب والكساء مادامت الحروف تمنحنا كل ذلك بأقل تكلفة وبأكبر كمية من الجمال والراحة! المعادلة بسيطة جدًا

نكتب كي نعيش، كي نُحب، وكي نحفظ رفاتنا من التحلل والتعفن والضياع!

لم نصل هنا إلا بعد أن جف لعاب كلينا من إغلاق مغلفات الرسائل، وتورم كعبي قدمينا من السير في الطرق المؤدية للاشيء، لم نصل هكذا، كلفنا الأمر الكثير من التفكير والتعب و وعدد لا يحصى أو يعد من الركعات والابتهالات والأحاديث الربانية المشتركة بالرغم من بعد المسافة؛ إلا أنه كان يكفينا أن نكون تحت سماء واحدة كي نمتلك كل اليقين أن الله يسمع كل واحد منا على حدة و بتركيز ممعن! اللحظة التي لاتشبه أي شيء في الحياة، هي لحظة تحول الرسائل المكتوبة لعبارات شفوية مباشرة نتبادلها

معًا كأي طرفين على وجه الأرض، دون الحاجة لخطوط سلكية و لاسلكية وموجات كهرومغناطيسية وأجهزه إلكترونية متعدده ومعقدة.

لوهلة بدا العالم وكأنه يحتوى على مقعد خشبي واحد فقط، نجلس عليه أنا و أنت، ولا أحد سوانا، نحدق ببعضنا حتى يكاد أحدنا يأكل قطعة من وجه الآخر! لهذا الحد شهي أن نلمح تفاصيل من نحب من مسافة قريبة؟ دون الحاجة لأن نخضع الذاكرة لعميات تخيل جبري؟

العودة لـلوطن مبهجة، العودة لأجل فتاة في الوطن تضاعف نبضات القلب من الدهشة والفرح

العودة بحد ذاتها مصطلح يبعث على التفاؤل

أنت الان تقترب، تقترب... أنت البطل الوحيد الذي يصعد على خشبة عالمي الآن، مثل طفل صغير أنتظر، أنتظ، أجلس قرفصاء على عتبة الباب... ستكون هنا، كي نكتب... أو كي نحب بعضنا أكثر.

سيء أن نفصل مصطلح الكتابة عن الحب لأنهما كلمة واحدة

أراهن على أنه ليس ثمة كاتب لم يحب! من بمقدوره أن يرتكب فعل الكتابة دون شريك؟ الجرائم المدهشة تحتاج لشريك دومًا

أنت النافذة التي تفتح قلبي على اللون الأزرق، ومصباح عتمتي

أنا أنتظر كـنادلة مطعم، إشارة إصبع أو إيماءة بطرف العين

أنتظر أن تكون أنت زبوني الوحيد...

أجمل ما يمكن أن يحصل بدواخلنا هو ما لا نستطيع نحن فهمه

لكن حتمًا يمكن للآخرين فعل ذلك بمجرد النظر لملامحنا وطقطقة أصابعنا

أنت تقترب مرة أخرى!

اقترب أكثر وسأحيطك بالدعاء حتى يجف لساني أيضًا مرة أخرى

سامر وهنادي

سامر وهنادي

أنا الآن في المحاضرة الأخيرة ما قبل نفاذ صبري

وجه المدرسة يبدو كأنه خارطة العالم، أحاول أن أجدك في أي مدينة... لا أسمع أي صوت هنا سوى دقات قلبي!

الآن عليهم جميعا أن يصمتوا ويترجلوا! فقط أنت، أنت يجب أن تجلس على قمة العالم بقربي!

الساعة 4:00 بتوقيت عمان! تغيرت ملامح العالم للأجمل، ودبت الحياة في كل الأشياء التي كانت على وشك أن تموت

لم تعد وهم... لأنك هنا...

سامر وهنادي

سامر وهنادي

الرسالة الاخيرة......

لا بد أن ننتهي كما بدأنا يومًا كما كل الأشياء في هذا الكون تسير بقدر معلوم إلى نهاية حتمية نحن نشكلها ونرسمها بأيدينا كما نشكل من الصلصال تحفتنا الجميلة، وكما كل نهاية تعلن بداية جديدة أكتب لك رسالتي الاخيرة لأعلن لك عن بدايتي معك، ولأكمل مرحلة ما بعد العشرين رسالة، مخطؤون جدًا من يعتقدون أن الأرقام يمكن أن تحدد وجهاتنا وعلاقاتنا فما الأرقام إلا بداية، وما بعد الرقم الأخير أرقام لا تحصى ولا تعد... فأرجوكِ، لا تجعلي الأرقام محور حديث كما فعلنا بسورة الكهف فأضعنا مشروعنا! الاستمرارية تعطي أرواحنا مجالًا أوسع لتسبح فيه وتحلق، ومن منا لا يريد أن يسبح ويطير ألى أبعد مكان وزمان؟!

أن أصلك قبل موعد وصول رسالتي... هذا شيء يدهشني أنا قبل أن يدهشكِ، وربما تتساءلين ما الذي يدفع رجلًا مثلي أن يترك كل ما يملك ويستقل أول طائرة عائدًا لوطنه... أنا على علم أنك قد أدركت مع كل رسالة بشكل يسمح لك أن تعي أنك قد ولدت من جديد كما ولدت أنا... فمن المنصف أن نشرب من كوب واحد.

لماذا أكتب لك رسالتي الورقية الأخيرة في الوقت الذي أستطيع فيه إخبارك بشكل شخصي. أنا أكتب لمن ستقع رسائلي بين يديه يومًا ربما بعد أن تصبح عظامنا ولحمنا ترابًا، تتغذى عليه النباتات لتكمل دورتها الحياتية التي لطالما تغذينا عليها لنكمل مرحلة نمونا، الحياة عادلة بما يكفي لتمنحنا الطمأنينة، ومن باب العدل أيضًا أن أحظى بك بعد ما شكلتك ورسمتك بالطريقة التي تناسبني أنا أيضًا، أكتب لك لأخبرك أننا سنقرأ هذه الرسالة معًا ونحن جالسين على مقعد خشبي معتق.

سامر وهنادي

سامر وهنادي

ما بعد الرسائل
تعريفات جديدة

عزيزي القارئ، إن وصلت إلى هذه الرسالة فاعلم أنك لا تقرأ قصة عشق بين شخصين تبادلا معسول الكلام بين قطبين في هذا العالم، إن كنت ما تزال تملك الشغف لتكمل فاعلم أنك تقرأ قصتك أنت وحلمك أنت ومستقبلك أنت ومشروعك أنت...

أعد تشغيل دماغك بطريقة تسمح لك أن ترسم مستقبلك، أنت تملك القدرة على ذلك صدقني! لا تترك أمواج البحار تلطمك يمينًا وشمالًا و أنت لا حول لك في ذلك. تقدم لتمسك دفة القيادة وامشِ في عرض البحار ضاربًا كل الأمواج أمامك و اذهب إلى حيث تريد أنت أن تكون.... ولكن لكي تفعل ذلك من المنطق أن تتعلم ما ينفعك عن أسرار البحار، و أن لا تكتفي بما سيخبرونك، بل لا بد أن تضيف إلى معرفتك ما سيساعدك في الوصول إلى وجهتك، هذا ما أردت إخبارك به في رسائلي وأرجوك مرة أخرى أن لا تكتفي برسائلي، فأنا علمتك قوانين اللعبة ولكن من سيلعب فهو أنت! أنت من سيحدد فوزك أو خسارتك... إلمامك بقوانين اللعبة سيساعدك بكل تأكيد...، ولكن من سيحصد النتائج فهو أنت!!

من منا لا يتصبب عرقًا ولا يخفق قلبه أضعافًا منتظرًا النهاية؟ ما فائدة الليالي والأوراق و حبر الأقلام؟ ما فائدة كل شيء إن كنا لا نصل لنهاية... فالنتيجة بكل تأكيد هي الدليل والبرهان القاطع على صدق أفعالنا وأفكارنا.... عدت لك لأكتب لك النهاية ولكن أمثالي وأمثالك لن يكتفوا بالنهاية كما يفعل أصحاب السينما...، ما بعد النهاية هو ما يتوق الناس لسماعه.

الحياة كانت تسير بسرعة، الأيام، الشهور، السنين، كنت خائفاً أن أحتفل

سامر وهنادي

بكعكة تحمل ٦٠ شمعة في بضعة أيام، السرعة كانت تقتلني. لماذا تقودنا الأيام بهذه السرعة؟!! هل تسعى لحتفنا؟! ولماذا هذا الكم من الحقد يحمله الوقت على بني البشر؟! أهو يعاقبنا؟! منذ جئتِ، لا ادري كيف ولا متى تحديداً، ولكن منذ اللحظة التي دخلت مركبتك على طريقي وتقدمت مركبتي لتجبرني على تخفيف السرعة، إحساسي بالوقت اختلف كلياً، تعريفات جديدة للساعة واليوم دخلت قاموسي.

بين مئات المسافرين الحكايات تتعدد, من يمسك كتابًا, من يأكل, من ينام, من يتحدث, من يتسوق, من ينفث السجائر, من يلعب بهاتفه المحمول... كل شخص يعبر عن أسلوب حياته, السفر كما الموت, أنت تغادر مكانًا إلى مكان آخر, ربما لا تعود لنفس المكان. الملامح من حولي تحكي قصصًا لم تحكى , رجل يعض أصابعه ندمًا على وداع تخلف عنه ربما , ورجل آخر يستشيط غضبًا ربما تحدث بكلام لا يقال عند السفر, و آخر يتفقد هاتفه المحمول كل لحظة , ربما ينتظر مكالمة وداع من حبيبة , أشياء أخرى لا تقال في حضرة السفر. غريبون جدًا نحن بنو البشر وأغبياء جدًا لكي لا ندرك أن اللحظات لا تتكرر, و أن الحياة لا تعطينا فرصة أخرى لنقول ما وجب أن يقال!

وعدتك يومًا أن أكتب عنك بقلم مختلف, وبحبر من ألوان مختلفة , وأحرف لم بقلها أحد من قبل , وكلمات لم تكتب, ولكن اعذريني يا صغيرتي فكل شيء في هذا العالم بات مستهلكاً , لم أجد شيئاً لا يشبه غيره إلا أنتِ, ولأنني حريص على تفردك كتبت لك بأحرف عادية.

اليوم أحمل قلمًا عاديًا أيضًا , هو هدية من صديق حصل عليه بالمجان , و رقاقات ورق من دفتر يوزع بالمجان أيضًا كدعاية لإحدى شركات التواصل بالأسلاك , وحروفي رقيقة جدًا كجدران قلبك عندما تحنو علي , لا شيء مختلف!

ولكن على ارتفاع 38006 قدم حملت قلمي وكتبت, البعد الآخر,

سامر وهنادي

المكان(السماء)... لا أحد سيفهم أهمية المكان الذي نكتب فيه غيرك. أكتب لك و أنا فوق الغيوم , كل شيء أبيض كقلبك ,لا ضجيج للبشر, ولا قيود للبشر, أشعر بالحرية و أني ممتلئ بك, فأنا أكتب بقوانين السماء.

هنا على ظهر هذه الغيمة كانت أرواحنا تتسامر, أرى اسمينا منقوشين على كتفها الأيمن بالتحديد وعلى هذه الغيمة كنا نستلقي وننظر إلى السماء, وعلى هذه الغيمات كنا نتدحرج. أحبك بحجم هذه السماء التي لا تعرف حدودًا.

يا رب أنا أعلم أنك لا تنظر إلى المسافات فأنت في كل مكان، ولكن يا رب أنا الآن أقرب إليك , يا رب، أنت تسمع صوت قلبي ونبض شرياني, يا رب جئتك إلى هنا, إلى سمائك الدنيا لأطلب العفو, يا رب اعفُ عني بأن أكرمني بها.

يارب أنا ما أحببت بها إلا أنت, وما تعلقت بها بل تعلقت بك. يا رب جئتك من الأرض لأدعوك في السماء. أرجوك يا الله... لا تحاسبني بقوانين الأرض فأنا مذنب جدًا, أرجوك يا الله عاملنا بقوانين السماء, عاملنا برحمتك. أستودعك قلبي، وعقلي. يا رب هي نصف القلب ونصف العقل فكيف أحيا بنصف قلب ونصف عقل وأنت ما خلقتنا إلا كاملين مكرمين؟

لا تكتمل قلوبنا إلا بقلوب من نحب، ولا تكتمل عقولنا إلا بعقول من أحببناهم.... يا رب أسعى للكمال الذي فطرتنا عليه فكمِّلني بها...

يا رب دعوتك 20سنة! لم أكل ولم أمل من رفع يداي إلى سمائك، ليلاً ونهاراً. تساءلت دائماً لماذا رزقك لم يأتِ! تمردت على صفتي الآدمية وتجرأت وسألتك في ليلة قدرية ما بال شريكة الحياة لا تأتي وقد مضى ما مضى من العمر! هل سألتقيها في السماء؟! لماذا خلقنا على الأرض إذًا!؟ لم أعلم أنك منذ أول يوم دعوتك فيه، زرعتها في رحم يشبه وجه السماء، جملتها بالحركات والسكون... ونقحتها من شوائب البشر وتركت فيها القليل منهم... لأعلم أني ما زلت أمشي على الأرض. جمعت فيها كل صفة طلبتها

منك وجملتها بأخريات من كرمك، سبحانك إن أكرمت أدهشت!! جعلت فيها من حضن أمي الذي أخذت منه الغربة النصف و أكثر، و أختي التي لم تنجبها أمي، و ابنتي التي تمنيتها سراً. وزدت عليها بأحرف من علمك، لم أعلم لجهلي أنك خلقتِ نطفة مع أول دعاء وكبرتِ مع كل صلاة، وازددتِ حكمة مع كل حرف قرأته لله.... يا لجهلنا! «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا»

ليل وفجر ونهار،ثلاثة كلمات فقط متسلسلة

المسافة المقطوعة؛ يوم واحد فقط... ما يبعدك عن مشوار سنين، كل شيء منتظر يمكن أن يحدث في يوم واحد...!

الآن بت أعلم جيداً كيف يمكن للعلاقات أن تنجح، وللأحلام أن تحقق! ما تحتاجه بسيط جداً ونادر جداً. تحتاج فقط من يشاركك طقوس الجنون، هذا يعني ضمنياً أن تتصف أنت بصفة الجنون كذلك.

ولكن من أعطى للمسميات تعريفاً!؟

الجنون عندك قد يكون عقلًا بمستوى معين عند غيرك... والعكس كذلك.

يوم واحد فقط وشريك واحد فقط، هذا كل ما تحتاج لتختبر الحياة.

أشفق عليكم جميعاً (بصفة المضارع) إن لم تستفتوا قلوبكم.

تذكر دائماً التسلسل مهم جداً(ليل، وفجر، ونهار)

شكراً لمن يمنحونا الفرصة لنسعدهم.

دعيني أعترف لكِ في هذا الصباح أنني استيقظت وقد أثرتِ في الكثير! ربما لأن ما تبادلناه آخر ذيول الليل كانت صلاة... كيف لي أن أصحو بهذا الكم من السعادة؟! أهي الصلاة؟! أهو الحب؟! وهل على كوكبٍ زمردي سنعجز عن التفريق بين كلمتين (صلاة و حب)؟!

كيف لكم أن تواجهو صباحاتكم من غير صلاة - أقصد من غير حب؟!!

ربما ما زلتم نيامًا! إن وصلكم كلامي هذا وكنتم تحسبون أنفسكم على قيد الاستيقاظ وفي قمة نشاطكم تعتلون كراسي عملكم، أرجوكم عودوا إلى بيوتكم ركضاً، مسرعين،....

لا بأس من تحطيم قوانين السير في هذه الساعة، أفضل من تحطيم حياتكم جميعها. عودوا بلهفة، اتركوا باب البيت مفتوحاً لا ضير في ذلك! فقد تركتم أبواب حياتكم تُسرق منذ سنين! اركضوا و اصعدوا إلى غرف نومكم، خُرّوا على ركبكم بجانب السرير، تحسسوا ذلك النائم، تأملوه جيداً، كم من السنين لبث هنا؟! كم من السنين داخل هذه الغيبوبة؟! ألا تبدو عليه علامات الشيخوخة؟!! تحسسوا ملامحكم وأنتم تتأملونه، نعم يشبهكم كثيراً...!

هذا أنت! لا تستغرب نعم أنت! أنت من ينام هنا!

أيقظ نفسك قبل فوات الأوان، بالتأكيد لن توقظك ساعة المنبه ولا رشات من مياه معدنية، ولا...... أيقظ نفسك بصلاة (أقصد بحب) وابدأ يومك...

يومي الأول هنا على متن الأرض التي تجمعني بها لأول مرة بعد غياب أوهن كلينا، كيف بمقدوري أن أحمل ملامح وجهك بعد كل المسافات التي أصابت قلبي؟ لكني على يقين أن كل شيء سينتهي ويبدأ من جديد بمجرد أن يلوح وجهي باتجاهك من بعيد!

كان هذا اللقاء أشبه بإذن لدخول فصل الربيع لجسدي، بعد سنوات عجاف.

سامر وهنادي

سامر وهنادي

وهم كوتار

أصبح العالم مكانا أفضل

جئت من آخر الشارع كما النور الذي يثري هشاشة الروح بعد إدمان الظلام، جئت بطريقة سنحت لرئتي أن تضاعف جرعتها المعتادة من الأكسجين، ازداد مقدار ابتسامتي سانتيين على الأقل وانحنى رأسي للأسفل!

الآن انتهيت من كل شيء في الحياة وجلست على حافة البلكونة أنتظر أن تمر طائرته من سماء مدينتنا الصغيرة لعلي ألوح لها بقلبي!

مساء اليوم التالي كان اللقاء أشبه بإجراءات دخول مريض للمشفى، جسدي الضعيف يخذلني دائمًا ويفسد لذة الموقف، كان يجلس على الدرجة رقم 3، يحمل بإحدى يديه كتابًا، يحدق به بتوتر و نَهَم، لا أدري إن كان لمحني فأخفى نفسه بين صفحتين عشوائيتين تفادياً لأي خجل طارئ... أم أن ذلك لم يحصل؛ المهم... اقتربت بهدوء ونقرت على كتفه بسبابتي، ثم اختفت ملامحي وصوتي وقلبي في جيب قميصه!

ارتجف جسدي وكأني أقف على حافة العالم، تغير لوني تمامًا وبدأت أتعلم اللفظ من جديد

ثم انهمرت دموعي كأن أحدهم زحزح صخرة كبيرة من فوهة نهر، من المتفرض أن يكون لقاؤك هذا حميمي ولطيف أكثر، بالنسبة لي كان وعكةً صحية! مبررها الوحيد أنني مريضة بك، أنا من ذلك الصنف النادر الذي يتعبه الفرح ويأخذ حصته من أجسادهم!

انقضى الأمر وكأنه مقابلة الدخول للجنة!

اللحظات الجميلة لا يمكن أن يتم وصفها أبدًا وإن حصل ذلك فهي لم تكن جميلة بالقدر الكافي، الجمال هو صفة غير قابلة للشرح أبدًا! كل شيء كان جميلًا ولذيذًا جدًا، حتى هداياك الغريبة وصحن البطاطا، رائحة المكان

سامر وهنادي

وكرسي الطاولة، ويديك! كل شيء...

صوت النادل كان أشبه بمعزوفة موسيقية وأطباق الطعام بدت وردية وذهبية... الشبابيك مطلة على نهر فاض من قلبي، وأنت الرجل الوحيد فقط الموجود هنا... كل الباقين لعبًا خشبية تهتز وتصدر طقطقة! أنت فقط كان بإمكانك أن تملأ المكان كله...

كم من القوة نحتاج كي نحدق، بعيون الشخص الذي نتمنى أن نتزوجه، خمس ثواني فقط؟

سوف يبقى الحب هو الشيء الوحيد الذي يجعل منا أشخاصًا جيدين لأسباب مختلفة، أبسطها أن لا نخيب ظن من يحبوننا بصدق! عندما أحببتك، شَعرت أنك الخيار الصائب، قطعة الـ puzzle التي تكتمل بها اللعبة، الحلقة الأخيرة، المشهد النهائي، آخر صفحة في الروآية...

هذا الحُب عقلاني ومُتزن، الفضل لـنُضجك وتجاربكَ العميقه بـِكل شيء، وثقافتك الدَسمة كما أيضاً لجنوني وعاطفتي وتقبلي للأمور أهمية أخرى... يروق أمي بشكل كبير هذا الرجل، ويروق حياتي أنا بشكل أكبر!

...

سُمي (قلب) لأنه يتقلب، يتقلب و يمر بألف ألف حب، شخص، قصة، تجربة، ظرف، مشكلة، إلى أن يجد الخيار الصحيح والملائم... إذن (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك وعلى حُبهِ يارب)... لطالما تمنيت من الله حَياة سعيدة، فأنا (أريدُ قَلباً طيباً لا حَشو بُندقية)

الصدق المنبعث من عينيه كان يكفيني كي أصبح من الآن لنهاية عمري الرقمي أفضل فتاة في العالم، لا يحق لنا أن نسيء بحق أولئك الذين يفعلون أي شيء ليحصلوا على ابتسامة منا، لا يحق لنا أبدًا أن نسيء لهذا الحب بأي شكل كان...

لا أحد يستطيع أن يفهم تمامًا الحالة اللتي يعيشها أي حبيبين على وجه

سامر وهنادي

الأرض، لأن كيمياء الحب محصورة في عنصر ثنائي الإنشطار... هو وهي فقط!

أحدق بالكيبورد والمشاهد تمر من أمامي بسرعة خاطفة، مشاهد ملونة ولها أصوات، هكذا تحفظ أجمل اللحظات في الذاكرة، حاشاها أن تكون عابرة ومجردة، كيف يمكن لأحدهم أن يكون لطيفًا لهذا الحد، وذكيًا بهذه الطريقة؟ مسألة تخمين قياس فتاة بالنسبة للجنس الذكري تشبه غزو العالم! كيف نجحت بذلك؟ الألوان... المقاس، التفاصيل... الزخارف، كل الأشياء تقول أنني كنت معك حين ابتعت كل هذه الأشياء لأجلي... شكرًا لله وللطائرة اللذان حملاك من قاع العالم كي يسكناك قاع قلبي.

سامر وهنادي

اليوم المنتظر

الآن وبعد عمر طويل... القطار يمشي إلى الأمام واتجاه مقعدي إلى الأمام أيضًا، الرؤية جميلة بلا شك حين تعانق القادم بلهفة، يخترقك الحاضر بأصغر أجزائك، يملأك أملاً ويمضي بك إلى المستقبل الذي تراه بعينيك الآن، وضع الكرسي لا يسمح لك أن ترى ما مضى... ليس الكرسي فقط؛ بل أنت لم تعد تغريك روائح الماضي، والمسافة بينك وبين الماضي ازدادت كلما اقتربت أكثر من المستقبل، كان لا بد من قدومكِ في هذا الوقت من العمر بالذات، في هذه المحطة، في هذا القطار، وفي هذه المقطورة، على هذا الكرسي، جئتِ لتحركي الكرسي ١٨٠ درجة. حركة بسيطة جداً قد تبدو لكم، ولكن الفرق كما نوهت كبيرٌ جداً! فرق شاسع بين أن تعيش مستقبلك وأنت عالق بالماضي، وبين أن تعيش حاضرك وتترقب بشغف مستقبلك فتزداد المسافة بينك وبين الماضي... في كل مرة أصبح بها ماضٍ أكثر مما سبق.

قبل اختيار مستلزمات اليوم المنتظر (الفستان، والورد، والصالة، و و و)، كانت وجهتنا الأولى مكتبة رابضة على الرصيف قبل أن يولد التاريخ! من غيرك ستفضل الكتب على أي شيء آخر؟

لا يمكن أن تكوني امرأة عادية من لحم ودم. خُلقتِ من طين بلا شك، ولكن هل فكر أحدكم أن الطين يمكن أن يتحول إلى كلمات! ليس بالضرورة أن يتحول إلى لحم ودم في طور واحد! ألقيت نظرة ثاقبة على رفوف المكتبة، كان الوقت نهاراً والكتب كما المنصة تبدو بريئة بوقفتها المسنودة، داعب مخيلتي شعور يتضمن عدم براءتهم منك! لا بد أن ما حدث كان ليلاً! فكرة وجودك على هذه الهيئة صدفة لا تدخل عقل رجل منطقي مثلي!

انتظرت الليل، أعطيت القمر ظهري واختبأتُ خلف ستار قاتم. عدت بالزمن إلى الوراء حيث البداية، نشأة الخلق الثاني، المرحلة التي تلي مرحلة الطين، انتظرت حتى اكتمل الليل، بالتأكيد لا يمكن أن تخلقي قبل اكتمال أي شيء، قبل أن يُصبح الطين طيناً كلياً. الوقت والزمن في هذه اللحظة كان كافياً لأمعن النظر في مكتبتي، الساعة تشير إلى ما بعد الـ ١٢ ليلاً، لأن الجرائم غالباً والجرائم الكبيرة بتأثيرها خاصة تُرتكب ما بعد هذا التوقيت بالذات. كانت بدايتك جريمة أنا على يقين من ذلك، لو لم يكن كذلك لما خلقتِ ليلاً! بدأت الكتب على الرفوف العلوية تهتز وتزداد اهتزازاً بشكل جنوني، كمن يعاني من حالة صرع، بالتدريج انتقلت عدوى الصرع إلى الرفوف السفلية، لحظات قليلة حتى أصبحت المكتبة بكتبها تنتفض، دامت هذه الهستيريا لحظات. وبشكل غير مألوف بالنسبة لي بدأت أشياء منيرةً تشبه الحروف والكلمات تخرج من تلك الكتب، ولكن زاوية الرؤية، حالتي الذهنية والمسافة لا تساعد على فهم ما يحدث، بالطبع لن نفهم رواية من صفحة واحدة. ما أحتاجه الآن، أن أتمالك نفسي حتى لا أصاب بالجنون.

خَرجت نصوص من تلك الكتب، كل كتاب انسلخ عنه نص أو نصين أو أكثر، وكتب أخرى تبرعت بنص واحد، و أخرى كانت أكثر كرماً فتبرعت بصفحات. تجمعت هذه النصوص واصطفت بشكل منتظم واتجهت نحو طاولة تتوسط الغرفة. على سطح الطاولة كتاب يحمل صفحات بيض، فُتِح الكتاب والصفحات البيض بدأت تتقلب والنصوص النورانية القادمة من تلك الكتب بدأت تلتصق بالصفحات، واستمرت العملية حتى اكتملت آخر صفحة من الكتاب مع آخر عبارة. انتهت الحكاية وانتظرت طلوع الشمس مختبئاً، ركضت نحو الطاولة وفتحت ذلك الكتاب، الغريب أنه كان يحمل اسمك، والأغرب، أن نصوصي المفضلة من كل كتاب قرأته طوال حياتي تجمعت على شكل كتاب واحد!! الآن! عدتُ لعصري ووعيي ولمرحلة اللحم والدم... أنتِ كنتِ كتابًا! كتابي

سامر وهنادي

المفضل، وفي عصر آخر ما زلت أجهله حتى الآن تحولتِ من كتاب إلى هيئتك الحالية، مهما أخفيتم عني ذلك فما زلت ذكياً بما يكفي لألحظ بعض علامات الترقيم التي تحتل جسدها...

ابتاعت تذكرة وبعضًا من البوشار والكولا وتوسطت كرسيًا وسط القاعة المظلمة لتبدو الرؤية لها أوضح. وضعت بعض البوشار في فمها وأخذت تأكل بشراهة وتلحق يدها بجرعات ببسي، تساقطت بعض حبات البوشار من فمها و ازدادت جرعات البسي كلما تقدم بطل الفيلم وأوسع خصمه ضرباً، كل هذا حدث وعيناها متسعتان وتحدقان بلا رمش، خديها، شفتيها،.... كل أجزائها تحكي قصة هذا البطل الخارق... لو أتيحت لكم الفرصة وجلستم على كرسي بشكل عكسي بحيث لا تشاهد الفلم، فقط تشاهد تفاعلها مع البطل، بالتأكيد ستصيبك كل الدهشة وأخواتها... وترتسم في مخيلتك صورة أسطورية لهذا البطل.

نعود للمشهد، ما زالت تتفاعل وصيحات التشجيع لفتت انتباهي فتركت سيفي الخشبي وطلبت من جلادي أن يمهلني بعضاً من الوقت لألفظ أنفاسي، خرجت من المشهد كلياً وترجلت على منصة العرض أشعلت الكهرباء ونظرت حولي،... لا أحد في قاعة السينما! لا أحد سواها!

نعم أنا من كان بطل فيلمها، لم أكن بطلاً كما تخيلتم، كنت أنا من يأكل الضرب، ولم يكن فيلمي ناجحًا فلم يبتاع أحد تذكرة فلمي غيرها.

ما زالت هناك قلوب تصر أن تعاملنا كأبطال خارقين وتتفاعل معنا بشخصيتنا البطولية رغم آدميتنا!

عندما تحمل قطعة نقود بين أصابعك وتقلب وجهيها مرارًا، أنت تمارس هذا التصرف دون وعي منك لماذا تفعل ذلك, وما الذي يشدك بالوجهين؟ هما وجهان مختلفان بكل تأكيد ولكن تجمع اختلافهما يشكل قطعة نقود واحدة من نفس الفئة بحيث لا يمكن أن يكون وجه من فئة العشرة والوجه الآخر من فئة العشرين مثلًا.

سامر وهنادي

شريك حياتك، هو وجهك الآخر الذي يكملك، هو لا يشبهك كما لم يتشابه وجهي العملة، ولكن هو يكملك لتشكلا معًا عملة طيبة أو عملة خبيثة.

لكل الذين يتساءلون عن المدة الزمنية لتعارفنا (أنا وهي) والأغلب ربما يتساءل لماذا تم تجاهل ذكر ذلك مسبقاً... نحن عادة نلتزم الصمت تجاه الأسئلة التي تتعلق بالأرقام، ثقافة الترقيم منتشرة بشكل كبير جدًا في مجتمعاتنا، وبات تقييم الأشخاص والعلاقات يتم على أساسها! مثلُا الاسئلة الدارجة: كم عمرك؟ كم معك؟ كم لديك سنوات خبرة؟ كم مضى على زواجك؟ كم عدد أبنائك؟...... لاحظوا أننا في كل سؤال نحجم الأشخاص وما يترتب على الأشخاص، بلغة أخرى يتم تعريفك وتحجيمك بعدد سنوات خبرتك، بكم معك، بعدد أطفالك، بسنوات زواجك،....وهكذا.

لاحظوا أيضاً أن أرتباط الترقيم بالأشياء والأشخاص يرسم في أذهاننا أبعاد محددة للأشياء، لتقريب المعنى بشكل أوضح... نأخذ مثالًا سنوات الخبرة، عندما يتم تقييمك على عدد سنوات خبرتك، في هذه الحالة سوف يتم تحجيمك، ورسم أبعادك أي بدايتك ونهايتك، أصبحت كصندوق ورقي واضح المعالم والقياسات، في المنطق الآخر لو تم تقييمك على كفاءتك من غير سنوات الخبرة، بهذه الحالة لم يتم تحجيمك ولا رسم لأبعادك، بل تم إعطاؤك كل الحق في أن تتنشر بقدر ما تشاء، غير معروف من أين بدأت ولا متى ستنتهي، ما علاقة هذا بعلاقتي أنا و هي؟!

الحب شعور فطري مستمد من الله، الله واحد رقم، ولكن هذا الرقم مجرد بِـحيث لا قبله ولا بعده , إذًا الله رقم واحد غير منتهٍ، لا بداية ولا نهاية، لذلك عندما تسأل نفسك منذ متى تحب الله؟ لا يخطر في بالك رقم محدد! وعندما تسأل، متى سأتوقف عن حب الله؟ كذلك لا تذكر أرقامًا، لأن الصورة المتشكلة في ذهنك عن الله غير محددة، مالانهاية، لذلك، الأشخاص الذين بحبون الله يداومون على حبه ولا يتوقفون رغم طول السنين (والأهم أن المثال ضُرب بقصد التوضيح لا التشبيه، سبحانه جل وتعالى عن كل شيء وله المثل الأعلى)

سامر وهنادي

و تنطبق هذه الرؤية على الأشياء المستمدة من الله أيضًا، كالحب مثلًا! فالله يكرم عباده بأن يهبهم من حبه على هيئة أشخاص ليدوم هذا الحب، ولكن ما يحدث أن هذا الحب في كثير من الأحيان يأفل ويموت! ولكن كيف يحدث ذلك وهو مستمد من الحي الذي لا يموت؟!!

ما يحدث أننا نحجم هذا الحب؛ نربط حبنا بالبدايات، كأول موعد تعارف، تاريخ عقد القران، يوم ميلاد الحبيب،... كلها بدايات! ونحن ندرك بلا وعينا أن كل شيء له بداية بالتأكيد سيكون له نهاية! هذا ربما يفسر الكثير من حالات عدم استمرار الحب، فنجد كثيرًا من العلاقات تنتهي قبل الزواج و أخرى بعد الزواج، وغيرها بعد سنوات عديدة،.... في كل الحالات هناك نهاية كما كان هناك بداية. السبب الآخر والأهم في فشل مثل تلك العلاقات أننا لا نربطها بالشيء الذي لا يبدأ ولا ينتهي؛ لانتربطها بالله وهي في الاصل مستمدة من الله!

انتبهوا جيداً، لقد أخبرتكم أن الحب شعور فطري، لاحظوا أن أدمغتنا برغم تراكم الطبقات عليها في لحظات معينة تعمل بفطرتها السليمة التي فطرها الله عليها. عندما يسألك حبيبك كم تحبني؟ فنحن نبحث عن الأشياء اللامحدوة (السماء، النجوم، البحر،....) برغم محدوديتها، ندرك جيدًا أن الحب لا محدود ولكن نتصرف بتناقض تام لفطرتنا فنُرضخ الحب للأرقام والتحجيم فيموت ونموت معه.

وهذا ما يجعلنا (أنا وهي) عاجزين عن وضع رقم يحصر الفترة التي بدأنا نشعر فيها أن أدمغتنا وقلوبنا تضخمت و ازداد مقدار مجهودها اليومي! حتى أوشكنا أن نخرج من إطار الدائرة ونتبادل في ليلة قَدرية (ركعتي صلاة وكلمة حب).

نظرت من نافذة الباص بعد أن توقف على إشارة مرور...

نظرت بشراهة! ربما لأننا في دواخلنا نوقن أن الإشارة ستتحول إلى اللون الأخضر في أي وقت، فقد وصلنا الإشارة وكانت حمراء. لم نصل من بداية

سامر وهنادي

تحولها لكي نعلم كم يبقى من الوقت كي تخضرّ، فلو راقبنا سلوكنا في لحظة التوقف هذه لأدركنا إحساسنا بالوقت والحياة؛ فنجول ببصرنا كل الإتجاهات باحثين عن أكبر عدد ممكن من المشاهدات، إحساسنا بدنو التحول إلى اللون الأخضر وعدم معرفتنا لوقت التحول تحديداً هو دافعنا للنظر بتلك الطريقة.

غريبة جداً تصرفاتنا! فنحن نطبق فلسفة الحياة على أجزائها الصغيرة، ونغفل عن تطبيقها على الحياة نفسها؛ فقد جئنا إلى الحياة وكانت حمراء(لم نأتِ منذ بدايتها) وستخضر الحياة في أي وقت وتذهب بنا لمحطة أخرى (حياة أخرى)... ولكن رغم ذلك، و رغم وعينا لذلك فنحن لا نستغل لحظات حياتنا لننهل من جميع مشاهد الحياة، نبقى في السطح ونمكث فيه!!

المهم! ليس هذا ما وددت إخباركم به، من ضمن المشاهد التي استوقفتني في لحظة التوقف تلك؛ سيجارتان محترقتان يحتلان حيزاً من مكبٍّ للسجائر على جانب الطريق! بالتأكيد لا يمكن أن أشاهد هذا المشهد من شباك حافلة لو لم تكن الإشارة في ذلك الوقت حمراء.

تخيلت حياة السجائر قبل المحرقة! بالتأكيد كانت تتشارك مع ٢٠ سيجارة أخرى منصة ما في سوبرماركت ما.

ذكرتني كثيراً بعلاقاتنا نحن البشر كيف نحاط بأكبر عدد من السجائر (الأشخاص) في الوقت الذي نكون فيه بمناصبنا المرموقة (على الرف)، ولكن في الوقت الذي فيه نُحرق ونُستنفذ و ُنلقى في مكب نفايات على حافة رصيف مهترئ، سيغادرون جميعم ليحرقوا فرادى على أرصفة ومكبات مختلفة!

إذا كانت النتيجة واحدة؛ فلماذا لا نمارسها بشكل مشترك، لماذا لا نعيش تعاستنا بسعادة؟!

ممتنٌّ أنا جداً لمن يشاركني طقوس الإحتراق قبل طقوس الحياة. ممتن جداً

لمن يحجز تذكرة قدوم إليّ في الوقت الذي يجتمع فيه الكل على المغادرة بلا عودة.

لمحتها معي محترقة وملقاة إلى جانبي في مكبٍّ على حافة رصيف مهترئ!

عن أي ثقة أتحدث؟!

كنت على يقين أنها الوحيدة التي بمقدورها أن تشاركني طقوس الإحتراق لـخمسين عامًا قادم أو أكثر...

ما أجهل الذين يتزوجون لسبب ما، حين تعزم أن تطرق باب أهل إحداهن، كن على يقين أنك لا تحمل في قلبك سببًا أعظم من أنك لم تحب غير الله فيها...

بما أننا نحن الرجال من نمسك بمقودة السفينة، وتقع على عاتقنا مسؤولية القيادة، كان يجدر بي أن أقود سفينتي بحرفية كبيرة كي أصل بها إلى مرسى الأمان. لا أدري كيف بمقدور البعض منا أن ينجو بأنفسهم تاركين خلفهم ضحايا على متن المركب أو في عرض البحر!

أي نفس بشرية لديها الشجاعة الكافية كي تنفذ جريمة قتل على مشهد ومرأى من الجميع؟!

حين تكون على ذمة الحُب يتوجب عليك أن تحتفظ برجولتك لنهاية الطريق، أن تأخذ على عاتقك إتمام ما بدأت به، دون أن تشعل فتيل النار وتجري باتجاه النهر.... وأخبرتكم مسبقًا أنها الوحيدة التي بمقدورها أن تحترق معي لنهاية العمر، رَسمت لي خارطة مبسطة على ورقة وصورتها عبر شاشة الموبايل تخبرني بها كيف أصل لمنزلهم، الصورة لا زالت في حقيبتي الصفراء في الدرج الثالث، كانت أشبه بخارطة للنجاة، بمثابة دليل يوجهني أنا وعائلتي إلى المكان المنتظر، تولّيت أنا قيادة المركبة، والبقية يحاولون رسم ملامح و صور بأذهانهم لهذه الفتاة، بالرغم من أن أمي أكثرهم معرفة بها، قد دار بينهن من الحوارات واللقاءات ما جعل معرفة و حب أمي لها

يفوق معرفتي بها و حبي لها،

وما حاجتي لأكثر من ذلك؟

كان فتح باب المنزل أشبه بفتح الأندلس، الجيش خلفي والله فوقي، وهي بالداخل تحيطني بدعواتها وتثبت عزمي برسائلها

بالمناسبة، مضى قدر لايستهان به من عمري، أمتلأ ذقني بالشيب الأبيض، تضاعف حجم كتفي و ارتفعت هامتي و نفذ صبر أهلي، إلا أنه لم يسبق أبدًا أن طرقت باب إحداهن بنية الزواج، ربما خشية من أن أراهن على المجهول، وربما رغبة من الله أن تكون هي الأولى! الأولى في كل شيء...

ثمة اختبار حقيقي لمقدار العزم الذي يتحلى به كل رجل على وجه الأرض وكان ذلك اليوم بمثابة حصولي على علامة تامة، جاءت نتيجة الكثير من الصبر والوقت والسفر

فنجان القهوة الذي تشربه في منزل أهل حبيبتك، بحضور أهليكما، كفيل بأن يَجب ما قبله! كما التوبة تجب ما قبلها...

سامر وهنادي

"وكنت دعاء الفجر وآخر النهار"

ثم إنك تأتي بكامل أناقتك وصدقك، وتطرق باب المنزل بكل حُب و احترام، أسترق النظر لقميصك المخطط من شق الباب، تارة ألعق الزجاج وتارة أمسك أذني وأفتعل مواقف مضحكة كي أخفف من حدة الموقف، المهم أنك الوحيد الذي يراني بهذه السذاجة ويبتسم! كان شق الباب كافٍ بشكل كبير كي يسمح لكلينا أن يجلس في حضن الآخر من مسافة مقدارها غرفة و أبي وثلاث رجال آخرون!

كدت أن أختار أشخاصا كُثر أسوأ وأحسن منه، المشكلة أن رياح النصيب تعسف الرجال اللذين يعجبون والدي إلى منزلنا، أصحاب المشية الرزينة وأزرار القميص المغلقة إلى نهاية العنق والشهادات الثقيلة وتقاسيم الوجه المرتبة، إلا أن الله دائما يُسيِّر لنا أمور حياتنا بما يتلاءم مع دعواتنا المعلقة بالسماء.

ما نحن إلا نتيجة ما فقدناه، لا بد أن تتعرض لكم هائل من الخسارة والخيبة والنكسات والكثير من الخديعة والفشل، وثلاث مواقف محرجة يوميًا وتتعامل مع شخصيات سيئة وعظيمة لا تتصور أن تمضي كل عمرك دون أن تفقد حبيبًا مَثلاً، أو قريبًا أو عزيزًا، دون أن ينكسر هاتفك ويحترق منزلك وتلتوي ذراعك وتخسر صفقة مال وفرصة عمل وسيارة ثمنها تحويشة العمر وإصبع يد أو قدم، لا تتصور أبدًاً أن تمضي كل سنين عمرك بنسق واحد وتخطيط منتظم هذا لا يحصل!

من السيء أن تقول أنا (قليل حظ و منحوس)، قليل الحظ هو الذي لم يتذوق مرارة الخسارة كي يستشعر طعم ما لديه ولذة الحصول على الشيء بعد فقدانه، المنحوس هو الذي لايعرف أبدًا كيف تتسارع دقات قلبك حين يحرمك الله من شيء ويرزقك أضعاف أضعافه، في كل مرة يعلمني الله

درسًا جديدًا (يحرمني من ما أحب لـيرزقني بما هو يحب! (وسبحانه لا أحد يفوق جمال اختياراته تجيء مُفصلة على قياس قلوبنا)

في ذلك اليوم كانت كل السعادة هاربة من العالم ومختبئة في منزلنا! لكن يبقى الغَريب أنني أنا أيضاً مِثلك لَم أفكر بالزواج من قَبل أبداً، كان أكثر ما يؤرقني بالموضوع فَكرة أن هُناك (غَريب) سَوف يلتحم بحياتي وجسدي! وفي كل مرة أضيع بالتخمين عن مدى تَقبلي للفكرة!

حاولت جَاهدة أن أنشغل قَدر الإمكان وأُغرق نفسي بالكتابة والدراسة وأشياء أخرى... صدق أنا من النوع الذي لا يراهن على مُستقبله مع المجهول أبدًا، تَخوفي من فِكرة الإرتباط بعنصر مُبهم جعلني بعيدة كل البعد عن الموضوع مما زاد تعلقي بـأبي وأمي...

كل هذا كان قبل أن تأتي فجأة واحدة! قبل أن تَقلب موازيني، وتُغير كُل أفكاري! فـصِرت أتخيل كل تفاصيل الأشياء معك، وأحن لحياة مشتركة لا تكتمل دون صوتك و وجودك، حياة أنت (زلمتي) فيها، الذي أحبه وأسمعه وأُعينه،وأشرب معه كوب قهوة الصباح على بلكونة منزلنا...

التفاصيل (قهوة، سلفي، ملح، قميص مقلم، عباءة سوداء، حذاء فضي، لوحة على الجدار، وشوشة خافتة، ضحكات من جديد، أسرار، أريكة، أمي، قلب، لحية، أبي، التحديق، أمك، الجدار، السقف)

ثم إن الذين نحبهم صادقون جدًا، أولئك الذين يكذبون لايجوز أن يقال عنهم أحبة، هم أصدقاء أعدائنا أو من يحاولون قتلنا بلطف...

ما الأداة المناسبة لقياس قطر العالم الآن؟ للمرة الأولى أستسيغ لفظ كلمة العالم، أقولها بهذا الكم من الود واللطافة، يالكمية التعلق بالحياة التي نشعر بها حين نصبح على شفا حفرة من الحلم!

لو كنت أحتاج رجلًا لتصير حالتي الإجتماعية من - عزباء إلى متزوجة - لكانت أمي الآن تحتضن أبنائي وتقص عليهم مغامرات طفولتي البائسة

سامر وهنادي

الشقية، إلا أن نقطة الفاصل هي أنني أحتاج رجلًا لا أبدو بحضرته ناقصة ولا مكسورة ولا مهمومة ولا بعيدة ولا حزينة، رجلًا يشعرني بالكمال الدنيوي، يخبرني طيلة الطريق أنه فخور بي، في المساء نخوض حوارًا أدبيًا ينتهي بغضبي منه، أتجه لعلبة الشوكلاتة فأتعثر بقدمه فيحتضنني ويضحك، هو يحب أطباق طعامي مالحة كما أطهوها تماماً، ويأكل حبات الجزر من صحني الأصفر - أكره الجزر - , و يستبدل ربطة عنقه باللون اللذي يروقني، أما بالنسبة لمواصفاته أصدُق إن قلت لا طويل ولا قصير، طوله يتناسب تمامًا مع سقف أمنياتي، لحيته شقراء مموجة، وقلبه يرتفع ثلاث أمتار عن صفات الكذب والخيانة، يحب أبنتنا المستقبلية أكثر مني بعشر مرات،ومعرفتي به جاءت على حرج

على أي حال أنت ذلك الرجل تماما!

اليوم التالي...

أجلس بجانب الشباك في الحافلة حيث بخار الفم يُعرق الزجاج، الجو مُلوث بأكسجين تسع و خمسين شخصًا، يختلط صوت السعال مع الهمس والبكاء وصراخ الأطفال الصغار، يكسر السمفونية شخير عجوز يجلس أمامي مباشرة، كمية الملامح الموجودة في الحافلة هائلة! في طريق العودة للمنزل أسند رأسي على الكرسي المُغبر، أغلق عيناي وأُمثل النوم كما يَفعل نِصف الرُكاب، فقاعات بيضاء خالية من الحروف والأحلام والأمنيات تتفاقم في مُخيلتي وتظهر فوق رأسي دون أن تلامس سقف الحافلة، أفهم ماهية الحوار الذي سوف أخوضه مع والدي، كي أقول له بأسلوب لبق أنني أريد أن يكون هذا الرجل زوجي، دون أن أخطئ وأصرخ بوجه الجميع «أحبه»، الحب يجعل منا أشخاصًا عدوانيين نخشى خسارة من نحبهم على أبسط سبب، ما يجبرنا أن نتشبث بهم بأسناننا وأصواتنا، بكل الأحوال كان من المفترض أن أكل المهمة لأمي، لأن لديها من الحكمة والإقناع مايفوقني بمئة ضعف!

سامر وهنادي

انسلّت عقارب الساعة ببطئ شديد، المهم أن النهاية كانت بإعلان النصر المؤبد المؤزر، كأن الله ألقى في قلب والدي حُب العالم كله اتجاه هذا الرجل...

كنت أعتقد أن علاقتنا لن تميل عن طريق الصداقة، وأنك ستبقى صديقي الذي أمازحه وأخوض معه حوارات مريحة و أفشي له أسراري التافهة وأستعير أشياءه دون أن أستأذن... ما يحصل في الصداقة أننا نقرر أن نحب بعضنا دون أن نعترف بذلك أو أننا نحور المصطلحات لتصير ملائمة للوضع الراهن، لكن التَعود ذاته، الإهتمام ذاته والمكانة القلبية تكاد تكون نفسها... أتخيل أن نادرًا ما يبدأ الحب فجأة لا بد من مقدمات قبل أن تفور مشاعرنا فورتها، كان من الضروري أن تكون صديقي الوحيد قبل أي شيء آخر! أعتقد أن الحب ما كان ليكفي كي أقولها أمام والدي بشراهة وثقه «هو أو لا أحد» كما فعلت!

قلبي مُعَلق بخيط رفيع يحيط بسبابة يمينه

في يوم ما يَتوجب عَلينا تجاوز كل التجارب الماضية دون قصائد الأطلال وكاسيتات الزمن الجميل، لا ضرر إن فعلنا ذلك لكن بالوسطية التي أمرنا الله في كثير من آياته في مُختلف أمور حياتنا، مُهم أن نُدرك أننا فَترات في حياة بِعض والعلاقة التي تتمحور عَليكَ اليَوم، ستكون مركونًا على هامِشها غَدًا أو بَعده - قَد تُصبح أجرب فجأة - ويختفي الجميع من حولك هذا فَقط يحصل حين تنتهي مصلحتهم مَعك، المهم أن تعد نفسك للمعركة الأكبر، والحدث الأعظم، أن تنتهي من كل شيء، وتغسل قلبك كي تستقبل كل الأحداث القادمة بحفاوة وسعة صدر، نحن جميعًا عبر من خلالنا كم لايستهان به من التجارب والمواقف، الأشخاص السيئون ليس لديهم ذكريات، لايقرأون الكتب أبدًا، لا يحبون التقاط الصور، يوهمونك بأنهم ملائكة، لا يعترفون بقصص حبهم القديمة من باب الخوف والضعف، لا يجيدون الكتابة، لا يحبون التحدث مع الله على انفراد، ولا تربطهم أي علاقة مع الأزهار، الأشخاص السيئون، لا يهبون كل الأشياء للغرباء من مبدأ

الثقة والحذر، لا يبكون سِرًا خشيه الإزعاج، لا يفعلون شيئًا في الحياة لا يعون أن أن كل ما حصل حصل كي نصل إلى هنا، للنهاية، للشخص الذي يستحيل أن يتمكن أحد سواه من الحديث معنا ساعات طويلة عن قصص أقل ما يقال بحقها سخيفة بنظر البقية ... الجزاء المنتظر!

نتحدث لِساعات متأخره وطويلة من الليل حيث الكل نيام، نتحدث بطمأنينة تفوق السنوات الماضية بحكم أننا أصبحنا حبيبين أمام العلن، نستذكر قصصنا، ومواقفنا الكثيرة مع الله، مشاريعنا التي لا زالت تحبو في مخيلتنا وبعضنا لم يولد أصلًا، حواراتنا، مشاكلنا، السفر الذي صار يبدو قريبًا بعد أن ابتعد أول مرة، تحدثني بشأن أول أمنية قصصتها على مسمعك (أن تكون قِسمتي من هذه الدنيا رجل يُحب الكتابة كل قُمصانه مُلطخة بالقهوة و الحبر، متعاطف، مَرح، حنون، مُثقف... الرجل الذي يقرأ ويكتب لا يخدع حبيبته أبدًا، يصدق القول والفعل! يبقيها بالقرب منه دائماً ويفضل الإعتذار عن الإجابة بهدوء بدلًا من الكذب، يحلم معها، يقرأ معها، يطهو معها، يمرض معها ويحزن معها! لا يوجد شيء في هذه الحياة يشبه أن تتقاسمي قلبك مع رجل واعٍ، مُتعلم، قارئ (ويا ويلي) إن كان كاتبًا. لو أتزوج كاتبًا، سنخلق كونًا صغيرًا يليق بجنوني وعطفه وعقلانيته، وندهن جدران المنزل بلون الرحمة (أبيض) ونشتري حاجيات قديمة وغريبة (جرامافون، حوض سمك، فوانيس، صناديق خشب، كرسي هزاز، والكثير الكثير من الكتب القديمة ذات الورق الأصفر) لو أتزوج كاتبًا سوف نضيء كل زوايا المنزل بـنور قلبينا ونتفق أن لا نفعل شيء في هذه الحياة سوى (الحب، العبادة، الكتابة)... يوقظني على صوت فيروز وأوقظه بشعري (المموج) كما يحب تمامًا! علَّك تقصد أن أقول أن كل ما سبق أصبح حقيقة؟ فعلًا هذا ما حصل!

حبيبي الله، شكرًا على مساعدتك العظيمة! وتوفيقك الكبير، وطمأنينتك المنبعثة بقلبي، وتساهيلك التي أوصلتني لمبتغى عمري ولأكثر رجل تمنيت أن أسير معه في شوارع المدينة (ثمة هناك بطل حقيقي لايشبه الرجال

سامر وهنادي

العاديين، رجل مختلف بطريقة إيجابية وسلبية، وسلبيته تتفوق جَمالاً، ربما هو لايحمل تلك الصفات البطولية المتعارف عليها لكن صدقًا (والله العظيم) في كل موقف أزداد يقيناً أنه يستحق هذا اللقب وبجدارة، سيقول البعض أن شخصيات الأمراء والمحاربين والنبلاء من ضروب الأساطير والخيال وكُتب الروايات القديمة ذات الورق الأصفر التي يعلو غلافها الغبار) وأنا أتفق معهم وبِشدة لكن ثمة هنالك شخص ما (مُختلف) ولو من وجهة نظري أنا! عيناه لوزيتان وذقنه طويلة بعض الشيء ، عريض المنكبين وطويل القامة، قلبة بستان! يُحب الله كَثيرًا... الوحيد فقط الذي من الممكن أن يبقي خط الهاتف مفتوحًا بعد أن يدركني النوم في ذروة حديثي معه! أنت الوحيد الذي من الممكن أن يقلم أظافر قدمي ويقبلني على عظمتي (الترقوة)، ويهديني علب شوكلاتة وسراويل منقطة، ويقرأ علي الذكر الحكيم حين أتعب ويتعب معي! أنت الوحيد الذي يوصي أمه بي دوماً ويوزع علينا عيونه (اليمين حُصتي واليسار لـحماتي) أنت الوحيد الذي يذكرني بكل أوقات صلاتي ويبوخني إن قَصرت، أنت الوحيد الذي قال لي (سـنسير كل الطُرق معًاً حتى نَصِل يا عمري وإن أدركَكِ التعب سأحملكِ على ظهري)... أنت الحليوة أبو لحية الذي سأكتب معه وأقرأ معه، لَم تَكن رَجلاً مِن الطِراز التَقليدي، لَم تكن مثل كل أولئك الذين عَبروا ولا عاد يعنيني أي شيء بِخصوصهم، لَم تَكن مَحض جسد ومَلامح، كُنت رسالة الله التي بَعثها إلي كي أدرك أن على هذه الأرض ما يستحق الحياة... إتيانك هذا ليس إتيانًا عَاديًا، مُفصل بقياسات خياطة على حَجم أمنيات العمر (التي كادت أن تضيع وتتركني فارغة أكمل باقي سنيني بائسة ومُدخنة، وسمينة بأظافر زرقاء) ببساطة لأنك قَرأتني كـأي صفحة كتاب يقع بين ذراعيك (وكتبتني كـ بوادر روايتك الأولى) لأنك أستبدلت قهوة الصباح بصوتي، ولأنك قَدري الحَتمي، قَدري الذي سوف أَوكِلُ إليك مهمة ترويضه، ماذا كنت سأفعل لو أن الله تجاهل دعائي حين جثوت على ركبتي في ليلة قَدرية وطلبتك مِنه قبل مجيئك بأيام، كان بي تيه وشعور ذاتي أنني لا أصلح لشيء في الحياة، نسيت كل ذلك وابتسمت (حين أقبَلت عَليّ بفم مُبتسم

ونية بيضاء)، أنت الآن الشخص الوحيد الذي يصلح لأن يكون أبًا لأطفالي!

بِشكل عام مع بعض الإستثناءات... العُمر من المُقومات الأساسية لنجاح أي علاقة على وجه الأرض وبِشكل خاص... لا تخوضي مضمار أي علاقة مهما كان نوعها مع مُراهق عشريني يبوح عن مشاعره بكلمات مغمغمة عبر شكبة التواصل الإجتماعي،وبأسلوب طفولي بحت مع (فيلنج) بالمحبة!

- هامش - هذا لأنني لست بحاجة لـولد أمارس معه لعبة (بيت بيوت) بهدف التكاثر البشري... الإرتباط فِكر، فلسفة، وعلاقة صداقة أمدية، فارق العمر بيننا عشر سنوات، من الحب والمعرفة والإحتواء، من أفضل مميزات أن تتزوجي شخصًا يكبرك بعشر سنوات مثلاً، أنه دائمًا يقدم لك تصورات وحلولَ مجانية لكل شيء ممكن أن تمري به في حياتك!

أنا ضد أن تكون الأنثى مخلوق عادي , يقوم بواجبات المنزل والسرير مع تقديم الولاء والطاعة , أنا مع أن تكون كذلك بالإضافة لأن يكون لها بصمة على جبين هذا الكوكب (إحدى القناعات التي يؤمن بها رَجلي، والتي جعلتني أركض باتجاهة دون أن أبصر عثرات الطرق)

صَعب جِدًا أن تُهين الإنسان الذي يُحبك، حتى ولو كنت(مَجبوراً)! وإن فَعلت ستشعر بشيء يشبه توقف مصعد بشكل مفاجئ على أرضية قلبك، كل الذين نحبهم يَعِزون عَلينا بطريقة أو بأخرى...

سامر وهنادي

سامر وهنادي

وهم كوتار

دروس تعليم القيادة

في اللحظة التي تبدأون فيها بترتيب حقائبكم للسفر تذكروا كلامي جيدًا اعلموا جيدًا أنكم لن تستطيعوا حمل الجميع، فحقائب سفركم لا تتسع للكل. ستبدأون بعد الأشخاص ومدى صلتكم بهم، وستكتفون بالأقربين الأقربين... و لأنه ليس لكم خلاص من بعض الأشخاص فالكثيرون تلوثوا بكم و تلوثتم بهم، ستدحشونهم في الزوايا أو الجيوب الجانبية. في اللحظة التي ستغلقون فيها حقائبكم، تذكروا أنكم ستغلقون الأبواب على كل شيء مضى، وستستبدلون كل السنين التي عشتموها بحقيبة سفر لن تحمل سوى حمولة محددة بسعر محدد، من هنا تبدأ مرحلة التخلي والبيع، الذكريات، أصدقاء الطفولة، شجرة التين التي تدلّيتم على أغصانها صغارًا، ديك الصباح، ياسمينة مدخل البيت، التجاعيد على جبين الجد، حليب الأم، وقهوة الحبيبة.... كلها ستباع بثمن بخس تحدده شركة الطيران.

و مع كل خطوة تتقدمونها نحو المطار، ستتذكرون بتقنية (الشريط السريع) كل الأشخاص الذين عبرتموهم و عبروكم، كل الذكريات، ملامح الوجوه، ضحكات الأطفال، دخان سجائر الجد، رائحة فطور الأم، صوت بائع الخضار... ستواسون أنفسكم، مهما طال الغياب فأنتم عائدون. لكن دعوني أخبركم حقيقة قد تكون مرّة- أنا عن نفسي أشرب قهوتي مرّة - دعوني أخبر كل من يتلهف لحزم أمتعته مبتعدًا أنكم لن تعودوا، لن يعود ذلك الشخص السليم، الغربة مرض؛ مرض مزمن مثل الضغط والسكر، لا يرجى الشفاء منه أبدًا...

قبل الصعود إلى الطائرة، سيخبركم الموظف أن حجم الأشخاص في حقيبتكم يزيد عن الوزن المسموح به، و إلا ستضطر لدفع غرامة مالية على الحمولة الزائدة. من هنا ستبدأ بالتحول وستبدأ المادة بالسيطرة عليك، ستنزوي جانبًا وتبحث عن الأوزان الثقيلة في حقيبتك، يا للعجب! الأشخاص الأكثر

سامر وهنادي

تأثيرًا و وزنًا في حياتك هم من يثقلون وزن الحقيبة! ولأن الغربة صعبة و ثمنها باهظٌ جدًا لو تتقنون علم الحساب، ستختارون أن تلقوا بهم في أقرب حاوية سرًا. ربما كانوا أصدقاء الطفولة، زيت الزيتون، زعتر، وحُبّ...!! و تستمر مرحلة التخلّي يومًا بعد يوم.... حتى يحين موعد العودة، عند فتح الحقيبة للتفتيش، ستدركون أنكم لم تعودوا كما كنتم أبدًا، فلا شيء ذهبتم به عدتم ولو حتى ببعضه، تسريحة شعرك تغيرت، ملابسك في الحقيبة لا تشبه تلك التي خرجت بها أبدًا، زيت الزيتون استبدل بزجاجات عطر فرنسية، والزعتر استبدل بعلب سجائر أجنبية، وقطع الحلوى استبدلت بقطع إلكترونية... ستبحثون داخل قلوبكم عن بقايا الأشخاص الذين خرجتم بهم، عن الذين وعدتموهم أنكم لن تنسوهم... لكن لا شيء خرجتم به عدتم به...

كيف لي أن أحمل حقيبة سفري دون أن يكون لكِ نصفها الأيسر وكيف لي أن أسمح للمسافة بيني وبينكِ أن تزداد مع كل حرف أكتبه؟! كانت الحروف من جمعتنا في أول مرة، أما الآن فـتُفرقنا، في طريق القدوم كنت أكتب بنهم... بكرم! كنت على يقينٍ أنني سألتقي بك مع آخر حرفٍ أكتبه... أما الآن اكتفيت بحروفي عاريةً من أي علامات ترقيم لعلي لا أبتعد عنك كثيرًا...

قد تقسو عليك الحياة أحياناً فتركل مؤخرتك إلى أقصى الشرق، فتصاب بالمرض هناك، فتفقد حاسة الشم والتذوق معًا؛ فتحرم من أن تشتم رائحتها المخبأة في صندوق من صنع يديها يحمل قصاصات ورق من أبجديتها، مركونًا بعناية في الزاوية اليسرى من حقيبة سفر لم يُفرغ محتواها بعد... والسبب أنها هي من رتبت مسرح الجريمة. وتحرم أيضًا من أن تتذوق طعم قهوتها السمراء كبشرتنا، المرة كمرارة أيامك من غيرها. وقد يحدث هذا كله تزامنًا مع إنتهاء آخر قطعة حلوى من صنع يديها، و زيادة فرق التوقيت بينك و بينها ساعة أخرى، ودخول فصل الشتاء مدخل بيتها و انحصارك بالصيف، وضياع هاتفك المحمول...

سامر وهنادي

فتخرج من هذا كله إلى أقرب بقالة لتشتري بعضًا من المناديل الورقية تداري بها وجعك ومرضك، تجول ببصرك بين الرفوف (الحاسة المتبقية لديك) فتقع عينيك على مناديل بطعم و رائحة الفراولة، فتشتريه لأنها أخبرتك يومًا أنها تحب الفراولة (إحساس الفاكهة) رغم انعدام حاسة الذوق والشم لديك...

أصبحنا سطحيين جدًا لا نتعدى طبقة المكياج التي تخفي عيوبنا! سطحيين جدًا لدرجة أننا نتسابق حتى نبني المساجد بأعلى درجات الجودة و أفخم أنواع الأحجار و الزينة... قبل أن نفكر ولو ببناء من يعمر هذه المساجد , سطحيين و تافهين جدًا لنفكر ببناء المستقبل من كومة أحجار و قطع من الخردة! هل نحن سعداء فعلًا؟ اسألوا أنفسكم هذا السؤال... لا بأس ولو لمرة واحدة في العمر تشجَّع ولا تسدل الستار عن وعيك , تشجع واسأل نفسك , هل أنت سعيد؟ الطريق تحمل الكثير من الإشارات عن اليمين وعن الشمال ومن الأعلى ومن الأسفل في الليل و في النهار في أول الطريق و في وسط الطريق و في آخر الطريق.... في كل مكان الكثير من الإشارات تخبرنا أن الطريق التي نسلكها تؤدي إلى المكان الذي لا نرغب بالذهاب إليه , مكان لا نرغبه أبدًا , مكان ترتعش أجسامنا عند ذكره , و مع ذلك نصر أن ندوس على دواسة البنزين في كل مرة نرى يافطة تخبرنا عن الوجهة!! الغريب العجيب لماذا لا ندوس على الكوابح ونعود أدراجنا لنسلك طريقًا تؤدي إلى وجه نرغبها؟!! بماذا نفكر؟! حقًا أخبروني ما الذي يدور في وعينا؟! هل نفعل ذلك أملًا بأن تتغير الإشارات لتخبرنا عن وجوه أخرى؟! و لكن احتمال ذلك غير وارد إطلاقًا ونحن في عقولنا ندرك ذلك! ولكن عقلنا يعمل بشكل سليم جدًا عندما نقصد وجهة معينة، عند الذهاب إلى العمل مثلًا! عندما نخطئ بالوجهة نعود أدراجنا تلقائيًا ونستجيب لتلك اليافطات! لاحظوا أن عقلنا يعمل بشكل سليم ومنطقي جدًا في هذه الحالة! و لكن ما الذي يحدث في وجهة الحياة ككل؟! ما الذي يحدث؟! لماذا لا تعمل عقولنا بشكل منطقي سليم؟ لماذا دومًا هناك خيارات مرعبة و طرق فرعية! ما الذي يجبرني أن أتقدم للأمام بشكل أوتوماتيكي فتزداد المسافة بيني و

سامر وهنادي

بينها! صدري أضعف من أن يحمل دموعها و توسلاتها! أضعف من أن يلتهم رأسها بداخله...

في دروس تعليم القيادة (قيادة المركبة)، يركز المدرب كثيرًا على ضرورة النظر في المرآة عند التحرك و عند التجاوزات وعند المنعطفات , و لكن بنفس اللحظة يذكرنا أن لا ننظر لفترات طويلة , نسترق النظرات فقط بشكل سريع، لأن بقاءنا محدقين في المرآة لفترات طويلة سينسينا أن المركبة تسير إلى الأمام لا إلى الخلف، وبالتالي نتعرض لحادث مميت لا سمح الله. تساعدنا تلك النظرات على تقييم الوضع و بالتالي اتخاذ القرار السليم بالتحرك أو الانعطاف أو التجاوز... الخ. جميل جدًا....

من التعليمات المهمة أيضًا التي يحث عليها المدربون: عند القيادة للأمان أن لا ننظر إلى مقدمة المركبة أو الى البضع مترات القريبة من مقدمة المركبة , يحثوننا على النظر إلى المدى البعيد نسبيًا , لأن التركيز على المدى القريب يمنعنا من استشعار أي خطر قادم وبالتالي اتخاذ القرار المناسب لتفاديه قبل حصوله؛ علاوة على ذلك، النظر إلى المدى البعيد يذكرنا دائمًا بالوجه و المكان الذي نقصد الذهاب إليه لذلك لن نضيع الوجهة....

لاحظوا أننا مقتنعين كليًا بهذا المنطق و الغالبية تمارسه ونتقنه في قيادتنا وقد جعلنا منه منهجًا يدرس و مادة أساسية في تعليم القيادة... قيادة المركبات طبعًا...

كنتيجة لكل ما ذكر سابقًا نحن البشر لدينا القدرة على التفكير بشكل منطقي وسليم , ليس هذا فحسب بل قادرين أيضًا على التطبيق و التنفيذ و جعل الأفكار منهجًا يدرس و يلتزم به , و وضع عقوبات على من يخالف هذا المنهج , و الغالبية يقودون مركباتهم و يصلون إلى وجهاتهم بسلامة.... و لكن عندما يتعلق الموضوع بقيادة الحياة ككل و رؤيتنا للماضي أو المستقبل، فنحن نفقد منطقية التفكير كليًا و تبتعد كل البعد عن فطرتنا السليمة , فتقيدنا سلاسل الماضي أو التفاصيل الجزئية المستقبلية و النتيجة

سامر وهنادي

حادث مميت، أو الوصول إلى النهاية غير المقصودة.

لا يمكن للحب أن يأخذ صفة الحب إن لم ينزل هذا الحب إلى ألطرقات، حيث الحفر، والمطبات، المنعطفات، و إشارات السير، وقطاع الطرق... الحب ليست كلمات تبقى معلقة على رفوف مكتباتكم و لا أصوات تسافر في سماء دنياكم، الحب يمشي على قدمين، يتدعثر، يقع، يتوقف، يمشي،... ثم يكمل طريق العودة للوطن!!

و لعلها عودة قريبة جدًا.

سامر وهنادي

سامر وهنادي

سامر وهنادي

وهم كوتار

ثم عاد

انتهت المهمة، وكان من الواجب أن يعود من حيث أتى لغاية هدفها الأول أن يوفر لي حياة كريمة تحلم بها أي فتاة، مع أني لا أحلم بذلك أبدًا، أحلم به فقط!

مرة أخرى السفر...

منذ تلك اللحظة تأكدت أنها النهاية، نهاية الإنتماء للوطن، للمكان، للسرير، النهاية الكبرى التي سوف تتسبب بكل الوجع القادم!

السفر وحش يا قلبي يلتهم سيقان الشباب وأزهار عمرهم! مسألة أن تكون شابًا وحيدًا في الغربة وفي دولة مليئة بِكل ملذات الحياة، تأكل طرف قلبي، وأصابعي، وعيوني، حتى أكاد أن أختفي! أكره المطارات و حقائب السفر! و أكره نفسي حين أستذكر شراكتي بالجريمة و كيف أنني رتبت حقيبتك بصمت و إتقان على اليمين القمصان (الأزرق، الأبيض، الأخضر، الكحلي، الزهري)، على اليسار بلاطين الجينز، في الجيوب الجانبية بعض الكتب! و في حقيبة الظهر (أنا و رزمة نقود ستفقد قيمتها حال وصولها هناك)

عِندما تَبتعد أُحبَط، أشعر بلعنة ضرورة التصاقي بِك، كونك على عِلم بكل التفاصيل أولًا بِأول (هذا أمر يبقيني على دَفة الأمان)! مهما بَلغت قوة المرأة وعنفوانها سَتظل بحاجة لِجناح رجل يَضُم ضلوع صدرها ويحنو عليها ويُعلمها التَحليق مِن جَديد! ستظل بحاجة لرجل يعيد ترتيب أنفاسها، و يطبع على جبينها قبلة ... لا أؤمن بمبدأ الإكتفاء الذاتي، نحن دوماً بحاجة لِمن يُهاتفنا ما بَعد مُنتصف الوَجع، لمن يكفكف دموع قلوبنا، ويجلد كل الذين يتربصون بنا، نحن بحاجة لعيون تنظر لنا بطريقة مختلفة عن بقية العالم!

تَرحل أنت ويَبقى فَمي مَفتوح، أحاول أن أراكَ من خَلف زجاج النافذة

فـتَتكسر...

نحن نحب كل شيء يربطنا بالوطن ولو ادعينا عكس ذلك! كان من الصعب عليَّ بالدرجة الأولى - بما أنني الطرف الأرق والأضعف الذي لا يحتمل ركلات الحياة , الطرف الأكثر بكاءً وتململًا - أن يبقى صوتك عالقًا في الهاتف! أن يكون التوقيت بيننا مختلفًا، و أن تصبح العشرة بيننا إلكترونية , المسافات تأكل نصف قلوبنا و تشوه الآخر! لذلك كان لابد من أن تكون هنا , حاضرًا في أفراحي و أتراحي - جزء من الوطن، الذي يوثق في خانة الهوية لا تُضيفوه سنوات إلى حياتكم، بل حياة إلى سنواتكم. (اسرقوا من العمر حياة، قبل أن يسرق العمر أجمل سنوات حياتكم) أحلام مستغانمي

سامر وهنادي

سامر وهنادي

وهم كوتار

أصبح بيننا وطن وحقيبة!

لن أكف عن وصفه لنهاية حياتي، في كل مرة أراه رجلًا مختلفًا، أجمل و أكمل من ذي قبل، كُنت أشعر دائمًا بضرورة أن يبدأ اليوم به، والحمدلله الذي إذا أعطى أدهش... مُرتفع القامة كـأحلام الشباب، عريض المنكبين، مُلتحٍ وحديثه مرتب، مُثقف، ولا يَعلو قرآن مكتبته غُبار، يوزع أجزاء قلبه على الجَميع بالتساوي و يَهب الحياة لـمن يسألون عن الموت، ثمة رجل عَقد لساني عن الشُكر لكثرة عَطائه، وحَمَل ظَهري فوق طاقته لِكثرة تفضيله إياي على الباقي... يتعبه هذا المجتمع المُرقع و مع ذلك يزيح بنظره إلى كُل جَميل يكره السجائر بِشدة، ويغيظني بواحدة أو اثنتين في ذروة حِوار أو مُشكلة ما بين و بين! أغرس رأسي في غمره وأشتكي، فيضعط بكفيه على ناحتي رأسي ويردد (توكلي)... المرة الأولى التي كان بها إمامي في الصلاة شَعرت أن الذي جمعني به أكبر من عقد زواج ونية بالتكاثر، صوته الجهور بسورة الفاتحة فتح عَيني بِشدة على أشياء لم أرَها من قبل... نعم هذا الرجل يبدأ الحوار معي بـأقترح وينهيه بـما رأيك! يحدثني بأسلوب الروايات و رسائل الورق البنية، يشاركني بفيلم إيطالي قديم، و طبق طعام يجربه للمرة الأولى كما عهدته منذ وقت طويل!

لم تغيره فترة خطوبة و لا ثانويات أخرى، لا زال بالصفات ذاتها التي أحفظها منذ زمن حتى أن حُبه (للملح) لم يتغير... هذا الرجل الذي دافعت عن فكرة الإرتباط بشخص يكبرك بسنوات لأجله، الرجل الذي دسست بأذن أبي عبارات عن فارس أحلامي الأسمر الطويل، عن تلميحات للجيران بـِأنني مع (غربوا النكاح)! الشخص الذي ركلني الحظ و عبرت من خلالي ألف خيبة قبل قدومه و أوشكت أن أقتنع أن الحياة لاتهدينا إلا الخيبات والوجع... أن السعادة مصطلح يقتصر على اللفظ لا الفعل! الشخص الذي سبقه ليال عجاف، وصباحات باردة! وشك بكل الأشياء (هو الجزاء)! كل

سامر وهنادي

أولئك الذين يظنون أنني أكتب عنك لغاية الحب والإشهار والمُفاخرة، هم حتماً مُخطئون...، أكتب لنشعر أن هناك رب يعطي تماماً بمقدار الظلم والتعب! رب نحن بحاجة لأن نحدثه في ركعة صلاة، رب ينزل كل ليلة للسماء الدنيا (ليسمعنا)! رب ينتظر أن نطلب بصدق كي يجيب، فاربطوا حبكم للأشخاص بحبكم لله) لأن صفة الحب مرتبطه بالرب!

يارب هو الآن بعيد، رده إلي ردّاً جميلاً، ولا تجعل عمله عائقًا بيننا، يارب إني أحبه بقدر لا يسمح لي أن أستسيغ أي حدث في حياتي دون وجوده!

أنا أحب وَرد الشوارع، الورد الذي ينبت بعفوية، ويتعلق على طرف عامود كَهرباء، أو جِدار عَتيق! أفضل بالمرتبة الأولى الياسمين، والثانية النَرجس، والثالثة اليد التي تقطفهما لي دائماً!

سألتني إحداهن (بيهديكِ ورد؟)

- آه ورد من الشوارع، بلا مصاري، بلا زينة، وبلا برستيج وغلبة، ورد عايش مثلنا ع البساطة والحُب، و دائمًا لا تستهويني باقات الورد المُنمقة و المرصوفة على رفوف المحلات التجارية، ثمن الهدية يفسد عَفويتها و جمالها «إعتقادٌ شخصي»، الهدايا التي تكون وليدة اللحظة لها مكانة خاصة، الورد مثل الحب لا يباع ولا يشترى!

كلما رأيتك سألت نَفسي ذات السؤال؟ هل يُحب جَميع الرِجال اللواتي خُلقن من أضلاعهم بالطريقة ذاتها؟!

لكن الآن ليس بمقدورك حتى أن تهديني وردة! ما قيمة هذه الحياة أخبرني...؟ ليت كل مسافات الأرض تنطوي لتحضر إليَّ من قاع الدنيا!

هَذا النَص كُتب خِصيصًاً لمن لا يَمتلكون القُدرة على البوح (حِفاظاً على بَقاء الودّ)... كُتبَ بِشهية غَير معهودة - الحُب كَلمة ضَخمة جِداً، لها صَوت و حضور، يختلف لونه و طعمه وخِفة ظله من شِخص لِـآخر، و مع كل ذلك نحن نحتاج جميعًا لِـذلك الشخص الذي يَخلع من أقدامنا جواربنا المُهترئة

سامر وهنادي

و يبتسم دون أن يزعجه المنظر أو الرائحة، لـشخص ربما يَضع أصابعه برفقٍ أسفل عُيوننا ويتفوّه بثلاث كِلمات -مُفضلة ومختلفة بالنسبه لكل شخص على وجه الأرض- لكنها كفيلة بِأن نبتسم...

قَبل أن يوقع بِنا أحد ما يجب الأخذ بعين الإعتبار هل سيستمع هذا الشخص لهذياننا ساعة كاملة حين نفقد شيئًا دون أن ينعتنا بـقِلة العقل والفهم، مَثلاً؟! ربما نحن نحتاج حَقلاً لأحد يبتاع لنا الورد والحلوى بمناسباتنا التعيسة عَكس ما يفعله الآخرون، مَن لديه القُدرة أن يساعدنا على ارتداء سراويل نومنا الواسعه حين نفقد قدرتنا على المَشي! قَبل كُل شيء، سنحتاج لشخص يَنوب عن حَديثنا إن فقدنا لغة الكلام... شخص يسند ظهورنا المَعووجة من كَثرة النوم والإنتظار... (المهم) حين كَان الأزرق لوني المُفضل قَبل الأسود، كان لَدي إيمان أن القُلوب تثمر - ما دامت حية - كما الأشجار، لكن الحقيقة أنها تَجف تَجف.

قد تتغير كما الجَميع، وتَكُف عَن شرب قهوتك مُحلاة، تبدل كَلماتك ومصطلحاتك بـِأخرى، تغير لونك المُفضل، وتحذف صورك القَديمة... ستمر عن صديق وتُشيح وجهك للجهة الآخرى لسبب تعرفه أنت وحدك، تبتاع عِطرًا ثمينًا لأنك لم تعد مِثل قبل، أو تمتنع عن تناول الحلوى بسبب وزنك... قد تكف عن قضم أظافرك أو غسل يديك بالمعقم ثلاث مرات يوميًا... ربما تتحيز لفريق رياضي جديد، أما مسأله أن تبدو أجمل أو أقبح هذه بالذات تعتمد على قَدر الخيبات والفَرحات التي قطعت طريقك وقلبك...

مع كل هذا، سأصدق أي أحد يقف في الزاوية و يبكي -لأن حبيبه بعيد- جيدًا، بقدر لا يسمح لنا أن نجتمع ولو بمصادفة عبثية!! إحتمال آخر، قَد نصبح هَشين جِداً كـقطعة بسكويت رقيقة، قَد تتلوث عيوننا ونُصاب بسوء تَبرير وتَصديق، قد ننسى ما نحن عليه الآن ونعود لماهيَّتنا الأولى حِين كنا مَخلوقاتٍ سيئة، متعبة، مُراهقة تسترق النظر على الناس من الشبابيك... كانت فِكرتي عن الحياة مُرتبطة بالنهاية، وكنت دَوماً أنهي جَميع تخيلاتي البريئة بشكل سَوداوي تحسباً للقدر وللنصيب، وكان لفظ (قد) لا يفارقني

سامر وهنادي

أبداً كما في بداية النص... بَقيت هكذا إلى أن جئت و رفعت حملاً ثقيلًا عَن ظهري الآن، كيف بمقدوري أن أرفع هذا الثقل كله وحدي!

هناك أشياء في الحياة تجردك من مشاعرك، تجردك أمراً لا طوعًا، وتصيرك كائنًا مهددًا بالموت - لفظيًا - هناك أشياء في الحياة قادرة أن تعيدك إلى صِفرك، لحالتك الأولى قبل أن تتعلم مبادئ الإنسانية، كـغياب مبرر!

وأعتقد لو أنني كُنت أفكر بالشاكلة التي تفكر بها مُعظم الفتيات لكانت كل الأمور أفضل وأحسن، على مستوى فردي هَذا لا يعني بالدرجة الأولى فَرادتي كأنثى عن الأخريات بطريقة إيجابية، إنما قد يعني عَكس ذلك تماماً!

ينقصني أن أكون صَبورة، ومتوازنة، وأقل إندفاعًا، وأكثر لا مبالاةً وبرودة! في مرحلة ما، يلزمك أن تُعيد جَدولة مشاعرك وتصرفاتك اتجاه الجميع دون أي استثناء، في حال قمت بذلك، ستخسر نصف علاقاتك! وهذا ما يدفع الغالبية إلى رَكن الموضوع جانبًا! للمرة الأولى تستحوذ النصوص الطويلة اهتمامي، ربما السبب في ذلك أنني لم أعد أكتفي ببعض جُملٍ منمقة، أو أن حيز الوقت تضاعف في حياتي بحكم أنني لا أجد ولا أرغب أن أجد ما أفعله هذه الفترة، وقد يكون السبب بعيدًا كل البعد عن ما ذكر في الأعلى! المهم، بدأت أشعر أنني آلة كاتبة، تتدفق حروفها بشكل جنوني و سريع، بين قوسين (في حال رغبت بذلك)

كل ما كتب سابقاً لا هدف ولا غاية منه. المهم، لم أشرب مَعك القهوة إلا مرة واحدة، أذكر تفاصيلها جَيدًا، ذاك اليوم كان كفيلًا بتغيير فكرتي عن القهوة لبقية عمري...

لا أدري لماذا يتغير سلوكنا اتجاه الأشياء حين يطلب منا أشخاص معينون القيام بذلك الفِعل... هو نفس الشخص الذي يتغير مذاق القهوه بصحبته 360 درجة، أحياناً نحتاج لأن نبوح له بشيء ما، لكن هناك أيضاً شيء لايسمح لنا أن نفعل ذلك! في هذه الحالة ستشعر بالعجز أو لنقل بالموت...

(الموت هنا أن لا نجد من يشاركنا هذا كله)

سامر وهنادي

كل الذين قالو لك (قف على ناصية الحلم وقاتل)... سقطوا

قد أبدو حزينة هذه الفترة بسبب ساعات عملك الطويلة والشاقة، وغيابك الطويل وقلة الصدف و شح التلاقي، حزينة لأجل أصابع يدك التي تلازم كبسات الكيبورد قرابة الإثني عشرة ساعة، وسعيدة بالوقت ذاته لأن الرجل الذي حلمت به طيلة عمري لا زال كما عهدته، صَبورًا، مجتهدًا، نشيطًا، ومصنعًا لتحقيق أمنياتي! أتعلم ياعزيزي، في هذا الكون الكبير الأزرق، عدد الذين يخيب بهم الظن يساوي عدد الذين نعتقد أننا لن نشعر اتجاههم بذلك! في بداية علاقتنا مع الأشخاص يراودنا شعور مُخيف يترتب على عدة أفكار وتجارب مستقاة من الأشياء المحيطة بنا، إن صَح التعبير... نحن نخاف أن يبهت هذا الحب، أن يبرد، أو يتغير، وربما خوفنا الأكبر... أن يختفي تماماً.... كل الإعتقادات السابقة خاطئة، ما يحصل فعلياً أن الحب في كل مرحلة يتخذ شكلًا جديدًا وصورة مغايرة. في بداية العلاقة بين أي طرفين يختصر الحب نفسه بكلمات العشاق - بحبك، اشتقتلك، و ما إلى ذلك - في مرحلة الخطوبة يختصر الحب نفسه باحترام كل طرف عائلة الآخر، و أن يُقدر الطرفين ظروف بعضهما المادية... الحب في مرحلة الخطوبة يتبلور ليعبر عن مدى تَقبل الطرفين لسلوكيات بعضهما. أما في مرحلة الزواج... يختصر الحُب نفسه بطبق طعام شهي، بالود والرحمة، وبمدى قدرة الطرفين على استيعاب فكرة الشرب من كأس واحدة...

سامر وهنادي

وهم كوتار

تذكرة سفر إلى الآخرة

جميعنا نعي أن حواء خلقت من ضلع آدم عليهما السلام، هل هذا يعني أن كل امرأة خلقت من ضلع رجل معين؟! لا بأس إن تساءلنا فديننا قائم على التساؤل أصلاً، منذ اللحظة التي التقيتك بها و أنا أتساءل، كيف يمكن لأحد أن يعرف خفايا نفسي بهذا الشكل فتنطق بعبارات قد نطقت بها سراً، أفكار تتشابه، أشياء تأرقني، أخطاء لم أبح بها لأحد، وأمور أخرى... كل ذلك كنت قادراً أن أفسره بالصدف وتوارد الخواطر، أو تلاقي الأرواح ربما... سموها ما شئتم. الأمور لم تستمر على ما يرام عندما أدركت أن الجسد يتفاعل أيضاً! يتعاقب المرض علينا بالفترة ذاتها تقريبًا، تصيبها نفس حالات السهر والحمى بفارق بعض الأيام، الأمر لم يعد فكرياً، عندما نتحدث عن المادة هذا يعني أن هناك أجسادًا تتفاعل! كالجسد الواحد إذا اشتكى منه ضلع تداعت له سائر الأضلاع بالسهر والحمى!! ماذا يعني ذلك؟ ونحن نرى كثيرًا من الأزواج لا ينسجمون فكرياً ولا جسدياً، هل يعني هذا أنهم تزوجوا بأضلع لم تخلق من صلبهم!

كانت قد دست خلسة في الجانب الأيسر من حقيبتي وقلبي صندوقًا يحتوي على قصاصات ورق من رائحتها مكتوب عليها كلمات من حبر أناملها، عدد الأوراق بعدد أيام السنة التي كان من المفترض أن أغيبها بدافع العمل خارج الوطن، قالت لي: كل يوم اقرأ ورقة واحدة بشكل عشوائي، هكذا لن تشعر بغربتك عني وعن الوطن، وأرجوك أن تعود قبل نفاذها...

ما حدث، أني قرأتها جميعًا في أسبوعين فقط، كانت كافية لأحزم أمتعتي وأترك كل شيء خلفي وأعود مع أول طائرة إليها وإلى الوطن.

سندعي الحياة، سندعي السعادة والنجاح في الحياة بعدد السنين، بعدد أوراق النقود، عدد المناصب التي احتلتنا، بعدد الشهادات العلمية، بعدد

سامر وهنادي

المناسبات، بعدد الأولاد....كل ذلك سيتهاوى عند أول لحظة حقيقة كسنبلة قمح يابسة ستسقطها أول موجة ريح، عند الموت سيتهاوى كل ما ذكر سابقًا كعملة ورقية فقدت قيمتها الشرائية فأصبحت لا تساوي شيئاً، سنستصرخ ونطلب أن يتأجل موتنا ولو دقيقة! سنطلب العودة لنعمل صالحاً، ولكن؛ كل الذي فعلناه وأنجزناه ألم يكن صالحاً؟! عند لحظة الحقيقة تلك سنتمسك بالحياة بأطراف أظافرنا و رموش عيوننا! أليست هي الحياة التي تمنينا أن نغادر من رحمها؟ أليست هي التي اكتفينا منها ومن وجع سنينها؟ لماذا سنطلب العودة؟! و لماذا عند الموت بالذات ستعجبنا الحياة بكل صعوباتها؟ و لماذا فهمنا للعمل الصالح اختلف كلياً عند اللحظة تلك؟! كم هو مؤلم أن نفهم الحياة و نحن نقطع تذكرة سفر إلى الآخرة! سيقطع أمعاءك ثقل تلك الكلمة، لا عودة! صدقوني لم يعد أحد ليخبرنا أن هناك عودة. أتعلم نعمة أن يدخل الهواء إلى رئتيك ويخرج بانتظام، متى آخر مرة شعرت بذلك؟ أتعلم أن يكون لك قلب يدق ويحب، و رجلين تمشيان، و يدان تدعوان و تعملان... كل ذلك قد اعتدت عليه ولم تشعر بقيمته مثلما اعتدت على زوجتك وفقدت قيمتها مثلاً؟! أريدك أن تحمل جهاز التحكم في حياتك و أن تخفف سرعة المشاهد، فلنعد لنعمل صالحاً؛ نتصدق، ننفق من أموالنا ومشاعرنا، نزرع الأمل في أرض من حولنا، نعمر هذه الأرض لتصبح أكثر خضرة و ازدهاراً بأخلاقنا، فهي التي ستحتضن أجسادنا بعد موتنا، ودعونا نتعامل مع بعضنا البعض بقوانين السماء فهي أكثر رحمة وهي من ستحمل وزر أرواحنا. هكذا فقط سنكتفي من الحياة، وسنشعر بالامتنان إلى كل الظروف التي عبرتنا.عند فراش الموت سننظر إلى الوراء، ليس بدافع العودة ولكن بهدف إلقاء التحية والشكر... لنكمل الجزء المتبقي من الرواية. وإن لم نفعل ستقتلعنا الحياة من جذورنا كشجرة غير مثمرة، وستذبحنا كشاة لا تنجب. وجميعنا نشهد على من يقتلع منا ويذبح كل يوم! صدقوني يا رفاق، العمر لا يقاس بعدد السنين بل بعدد الحظات التي عبرتَ من خلالها وعَبرتك. عدت لك لأنني كنت أبحث عن السعادة في مكان لا تجتمع فيه السعادة والمال معًا.

في الزاوية الأخرى من عقلي دراجة هوائية مركونة على جذع شجرة معمّرة، كان كابح الدراجة مثبتًا بالأرض بحيث ترتفع العجلة الخلفية عن الأرض و تبقى الكوابح لتحافظ على توازنها.

رجل تبدو عليه علامات الدهر (أسمر البشرة، خشونة، إنحاءة في الظهر، آثار قيود...) تقدم هذا الرجل و اعتلى الدراجة، انحنى على المقود، ووضع رجليه في المكان المخصص لهما وبدأ بالتحرك تدريجيًا، وازدادت حركاته تسارعاً، ازدادت شدة قبضته على المقود، وازداد صوت أنفاسه صعوداً وهبوطاً، ازداد أكثر فأكثر، والعرق بدأ يتصبب كشلالات من جسمه، العجلة تتحرك بسرعة وتدور حول نفسها.

توقف فجأة، أزاح يديه عن المقود وترجل وذهب....

إلى أين كان يريد الذهاب؟! فالعجلة لم تتحرك من مكانها رغم دورانها! كيف لم ينتبه لذلك؟! كيف بدا له أنه وصل المكان المعهود؟!!!

يا ألهي لو كانت هذه عجلة تمثل حياتنا بطريقة أو بأخرى!

نحن نبذل جهداً مضاعفاً منذ سنين، نحن لا نتحرك، ربما نظن أننا نتحرك! لكننا نقف مكاننا منذ عصور حتى لو بدا لنا أننا فعلا نتحرك! الكوابح (العادات، التقاليد، الإستهلاك، التبعية، الجهل، التدين الوراثي...) يقيدنا ويبقينا مكاننا...

المصيبة الكبرى؛ صاحب الدراجة لا يدرك ذلك أيضًا!

كيف لنا أن نعالج شيئًا لا ندركه أصلاً؟!!

يا الله لن نخبرك عن ظلمة وصعوبة الطريق فأنت الأعلم والأرحم، ولكن نستجديك صحبة تخفف و تطوي عنا طول المسافة و وزن التعب, يا رب لا نتوسل إليك لتملأ قلوبنا بل ساعدنا لنفتح صماماتها، فنستقبل علمك و حبك و نورك... يا رب لا ترزقنا ثمرًا يؤكل بل دبّ في سواعدنا الهمة لنفلح و نزرع و نحصد! لا يارب، لا تفتِنّا بعِلمنا بل جمِّلنا و طهِّر عِلمنا بفيضٍ

سامر وهنادي

من حكمتك... يا رب نحن خلفاؤك في الأرض، اخترتنا وأكرمتنا بأن أعطيتنا الوسائل لتحقيق ذلك فذكرنا في كل صلاة أن نذكرك.

عدت هنا كما ولدت، مجردًا من أشيائي المادية والروحية كاملة، داعيًا ربي أن يرزقني من حيث لا أحتسب. الحُب رزق، والمال رزق، والراحة رزق، والطمأنينة رزق، والعمل رزق، وكل شخص منا لحوح على الله بشأن رزق ما! وهي روحي وراحتي ورزقي ودربي الطويل وكل أشيائي، إني فقير إلّا بها!

سامر وهنادي

سامر وهنادي

الحب الحقيقي، هو شعورنا بالمسؤولية تجاه من نحب

حين أحببتك، لم يكن يلزم أن ترتبط حَياتي و إياكَ بأي شُروط! هذا ما يفسر قولي أن «الحُب كَفيل بأن نبقى بخير»

طالما نحن ضمن دائرة الحب، سوف نبقى بعقولنا و أدبنا مِن ناحية أخرى، لو كان (لاسمح الله مليون مرة) شَخصٌ آخر غيرك، لاختلف الأمر تماماً، هذا ما يفسر أننا نبحث عن أيٍ تعويض أو ضمان في حال «لم تتوفر الشروط في الشخص المطلوب».

حين أحببتك، كنت متأكدة أنني لن أكترث سواء كان البَيت الذي سنسكنه بنصف إيجار، لأن الباب مخلوع والحَمام مُعطل، أو بِثلاث طوابق وحديقة مُشبَعة بورد الشوارع، تأكدت أننا لا نحتاج في هذه الحياة أكثر مِن نَفْسٍ إِنسانية تعاملنا بـود ورحمة، والباقي ثانويات لا يجوز الحديث عنها!

عودتك الثانية أثبتت صحة نظريتي و بجدارة.

الكتابة، من أفضل الأشياء التي من الممكن أن تحصل معنا! ربما هي سبيلنا - نحن ككتاب - للدخول والخروج من الحياة متى شئنا على أقل تقدير، الكتابة هي صوتنا الوحيد ولغتنا المفهومة كي نخبر الآخرين أننا سعداء أو حزينون أو نعاني من خطب ما، نحن لانمتلك سوى حروفنا! وما عدا ذلك تحصيل حاصل، بصفتي شخص يفضل الكتابة على أي مهنة أخرى، أقتات عليها، و أهديها للآخرين، ربما لأنني لا أمتلك سواها! جميع الأشخاص الذين يكتبون هم بالفعل صم بكم، ليس لديهم المقدرة على التعبير أو الإستماع بشكل شفوي ومباشر، إن الطريقة الأمثل كي يقولوا شيئًا هي أن يكتبوه... فقط أن يكتبوا!

سامر وهنادي

اليوم هو مناسب جدًا لـيقال عنه اليوم المعجزة... من وجهة نظري وآخرون قلة، للمرة الثانية على التوالي تترجل من أدراجك وتعود، منتصرًا على الحياة، والشوق، ومسافات بعيدة، وساعة من فارق التوقيت، من أفضل المعارف التي يجب على الإنسان تعلمها و الإيمان بها، أن النفس البشرية أهم وأثمن عنصر موجود هنا، في هذا المكان! على كوكب الأرض، أهم من وظيفة مرموقة، سيارة فارهة، فيلا ضخمة، وجمالات تحيط بنا من كل الجوانب، الشخص الذي بمقدوره أن يأتيك من آخر الدنيا، للا سبب، فقط لأنه يؤمن أنك تندرج تحت الرقم واحد في حياته، هو شخص يستحق أن تفني عمرك كله بجواره، متأكدة أن هذه الحادثة ستكون فكرة تخطر على بالي في كل موقف، كل ظرف، كل يوم، كل لحظة! هذا الجميل كبير، بحيث لاقدرة لي على أن أرده!

أي درجة من الإيمان يمتلك ذلك الشخص الذي يلقي بنفسه بين يدي الله، تاركًا كل شيء خلفه، ابتداء بكيس ملابس أمام مسجد المدينة الغريبة، وانتهاء بهدية سريعة من مطار عشوائي...؟

الإجابة: ببساطة هو الهارب من قدر الله إلى قدر الله...

وأي ظن بشأن ذاك القدر تحمل بين ضلوع صدرك؟

الإجابة: وظني بالله جميل

(مسألة الإقتراب) هو الشخص نفسه كلما أصبح أقرب مسافة و وداً تغيرنا لأجله كثيرا، الأشخاص الأقرب يمنحهم القلب صلاحيات مطلقة، وكم مضاعف من كل شيء، ببساطة لأننا دومًا بحاجة لمن نتشبث به دون وسائط إلكترونية!

إن أفضل شيء يفعله الغائبون بعد عودتهم أن يحتضنوننا بصمت، أن يطبقوا كفوفهم على أفواهنا كي لا نَزل بفعل الإشتياق والعتب! في أوقات كثيرة يبدو الصمت أكثر رومنسية وتفاهم من أي عبارة قيلت أو يجب أن تقال، من الممكن أن أفضل ما يحدث معنا حين نصمت أننا نوكل لعيوننا

مهمة الحديث، هكذا بدا اللقاء بعد غياب أسبوعين ويوم! أبت عمارات المدينة البعيدة الغريبة وشوارعها أن تحتمل وجوده هناك أكثر، وأبى هو إلا أن يبادلها الشعور ذاته!

سامر وهنادي

وهم كوتار

نصوص مشتركة
مقتنيات تشبه أرواحنا

أمضينا معظم الوقت في الأماكن القديمة التي تنبعث منها رائحة الخشب، الدهان، الدخان، و أصوات الموسيقا التي قد تبكي أحدهم بمحض صدفة عشوائية. في مراحل اليأس الكبيرة كنا نتجه لمقهى حديث، نلبث نصف ساعة ثم نشعر أن المكان يطلب منا الرحيل، مرحلة الخطوبة هي بمثابة بروفا للحياة المستقبلية، يستوجب على الطرفين أن يتعاملا معًا بكامل الصدق والمسؤولية، بعيدًا عن العبارات المنمقة والمواقف المصطنعة، في تلك المرحلة كان همنا الوحيد أن نحصل على قطع خشبية أكثر وتحف جبص وتعليقات نحاسية بكميات وأعداد هائلة، أمضينا قرابة السنة لم يعتب علينا زقاق أو حي أو دكان، دون أن نسأل صاحبه عن أشياء وليدة الطبيعة دون بهرجة الصناع المبتذلة وتسعيرات المحلات الكاذبة، كنا نقف لساعات على حواف الشوارع نحدق بنَهَم، نحمل ما تقوى قلوبنا وأيدينا على حمله ثم نعود للمنزل! كانت ممارسة هذا الفعل أشبه بالبحث عن أنفسنا، وسط هذه العشوائيات كلها، من منا يحاول أن يبحث عن نفسه؟ كيف يسكن أولئك الأشخاص في منازل لا تشبههم؟! وتعاقبهم سنوات بدفع أقساط مقتنياتها؟

بدأنا نشعر بالإستقرار حين فَكرنا بشكل الأريكة المُريحة التي سنشتريها، و عدد غُرف المَنزل و ألوان الصُحون وحجم مناشف الحمام ونوع منظف الأرضيات... و أدرجنا المهام التي تحتاج إلى عضلات تحت خانة اسمه، وما تَبقى حِصتي، حينها فقط بَدأت أصدق فِكرة أنه مَسموح أن نكون معًا في المكان ذاته! حين نحب أحدهم نستهجن كل ما يحصل، حتى أن صغائر الأمور بصحبته تبدو لنا عظيمة! نتصرف وكأننا عشنا سنين محرومين من

سامر وهنادي

أبسط الأشياء، أقلها أن يدعونا أحدهم لكوب قهوة دون مناسبة أو موضوع مهم!

المنزل: هو كل شيء باستثناء ذلك المكان الذي نعيش فيه، ببساطة لأنه من الضروري أن يعيش هو فينا، هو يشكل القاعدة الأساسية للبداية، المكان الذي سوف يحتوي كل شيء، جميع ما بداخله هو حي، هي ليست جمادات أبدًا. أتساءل كيف بإمكان أي زوجين أن يدخلا محلًا ما، ربما تجذبهما آرمته المضيئة أو لوحة التخفيضات الملصقة على بابه، ثم يبدآن عملية انتقاء المقتنيات بمنتهى العشوائية إعتمادًا على الذوق والخامة دون متطلبات آخرى! الموضوع أشبه بعملية سرقة و إحتيال! مقتنيات لا تشبه أيًا منهم، حتى لاتشبه البيت نفسه! قد يقول الغالبية ماذا إذًا نفعل؟ هذا المنطقي أصلًا! هذا ما يفعله الجميع... و إلى ما ذلك من جملة مقروءة و غير مفهومة، تحمل العقل والجيب ما لا طاقة لهما عليه، ربما لم نكن نبحث عن قطع أثاث بقدر بحثنا عن مقتنيات تستحق أن تكون شاهدة على تفاصيل حياتنا، وتصلح لأن تورث لأولادنا، سرير يليق بأحاديثنا الليلية، يشبه نمط أحلامنا، خال من البهرجات والقطع عديمة الفائدة، على هذا المنهج سرنا... الأمتع من السير ولو كان طويلًا ومتعبًا هو أن تصل بأفضل النتائج وأقل التكاليف...

الجدران مليئة بالصور، بعضها تحمل تواقيع فنانين، والبعض الآخر على خلفها عبارات شكر أو تهنئة أو إهداء، يبدو أن أحدهم تخلى عنها لأن صاحبهاا تخلى عنه، قطع الخشب تملأ المكان بشكل هستيري، كل قطعة جاءت على حدى من دولة مختلفة بطريقة ما، لا أحد يعلمها سواها، لوهلة ستشعر أنك تمتلك العالم بأسرِه، هنا في منزلك،لأكون واضحة أكثر، كنا نسعى بطريقة أو بأخرى أن لا نشبه البقية، أن نصنع عشنا معًا دون أن نسمح لأي طير دخيل أن يضع قشةً فيه! كان مهمًا جدًا أن تكون جميع القطع منتقاة بطريقة تتناسب معنا نحن الإثنين وتشبه دواخلنا! ابتداء بفناجين القهوة و انتهاء بغرفة الضيوف...

لاقى الأمر استهجانًا كبيرًا من قبل الجميع على حد سواء، الأمر الذي جعل منا كتلتي إصرار وتحدٍّ، دفعنا باتجاه الأمام لنكمل ما بدأنا به، وها نحن نكتب الآن جالسين على جذع شجرة، أمامنا فنجاني قهوة لا يشبهان بعضهما أبدًا، يتحدى أحدهما الآخر بالجمالية والألوان، ينير عتمة الغرفة مصباح قديم جدًا كتب عليه made in france وعلى الجهة الثانية romyo and jolet نستمع لموسيقا كلثومية هادئة يلقيها على مسامعنا راديو لطيف جدًا يشبه جدي تمامًا...

المنزل هو أفضل طريقة لتخبر الآخرين من أنت...

كل كائن على وجه الأرض يصنع لنفسه منزلًا ما، مختلفًا، ابتداء بعش الطير وانتهاء بعرين الأسد...

نحن لسنا سوى مجموعة من الأفكار، أفعالنا وملامحنا ومقتنياتنا هي من تتكفل مهمة إخبار الآخرين من نحن...!

من يقبل بهذا الكم من الفوضى العبثية والتفاصيل عديمة الفائدة، يقبل بالكثير من الأشياء، توضيح أكثر - في بلاد ما، فاضلة، من يلقي القمامة على الأرض، هو شخص خطر بإمكانه إرتكاب جريمة قتل مثلًا، كل الأفعال تبدأ بخطوة، تصرف، كلمة، الأمور مترابطة مع بعضها بطريقة صعبة وحقيقية ومتسلسلة بشكل مخيف...

هذا المكان الأقدر على إخفاء الكلام المهموس الذي يقال بداخله، هو الأمهر في الحفاظ على خبايا أرواحنا، حصتنا من الأرض، هو إنارة المساء الهاربة من مصباح عتيق، يخيم بفضله الهدوء على كل المكان، هو كلماتنا المنطوقة عفوًا والملتصقة بالجدران، المنزل هذا بالذات لا يشبه أي شيء حصل! خالٍ تماما من العشوائية الفكرية، ومكتظ بالقناعات و الجمل المنطقية، محشو بنقاشات بالغة و ناضجة. ثمة منازل لا تصلح إلا لأن تكون مصانع لتحقيق الأمنيات، وأخرى تأكل من أجسادنا حصتها ثم تلفظنا للحياة الآخرى...

في هذا الوقت بالذات كانت علاقتنا مع الله أفضل من أي وقت مضى، كان

سامر وهنادي

صديقنا الوحيد، يسمعنا بإصغاء مع علمه المسبق بما سنقول! كل ما سبق كان أشبه بمرحلة تحضير المكونات، العناصر الأساسية، المواد الخام... الآن سوف نطهو، نبني، نصنع، نبتكر! لا أدري ثم ماذا...

النهايات التي تفتح لك بدايات جديدة هي الأصعب والأعقد، هي ما يتطلب منك أن تضاعف جهودك اتجاه كل شيء...

الزواج: هو ذلك اللون اللطيف الذي يصبغ حياتنا

الأذواق مختلفة وكل منا يختار لونه... أما نحن فلوننا الخاص، الأبيض!

ماذا لو كان لديك موعد مع شخص قيل لك أنه يعرف عن حياتك منذ ميلادك إلى وفاتك! و ماذا لو أخبروك أيضًا أنه الوحيد الذي بمقدوره أن يغير لك مجريات حياتك! أي ثمن ستدفع مقابل هذا اللقاء؟ أي نوع من الملابس سوف تختار؟ كم عدد المرات التي سوف تجهز بها حديثك ليليق بموعد كهذا؟ نعم الله... أجل هو من يجهز كل منا نفسه للقائه يوميًا، دون أي جهد أو عناء، دون وسيط، في الثلث الأخير من الليل! ينزل سبحانه إلى السماء الدنيا! أي مايفصل بيننا وبينه منطقيًا من موطئ قدمنا إلى الأزرق الذي نراه في الأعلى، و معنويًا بيننا و بينه سجدة فقط!

(ادعوني أستجب لكم)

الأبيض يارب، الأبيض لأيامنا القادمة، لزواجنا، لأحلامنا، لطموحاتنا، وحاشاه أن يخذل عبده...

الزواج هو أشبه بعملية تفاعل كيميائي، عنصران بصفات مختلفة، يتم إخضاعهما لتجربة ما، منطقيًا التفاعل يُفقد ويُكسب كل منهما خصائص بسبب الآخر!

الذكاء يكمن في إختيار المعادلة الأنسب، التي تضمن لك نتائج مذهلة، خلطة سحرية، والكثير من السعادة... دون أي إنفجارات أو روائح كريهة، دون تدخلات خارجية...

سامر وهنادي

إن تمرغنا بالسعادة قرار شخصي، هي شيء ينبت في وجدك، ليثمر في عروق قلبك...

أولئك الذين نحبهم هم فقط من يغيرهم الزواج للأفضل والأكمل والأجمل، لاينتقص منهم بل يضيف لقلوبهم حبًا و ودًا و رحمة، من نحبهم لا يشبهون البقية، هم دائمًا مختلفون بطريقة أو بأخرى، لأن ما يربطنا بهم أسمى من علاقة!

أولئك الذين نحبهم هم فقط من يحسنون إلينا، يلتمسون لنا عذرًا، ويهدوننا عمرًا من الراحة، الراحة هي تسمية الحب الأخرى، حين ترتاح الروح في سُكنها ومسكنها، يطيب لها عيش الحياة.

أولئك الذين نحبهم يبقون بالملامح ذاتها ولو مر دهرٌ كاملٌ...

هذه هي المعركة التي لابد من أن نخوضها ونحن نحمل اليقين بالنصر!

معركة الحياة، يتطلب منا كزوجين أن يشد أحدنا يد الآخر، أن نصبح صديقين وقت الصداقة، و أخوه حين يلزم ذلك، وأن يصبح أحدنا حضن أم الآخر حين نصاب بألم أو عطب، إن ما يحصل معنا ليس علاقة زوجية بل هي علاقة كونية ومركزية، يرتكز عليها العالم بأكمله! العالم ليس سوى فتاتنا حين نجتمع معًا!

نحن لسنا سوى مادتين في هذا الفضاء الشاسع، التقينا بمحض مصادفة مرتبة بعناية إلاهية، نحن الآن معًا نعيش على قيد الحب و الأمل، نتغذى على النصوص العشوائية، و نستمد قوتنا منكم!